

# الإيمان عند أصول الديانة

للأبي الحسن الأشعري

بمقدمة تجزم بعزود لصاحبه ..  
وتعليقات تتضمن  
الرد على من يخالفونه ويدعون شرف الانتساب إليه  
من متأخري الأشعرية

مراجعة

فضيلة الشيخ

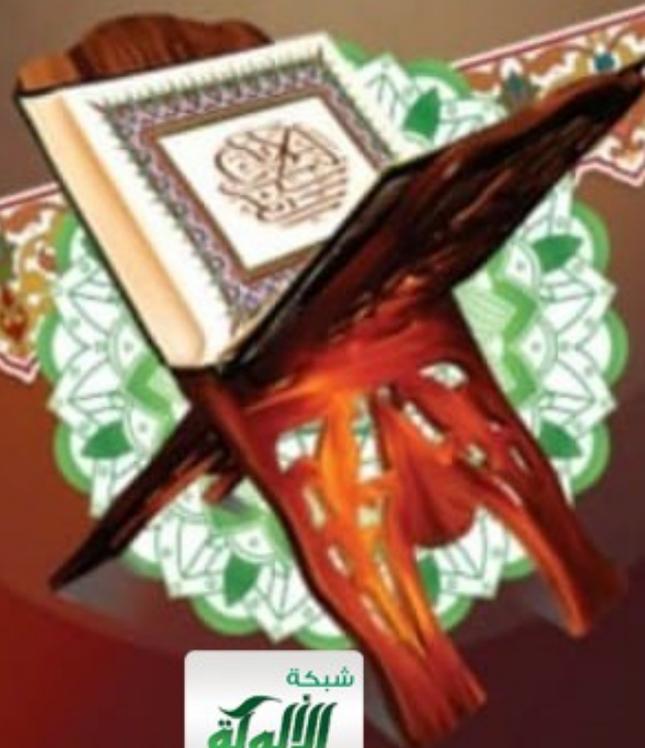
**عادل السيد**

مدير إدارة الدعوة بجماعة أنصار السنة المحمدية  
بمصر - عابدين - القاهرة

تحقيق

**أ.د. محمد عبد العزيز دوي**

المستاذ بهيئة الأزهري بالقاهرة  
الرابطة العالمية لجمعية الأزهري



مكتبة زهران

شبكة  
**الألوكة**  
www.alukah.net

# الإبانة عن أصول الديانة لأبي الحسن الأشعري

بمقدمة تجزم بعزوه لصاحبه  
وتعليقات تتضمن:  
الرد على مَنْ يخالفونه ويدّعون شرف الانتساب إليه  
من متأخري الأشعرية

تقديم وتحقيق  
د/محمد عبد العليم الدسوقي  
الأستاذ بجامعة الأزهر الشريف  
الرابطة العالمية لخريجي الأزهر

مراجعة  
فضيلة الشيخ/عادل السيد  
مدير إدارة الدعوة والإعلام بجمعية أنصار السنة المحمدية  
بمصر - عابدين - القاهرة

## إهداء

- إلى الأزهر الشريف.. جامعًا وجامعة.
- إلى كل مَعْنِيٍّ بتصحيح معتقده في توحيد الله في ذاته وصفاته وأفعاله.
- إلى كل طالب علم يريد لنفسه النجاة من تحريف المبطلين وتأويل المبتدعين.
- إلى كل مسلم يريد لنفسه خاتمة حسنة كتلك التي ختم بها إمام المذهب أبو الحسن الأشعري حياته.



**من كنوز الحكمة:**

\* يقول أ.د. أحمد الطيب شيخ الجامع الأزهر والرئيس الأسبق لجامعة الأزهر ورئيس مجلس حكماء المسلمين: "مذهب السلف الصالح رضوان الله عليهم في مسألة صفات الله تعالى، هو: أن ثبت لله تعالى كل صفة أثبتها لنفسه في القرآن من صفات، أو وردت بها الأحاديث الصحيحة، وأن ننفي كل صفة نفاها عن نفسه أو نفاها رسول الله، من غير أن نكلف أنفسنا عناء البحث في كيفية هذه الصفات؛ لأن البحث في كیفياتها لا ينتهي إلا إلى المزيد من الحيرة والغموض، وكما أن العقل قاصر وعاجز عن البحث في كيفية الذات الإلهية فهو بنفس القدر عاجز عن البحث في كيفية الصفات الإلهية، وإذا كانت ذات الله تعالى لا تشبه سائر الذوات الأخرى فكذلك صفاته لا تشبه صفات المخلوقين" إ.هـ من (مقومات الإسلام) هدية مجلة الأزهر ص 64 بعددها الصادر في شوال من العام 1442 الموافق لشهر مايو من العام 2021.

\* ويقول فضيلة الشيخ صالح بن عثيمين: عضو هيئة كبار العلماء بالمملكة السعودية والأستاذ في فرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالقصيم في كلية الشريعة وأصول الدين: "إن مذهب السلف هو المذهب الصحيح.. من وجهين:-

**أحدهما:** أن مذهب السلف دل عليه الكتاب والسنة، فإن من تتبع طريقتهم بعلم وعدل، وجدها مطابقة لما في الكتاب والسنة جملة وتفصيلاً.. ولا ريب أن أقرب الناس إلى فهم آياته وتصديقها والعمل بها، هم السلف، لأنها جاءت بلغتهم وفي عصرهم، فلا جرم أن يكونوا أعلم الناس بها فقهًا وأقومهم عملاً.

الثاني: أن يقال إن الحق في هذا الباب: إما أن يكون فيما قاله السلف أو فيما قاله الخلف، والثاني باطل، لأنه يلزم عليه أن يكون الله ورسوله والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار قد تكلموا بالباطل تصريحًا أو ظاهرًا ولم يتكلموا مرة واحدة بالحق الذي يجب اعتقاده لا تصريحًا ولا ظاهرًا، فيكون وجود الكتاب والسنة ضررًا محضًا في أصل الدين، ويكون ترك الناس، بلا كتاب ولا سنة خيرًا لهم وأقوم.. وهذا ظاهر البطلان" إ.هـ من فتح رب البرية بتلخيص الحموية ص 75.

\* ويقول الحافظ ابن عساكر ت 571 في (تبين كذب المفترى) ص 152 بحق أبي الحسن الأشعري إمام أئمة السلف: «إذا كان أبو الحسن كما ذكر عنه من حسن الاعتقاد، مستصوب المذهب عند أهل المعرفة بالعلم والانتقاد، يوافق في أكثر ما يذهب إليه أكابر العباد، ولا يقدر في معتقده غير أهل



الجهل والعناد، فلا بد أن نحكي عنه معتقده على وجهه بالأمانة، ونجتنب أن نزيد فيه أو نُقص منه تركًا للخيانة، لتعلم حقيقة حاله في صحة عقيدته في أصول الديانة، فاسمع ما ذكره في أول كتابه الذي سماه بـ (الإبانة)، فإنه قال: "...!" ثم استمر ابن عساكر في إيراد الكلام على نصه وفصه من أوله إلى باب: (الكلام في إثبات الرؤية لله بالأبصار في الآخرة)، حرفًا حرفًا كما شرط.. ثم قال عقيب ذلك:

«فتأملوا - رحمكم الله - هذا الاعتقاد، ما أوضحه وأبينه!، واعترفوا بفضل هذا الإمام العادل الذي شرحه وبينه، وانظروا إلى سهولة لفظه، فما أفصحه وأحسنه!، وكونوا ممن قال الله فيهم: **الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه** [الزمر: 18]، وبيّنوا فضل أبي الحسن واعرفوا إنصافه، واسمعوا وصفه لأحمد - ابن حنبل - بالفضل واعترافه، لتعلموا أنهما كانا في الاعتقاد متفقين، وفي أصول الدين ومذهب السنة غير مفترقين» إ.هـ

\* **ويقول الزركلي في الأعلام:** "إن مصنفات أبي الحسن الأشعري تزيد عن الثلاثمائة مؤلف" .. والسؤال: أين هي تلك المؤلفات؟! ولماذا يتجاهل الأزهر ما جاء منها مؤخرًا بعد أوبة الأشعري مع فخره بالانتساب إليه وإلى تراث الأمة؟



## المقابلة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾ [آل عمران: 102].

﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساءً واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً﴾ [النساء: 1].

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديداً. يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً﴾ [الأحزاب: 70-71].

أما بعد..

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.. وبعد:

فإن من أعظم ما خلّفه لنا الأوائل: ما تعلق بصحيح معتقد الأمة، ويأتي في مقدمة ذلك ما ألهم الله به أبا الحسن الأشعري الذي اختاره - سبحانه - من بين عباده الصالحين - فيمن اختارهم<sup>(1)</sup> - لحفظ السنة وقمع البدعة، وقد تم له ذلك عن طريق رؤيا صالحة ويايعاز من النبي ﷺ.. يقول ابن فرحون اليعمري برهان الدين إبراهيم بن علي بن محمد المدني المالكي ت799هـ في كتابه (الدياج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب) صفحة 193:

«كان أبو الحسن الأشعري في ابتداء أمره معتزلياً، ثم رجع إلى هذا المذهب الحق مذهب أهل السنة، فكثير التعجب منه! وسئل عن ذلك فأخبر أنه رأى النبي ﷺ في رمضان فأمره بالرجوع إلى الحق ونصره، فكان ذلك والحمد لله تعالى».

<sup>1</sup>(?) وإنما كان له ذلك لما حياه الله من ذكاء مفرط، ورجاحة عقل، واستيعاب تام لما عليه المخالفون من أهل الزيغ، وتلاحظ ذلك إبان رده عليهم، وسبحانه ﴿يؤت الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً﴾.



وتحدثًا بنعمة ربه يحكي الأشعري نفسه أثناء خطبة كانت له بعد صلاة الجمعة على منبر المسجد الجامع بالبصرة، ما كان من أمره من حيرة أذهلته حتى غيبت عنه الناس، أعقبها هداية الحف في طلبها، فيقول فيما ذكره ابن عساكر في كتابه (تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري) ص 39:

"(معاشر الناس إني إنما تغيبت عنكم في هذه المدة لأنني نظرت فتكافأت عندي الأدلة ولم يترجح عندي حق على باطل ولا باطل على حق، فاستهديت الله تبارك وتعالى فهداني إلى ما أودعته في كتبي هذه، وانخلعت من جميع ما كنتُ أعتقد، كما انخلعتُ من ثوبي هذا)، وانخلع من ثوب كان عليه ورمى به ودفع الكتب إلى الناس، فمنها كتاب (اللمع) وغيره من تواليفه.. فلما قرأ تلك الكتب أهل الحديث والفقهاء من أهل السنة والجماعة أخذوا بما فيها وانتحلوه، واعتقدوا تقدمه واتخذوه إمامًا حتى نُسب مذهبهم إليه، فصار عند المعتزلة ككتابي أسلم وأظهر عوار ما تركه فهو أعدى الخلق إلى أهل الذمة"<sup>(1)</sup>.

### **أ- لغط المغرضين الناشئ والمستمر حول عزو (الإبانة) للأشعري.. ودحض أسبابه:**

وصدق - والله - ابن عساكر، فعلى الرغم من ثناء "أهل الحديث والفقهاء"<sup>(2)</sup> من أهل السنة والجماعة "على الأشعري، وتسليمهم لما هداه الله إليه وغبطتهم به واتخاذهم إياه "إمامًا حتى نُسب مذهبهم إليه" .. فإنه، ومن يومها صار مناوئو الأشعري ومعتقده في (الإبانة) بالذات - ليس المعتزلة فحسب وإنما كل من شاركهم في هذا من متأخري الأشعرية"<sup>(3)</sup> - " ككتابي أسلم وأظهر عوار ما تركه، فهو أعدى الخلق إلى أهل الذمة" .. ونذكر من هذا العداء المستحکم:

<sup>1</sup>(?) وما يكاد كتاب من كتب التراجم لأبي الحسن يخلو من حكاية ما ذكرناه هنا، وجميعهم ما بين متوسع في سرده وما بين متوسط وما بين مختصر.

<sup>2</sup>(?) وبالطبع فإن هذا يشمل فقهاء وأئمة المذاهب الأربعة وتلامذتهم.. وينظر كلامهم في سلامة المعتقد بشيء من التفصيل: كتاب (العلو) للحافظ الذهبي (اجتماع الجيوش) لابن القيم، وقد أتبعاه - بعد كلام الصحابة والتابعين - بجملة ما قاله (أئمة أهل الحديث والتفسير واللغة والكلام والشعر) في رد عادية أهل الباطل من المعطلة

<sup>3</sup>(?) كون مذهبهم أقرب لمذهب المعتزلة من مذهب أهل السنة ولذا سماهم شيخ الإسلام مخنثة المعتزلة

1) ما كان من الأهوازي ت446<sup>(1)</sup> في اتهامه أبا الحسن أنه ما ألف كتاب (الإبانة) إلا

تقيّة من الحنابلة وأنه غير معتقد لما فيه، وقد رجع عنه. فكان كتاب (تبيين كذب المفتري) لابن عساكر ت571 لرد عاديته.. وقد ذكر ذلك ابن القيم في اجتماع الجيوش إبان سرده لما عليه الأشعري، قائلاً: "نذكر كلامه - يعني: الأشعري- فيما وقفنا عليه من كتبه كالموجز والإبانة والمقالات، وما نقله عنه أعظم الناس انتصاراً له: الحافظ أبا القاسم بن عساكر في الكتاب الذي سماه (تبيين كذب المفتري)".

وكانت رسالة أبي إسحاق إبراهيم بن عيسى بن درباس الشافعي ت622، التي جعلها في (الذب عن أبي الحسن الأشعري)، للرد على نفس الشخص ولنفس السبب، حيث جمع فيها شهادة عدد من العلماء، أوضحوا فيها حكمهم ببراءة أبي الحسن مما نسب إليه الأهوازي وغيره.. يقول رحمه الله في مقدمة رسالته تلك: «اعلموا معشر الإخوان أن كتاب (الإبانة عن أصول الديانة) الذي ألفه الإمام أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، هو الذي استقر عليه أمره فيما كان يعتقد، وبه كان يدين الله بعد رجوعه من الاعتزال بمن الله ولطفه، وكل مقالة تنسب إليه الآن مما يخالف ما فيه، فقد رجع عنها<sup>(2)</sup> وتبرأ إلى الله - سبحانه - منها، وكيف وقد نص

<sup>1</sup>(?) هو أبو علي الحسن بن علي بن إبراهيم الفارسي، قال عنه ابن عساكر: "كان على مذهب السالمية يقول بالظاهر، ويتمسك بالأحاديث الضعيفة التي تقوي رأيه، وسمعت أبا الحسن بن قيس عن أبيه قال: لما ظهر من أبي علي الإكثار من الروايات في القراءات أنهم"، وقال: "لا يستبعدن جاهل كذب الأهوازي فيما أورده من تلك الحكايات، فقد كان من أكذب الناس فيما يدعي من الروايات في القراءات"، وقال عنه الخطيب: "أبو علي الأهوازي كذاب في الحديث والروايات جميعاً"، وقال عنه الذهبي في الميزان: "وصف كتابا في الصفات لو لم يجمعه لكان خيراً له؛ فإنه أتى فيه بموضوعات وفضائح، وصنف كتابا يحط على الأشعري".

وقد أقذع ابن عساكر في الرد عليه ووصفه في (التبيين) بكل قبيح فقال: "وكيف يتهم أولاد المجوس بالإلحاد والزندقة، أبناء ذوي الهمة، ولا شك أن الأهواز من جملة البلدان التي افتتحها أبو موسى الأشعري جدّ أبي الحسن الأشعري، وذلك عندي هو: السبب الموجب لهذه الجفوة، والمورث للغلظة على ولده والقسوة، والمؤثر في شدة النفوس عن معتقده والتبوء، لأنه أدخل على أسلاف الأهوازي من المجوس بلية ومحنة، وأورثت قلبه لنسله عداوة وإحنة، فلهذا استفرغ جهده في الازدراء على أبي الحسن والتشنيع، ورماه بكل ما أمكنه ذكره من الأمر الشنيع، لأن البغض يتوارث والوُدُّ يتوارث".

<sup>2</sup>(?) وفي هذا دلالة واضحة على أن من ادعى على أبي الحسن أن له في مسألة الصفات رأيين، أو ادعى عليه ما كان منه قبل رجوعه إلى آخر ما استقر عليه أمره.. هو كاذب عليه وغاش له وللأمة ومفتري عليه وعليها بالبهتان ومخالف لمذهبه.. قال ابن تيمية فيما نقله عنه ابن القيم في (اجتماع الجيوش) ص113:

على أنه ديانته التي يدين الله - سبحانه - بها، وَرَوَى وَأَثَبَتْ أَنَّهُ دِيَانَةُ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَأُئِمَّةِ الْحَدِيثِ وَالْمَاضِينَ وَقَوْلِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ، وَأَنَّ مَا فِيهِ هُوَ الَّذِي يَدُلُّ عَلَيْهِ كِتَابُ اللَّهِ وَسُنَّةُ رَسُولِهِ ﷺ.

فهل يسوغ - والكلام لا يزال لابن درباس - أن يقال: إنه رجع عن هذا إلى غيره؟!، فإلى ماذا يرجع؟! (1) أتراه يرجع عن كتاب الله وسنة نبي الله! خلاف ما كان عليه الصحابة والتابعون وأئمة الحديث المرضيون وقد علم أنه مذهبهم ورواه عنهم؟!، هذا لعمرى ما لا يليق نسبته إلى عوام المسلمين، فكيف بأئمة الدين؟!، أو هل يقال: إنه جهل الأمر فيما نقله عن السلف الماضين مع إفئائه جل عمره في استقراء المذاهب وتعرف الديانات؟!، هذا مما لا يتوهمه منصف ولا يزعمه إلا مكابر مسرف.

وفي رد شبهة الأهوازي التي ادعى فيها على الأشعري أنه ألف (الإبانة) تقيّة من الحنابلة، يقول ابن عساكر ص 388: «كيف يُصنّف المسلم كتابًا يخلده، وهو لا يقول بصحة ما فيه، ولا يعتقدُه»، وقال في ص 389: «ولم يزل كتاب (الإبانة) مستصوبًا عند أهل الديانة» إ.هـ.

(2) وما وقع حديثًا ممن يُدعى بـ (زاهد الكوثري الحرکسي) ت 1952، فقد قال في تعليقه على تبين كذب المفترى ص 28، 392: «إنما ألف أبو الحسن الإبانة على طريقة المفوضة من السلف، وأراد به انتشار المتورطين في أحوال التشبيه من الرواة، والتدرج بهم إلى مستوى الاعتقاد الصحيح الذي هو مذهب الخلف». والكوثري - مع هذا الذي ادعاه من أن الأشعري ألف (الإبانة) تقيّة من الحنابلة لما دخل بغداد -

يدعي أيضًا ضمن ما يدعي، أن (الإبانة) لم يكن آخر ما ألفه أبو الحسن، وكأنه يرى أن أبا الحسن كان يعتقد ما فيها ولكنه ألف كتابًا أو كتبًا أخرى بعدها ينقض ما فيها.. وهذه دعوى عريضة لا نكاد نجد أحدًا من أهل الإنصاف يسانده فيها (2).

"والأشعري وأئمة أصحابه متفقون على إثبات الصفات الخيرية كـ (الاستواء والوجه واليدين) وإبطال تأويلها، وليس للأشعري في ذلك قولان أصلًا، ولم يذكر أحدٌ عن الأشعري في ذلك قولين".

(1) (?) إي والله.

(2) (?) وهكذا ما كاد ناصر السنة وقامع البدعة أبو الحسن الأشعري ينجو من تحت مطرقة فرق المعتزلة والجهمية والحرورية والروافض والمرجئة الذين طفقوا يشنعون عليه وينسبون إليه الأباطيل ويكيلون له التهم، حتى وقع فوق سندان المتكلمة الذين لم يقلوا في تشنيعهم عليه ونسبة الأباطيل إليه وكيل التهم له عن سابقهم.. وهذا هو شأن أهل الحق دائمًا وأبدًا، وصدق الله القائل: ﴿وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيرًا﴾ [الفرقان: 20].. والذي يبدو الآن أن هذا اللغط والخلط الذي وقفنا على تفاصيله، قد وجد صداه في قلوب كثير من المتعصبين لرأي الأشعري الذي تراجع عنه دون ما رجع إليه، وقد ذكرنا ما به تقام الحجة على مدعيه سلفًا وخلقًا، وإلى الله المشتكى.

ومعلوم بالضرورة أن أبا الحسن ما كان مفوضًا للصفات قط، وإنما كان مُثَبِّتًا لها، وقد فارق رحمه الله منذ البداية طريقة (المفوضة) في: إثباته لمعاني صفات الله الخيرية والفعلية مع إمرار كيفياتها، خلافاً للمفوضة الذين فوضوا مع كيفية صفاته تعالى: معانيها، وعدّوا ذلك هو الأسلم.. بينا الأسلم في الحقيقة هو ما ذكرناه للأشعري ووافق فيه أهل الحديث وجماعة أهل السنة وسلف الأمة.

وكان الشيخ الألباني في (مختصر العلو) قد عرض لشبهة اتهام الكوثري الأشعري بالتفويض، وأشبعها ردًا ونقدًا ودحضًا ونقصًا، **وكان مما قاله في مختصر العلو ص 239: -** "وفي قول الأشعري - يعني: في (الإبانة) بشأن إثبات الصفات - دليل واضح على بطلان قول الكوثري في تعليقه على (تبيين كذب المفتري) ص 28 (أن كتاب الإبانة هذا هو على طريقة المفوضة في الإمساك عن تعيين المراد، وهو مذهب السلف!)، فإن كلام الأشعري الذي نقله المصنف - يعني: الذهبي في كتابه (العلو) - عن (الإبانة) وأشرنا إلى محله منه، صريح في تعيين المراد، وهو أن (الاستواء) بمعنى: (العلو)، فأين التفويض والإمساك عن تعيين المراد الذي زعمه الكوثري؟!، ولا شك أن قول الكوثري: (وهو مذهب السلف)، كذب أيضًا كما يعلمه من درس أقوالهم في كتب أصول السنة التي جمعها المصنف في كتابه (العلو) فأوعى، ثم قرّبها إليك في (مختصره) هذا، منبهاً على ما صح إسناده منها كما ترى" إ.هـ<sup>(1)</sup>.

ومن يظن أن معركة متأخري الأشعرية بالذات وعسكرهم - وهم في زماننا وفي أرجاء المعمورة كثيرون كثيرة فاحشة - مع أبي الحسن نفسه متبني مذهب أهل السنة<sup>(2)</sup>، قد انتهت؛ فهو واهم، إذ هي معركة قديمة حديثة.. وهي معركة حامية الوطيس يصل الأمر فيها إلى أن يتهم فيها ما كان عليه النبي ﷺ ومذهب الصحابة وتابعيهم من أهل السنة بأنه مذهب (التجسيم والتشبيه)، وأن من يتبنوه (مجسمة مشبهة).

الأمر الذي يعني: وجوب التركيز على شبهاتهم لردّها ودحضها، ومن قبل صاحب المذهب نفسه ناهيك عن غيره من جموع أئمة أهل السنة، وهذا ما يهمننا بالمقام الأول بعد أن أفل نجم المعتزلة والجهمية والحرورية وغيرهم ممن كان جُل رد الأشعري عليهم.

كما يعني في النهاية: أن المسألة ليست مسألة عزو؛ ولا كم من النسخ الخطية تم الرجوع إليها؛ ولا كم من الجهد بذل في تخير أفضلها أو أدقها<sup>(3)</sup>.. وإنما هي مسألة انتصار للباطل بالباطل.

<sup>1</sup>(?) وينظر في ردود الألباني على الكوثري "المعروف - على حد قول الشيخ الألباني - بعدائه الشديد لأهل السنة والحديث"، صفحات: 12، 15، 16، 34-40، 45، 46، 74، 123، 132، 136، 140، 156، 157، 207، 239، 256، 255 وغيرها من (مختصر العلو).

<sup>2</sup>(?) نسال الله أن يحيينا عليه ويميتنا عليه وبيعنا يوم القيامة عليه.

ويعني كذلك بل ويؤكد: أن المعركة من قبل أصحاب الهوى من العامة والخاصة<sup>(1)</sup> الصراع فيها بين باطل يريد أن يستعلي، وحق رايسخ رسوخ الجبال لا ولن تهزه العواصف ولا ولن تنال منه الأعاصير، وأن الأمر سيظل هكذا إلى يوم القيامة بعد أن بدا واضحًا أن القضية قضية هوى متبع وشح مطاع ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه، وأن أصحاب الهوى لن يعدموا الذرائع للتشكيك في عزو (الإبانة) لصاحبها، وفي الدفاع عن باطلهم بكل الحيل والوسائل.

ولأجل كل هذا أراني أردد وأكرر، وأقول ولا زلت وسأظل: "إن من شأن المخالفين للمعتقد الصحيح للأشعري الذي ختم به حياته، أن ينكروا ويشتكوا في كلامه الذي رجع إليه، وأن يشككوا كذلك في تأليفه التي يأتي على رأسها كتاب (الإبانة) الذي سجل فيه تراجعه لمذهب السلف ومعتقد أحمد بن حنبل إمام أهل السنة، وأوضح فيه ما كان يعتنقه مؤخرًا، لأنهم لو سلموا بهذا، لكان في تسليمهم به اعتراف بمخالفتهم مذهب أهل السنة ونقض لتأويلاتهم الباطلة ولمذاهبهم المنحرفة في النفي وذكر السلوب، والتي هي أقرب لمذهب الجهم والمعتزلة منها إلى مذهب أهل الحق، بل بينها وبين الأخير بُعد المشرقين".

والذي يعيننا هنا، هو: شهادات السابقين من الأئمة الثقات العدول من جماعة أهل السنة، لعزو (الإبانة في أصول الديانة) للأشعري، ذلك أنه وبعد أن عكف على تحرير مادة هذا الكتاب العلمية عددٌ غير قليل من جهابذة المحققين، لم يعد ثمة مطعن في نسبته إليه رحمه الله إلا ليدى من أطلق لنفسه عنان الهوى.. حيث أضحى الطعن في هذا الأمر بعد تيك الجهود المضنية ضربًا من العبث والهذيان<sup>(2)</sup>.. لكن لما كانت هذه الإشكالية متصلة عند

<sup>3</sup>(?) ولذا واختصارًا للوقت وحتى نفرغ لما هو أهم، رأينا أن نكتفي بالرجوع إلى النسخ التي اعتمدها جُلُّ المحققين وعوّلوا عليها وبخاصة نسخة د. حماد الأنصاري، وكلها - بالمناسبة - قريبة قريبًا يكاد لا يجعلك تفرق بين بعضها البعض، وجميعها تم مطابقتها مع العديد من النسخ المخطوطة في أنحاء العالم.

<sup>1</sup>(?) وأخص بالذكر منهم أساتذة أقسام العقيدة بجامعة الأزهر، وغيرها من الأقسام المناظرة بباقي الجامعات

<sup>2</sup>(?) ونذكر من تلك الجهود التي بذلت في تحقيق كتاب (الإبانة): ما قامت به [دائرة المعارف النظامية] بحيدر اباد الدكن الهند، حيث جاء الكتاب في طبعته الأولى ضمن مجموعة من كتب أخرى، ويقال: إن هذه النسخة مصحفة ومحرفة، وأن الأيدي الأثيمة قد تلاعبت بها ومن ثم وجب إعادة طبعها من أصل وثيق.. وما قامت به د. فوقية حسين محمود، وقد جعلته موضوعًا لرسالتها التي حصلت بموجبها على الدكتوراه [ط. دار الأنصار].. وما قام به أبو عمرو محمد بن علي بن ربحان حيث قام بتحقيقه وشرحه في مجلدين كبيرين [ط. دار الإبانة].

وممن عكف على تحقيقه: فضيلة الشيخ صالح بن مقبل العصيمي العتيبي عضو هيئة كبار العلماء بالمملكة السعودية سابقًا.. وفضيلة الشيخ حماد الأنصاري [ط. الجامعة الإسلامية] بالمدينة المنورة ضمن مطبوعات الجامعة.. ومحمد بن عبد الهادي [ط. دار العلياء] وعليها تعليقات لابن تيمية.. ونيل صلاح سليم [ط.

من ذكرنا من المخالفين، والمعاصرين منهم بخاصة، ونريد للحجة أن تكتمل؛ اكتفينا بما كان من ذلك من رجوع إلى أصول (الإبانة) تحقيق وتحريم ما دتها، وأثرنا الحديث عن شهادات لفيف من أئمة أهل السنة الأعلام - سواء من كانوا قريبي عهد بالأشعري أو غير ذلك - ليهلك بعد من هلك عن بينة وليحيا من حي عن بينة.

كما أن الذي يعيننا هنا أيضًا، هو: التركيز على ما ابتلينا به من عقيدة (أشعرية متأخرة) زائفة تريد أن تفرض نفسها بالقوة، عقيدة تبرأ صاحبها منها ومن المعتنقين لها والمتمسكين بتلابيبها، وهذا يستلزم مزيدًا من الرد عليها وعلى من ادعوا ولا يزالون شرف الانتساب لصاحبها كذبًا وزورًا وبهتانًا.

## ب - شهادات أئمة أهل السنة بشأن عزو (الإبانة) للأشعري:

وحول مدى صحة نسبة هذا الكتاب لصاحبه، وشهادة الأئمة الأعلام لهذه النسبة، نذكر ممن شهد بهذا فيمن شهدوا:

1- الإمام الأستاذ الحافظ أبا عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد<sup>(1)</sup> الصابوني ت 449، فقد ذكر له نقل ابن درباس نقلًا عن ابن عساكر أنه «ما كان يخرج إلى مجلس درسه إلا وييده كتاب (الإبانة) لأبي الحسن الأشعري ويظهر الإعجاب به، ويقول: ما الذي يُنكر على من هذا الكتاب شرح مذهبه»<sup>(2)</sup>.. يقول ابن عساكر عقب ذكره هذه الحكاية: «فهذا قول الإمام أبي عثمان، وهو من أعيان أهل الأثر بخراسان»<sup>(3)</sup>.

2- والإمام البيهقي ت 458؛ قال في كتابه (الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد) في باب القول في القرآن ص 85: «ذكر الشافعي - ما دل على أن ما تلووه من القرآن بالسنتنا ونسمعه

دار البصيرة] وقد طابقتها على مخطوطة الشيخ حماد، وضمتها: (صريح السنة) للطبري.. ومحمود بن الجميل [ط. مكتبة الأنصار].. د. عباس صباغ [ط. دار النفائس بيروت].. ومحَب الدين الخطيب في غير ما طبعة [المكتبة السلفية].. وعبد الله محمود محمد عمر [ط. دار الكتب العلمية بيروت].. و د. بشير محمد عيون [ط. دار المؤيد].. ومحمد حامد محمد.. ناهيك عن قاموا بطبعه بدون تحقيق، ومن قاموا بشرحه من المعاصرين من نحو: محمد بن شمس الدين، ومحمد هشام طاهري، ومن قاموا بالتعريف به من نحو: د. عبد الرحمن بن صالح المحمود وغيره، ومن قاموا بعمل دراسات حوله وما أكثرهم!.

<sup>1</sup>(?) النيسابوري، شيخ الإسلام الواعظ المفسر المصنف، أحد الأعلام.. روى عن زاهر السرخسي وطبقته توفي وله سبع وسبعون سنة، وكان أول ما جلس للوعظ وهو ابن عشر سنين، وكان شيخ خراسان في زمانه.. العبر 3/219.

<sup>2</sup>(?) الذب عن أبي الحسن لابن درباس ص 105.

<sup>3</sup>(?) السابق.. وينظر تبين كذب المفتري لابن عساكر ص 389.

بأذانتنا ونكتبه في مصاحفنا يسمى كلام الله، وأن الله كلم به عباده بأن أرسل به رسوله، وبمعناه ذكره أيضًا علي بن إسماعيل في كتاب (الإبانة)».

**وقال في ص 22 من نفس الكتاب:** «قال أبو الحسن علي بن إسماعيل في كتابه - يعني: (الإبانة) -: (فإن قال قائل: تقولون إن كلام الله في اللوح المحفوظ، قيل له: نقول ذلك؛ لأن الله قال: **بل هو قرآن مجيد. في لوح محفوظ** [البروج: 21]، [22]، فالقرآن في اللوح المحفوظ وهو في صدور الذين أوتوا العلم، وهو متلو بالآيسنة، قال تعالى: **لا تحرك به لسانك** [القيامة: 16]، والقرآن مكتوب في مصاحفنا في الحقيقة، محفوظ في صدورنا في الحقيقة، متلو باليسنتنا في الحقيقة، مسموع لنا في الحقيقة، كما قال تعالى: **فأجره حتى يسمع كلام الله** [التوبة: 6]».

3- وممن شهد بعزو الإبانة للأشعري الإمام أبو الفتح نصر المقدسي، ت 490 **قال ابن درباس:** «وجدت كتاب (الإبانة) في كتبه بيت المقدس، ورأيت في بعض تأليفه في الأصول فصولاً منها بخطه»<sup>(2)</sup>

4- والإمام الفقيه أبو المعالي مُجَلِّي<sup>(3)</sup>، صاحب كتاب (الذخائر) في الفقه ت 550، **قال ابن درباس:** «أنباني غير واحد عن الحافظ أبي محمد المبارك بن علي البغدادي، ونقلته أنا من خطه في آخر كتاب (الإبانة) قال: نقلت هذا الكتاب جميعه من نسخة كانت مع الشيخ الفقيه المجلي الشافعي، أخرجها من مجلد فنقلتها وعارضت بها، وكان رحمه الله يعتمد عليها وعلى ما ذكره فيها، ويقول: (لله در من صنفه!)، ويناظر على ذلك من ينكره، وذكر ذلك لي وشافهني به، قال: (هذا مذهبي وإليه أذهب، نقلت هذا سنة 540 بمكة، وهذا آخر ما نقلت من خط ابن الطباخ رحمه الله)»<sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup>(?) ابن إبراهيم بن نصر النابلسي، صاحب التصانيف شيخ الشافعية بالشام، كان إماماً علامة فقيهاً مفتياً محدثاً زاهداً متبتلاً ورعاً كبير القدر عديم النظر، عاش أكثر من ثمانين سنة، وسمع الحديث الكثير وأملى وحدث وأقام بالقدس مدة طويلة، توفي يوم عاشوراء.. العبر 3/328.

<sup>2</sup>(?) الذب عن الأشعري لابن درباس ص 106، 107.

<sup>3</sup>(?) هو مُجَلِّي بن جُميع قاضي القضاة بالديار المصرية، القرشي المخزومي الشافعي، كتابه (الذخائر في المذهب) من المصنفات المعتبرة.. العبر 4/179، وسير أعلام النبلاء.

<sup>4</sup>(?) الذب عن أبي الحسن ص 119 وابن الطباخ هو: أبو محمد المبارك بن علي بن الحسين بن عبد الله بن محمد الطباخ البغدادي، نزيل مكة وحافظها في زمانه، المحدث المشار إليه بالعلم بها، وإمام الحنابلة بالحرم، سمع الكثير ببغداد من ابن الطيوري وابن كادس وغيرهما، وتفقه بالقاضي أبي الحسين بن الزاغوني، كان صالحاً ديناً ثقة ت 575.. العبر 4/226، شذرات الذهب 4/253.

5- والحافظ أبو محمد بن علي البغدادي نزيل مكة ت 562، **قال ابن درباس:** «شاهدت نسخة من كتاب **(الإبانة)** بخطه من أوله إلى آخره، وهي بيد شيخنا الإمام رئيس العلماء الفقيه الحافظ العلامة أبي الحسن ابن المفضل المقدسي، ونسخت منها نسخة وقابلتها عليها بعد أن كتبت نسخة أخرى مما وجدته في كتاب الإمام نصر المقدسي بيت المقدس، ولقد عرضها بعض أصحابنا على عظيم من عظماء الجهمية المنتمين إلى أبي الحسن الأشعري بيت المقدس، فانكرها وجحدها وقال: ما سمعنا بها قط ولا هي من تصنيفه، واجتهد آخر في أعمال رويته ليزيل الشبهة بفطنته، فقال بعد تحريك لحيته: لعله ألفها لما كان حشويًا»<sup>(1)</sup>.

**قال ابن درباس:** «فما دَرَيْتُ مِن أَي أمره أعجب، أمِن جهله بالكتاب مع شهرته وكثرة مَن ذكره في تصانيفه من العلماء، أو مِن جهله بحال شيخه الذي يفترى عليه بانتمائه إليه، واشتهاره<sup>(2)</sup> بين الأمة، عالمها وجاهلها؟!.. فإذا كانوا بحال من يتمون إليه بهذه المثابة، فكيف يكونون بحال السلف الماضين وأئمة الدين من الصحابة والتابعين وأعلام الفقهاء والمحدثين، وهم لا يلوون على كتبهم ولا ينظرون في آثارهم، وهم والله بذلك أجهل وأجهل؟!»<sup>(3)</sup>.

6- **والحافظ ابن عساكر ت 571، قال في كتابه (تبيين كذب المفتري) ما نصه:** «إذا كان أبو الحسن - كما ذكرنا عنه من حُسن الاعتقاد - مستصَوَّبَ المذهب عند أهل المعرفة بالعلم والانتقاد، يوافق في أكثر ما يذهب إليه أكابر العباد، ولا يقدر في معتقده غير أهل الجهل والعناد، فلا بد أن نحكي عنه معتقده على وجهه بالأمانة، ونجتنب أن نزيد فيه أو نُقص منه تركًا للخيانة، لتعلم حقيقة حاله في صحة عقيدته في أصول الديانة، فاسمع ما ذكره في أول كتابه الذي سماه بـ **(الإبانة)**، فإنه قال:

الحمد لله الواحد الأحد العزيز المتفرد بالتوحيد...»، ثم استمر ابن عساكر في إيراد الكلام على نصه وفصه من أوله إلى باب: (الكلام في إثبات الرؤية لله بالأبصار في الآخرة)، حرفًا حرفًا كما شرط.. ثم قال عقيب ذلك: «فتأملوا - رحمكم الله - هذا الاعتقاد، ما أوضَّحه وأبينه!، واعترفوا بفضل هذا الإمام العادل الذي شرحه وبينه، وانظروا إلى سهولة لفظه، فما أفصحه وأحسنه!، وكونوا ممن قال الله فيهم: **الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه** [الزمر: 18]، وبينوا فضل أبي الحسن واعرفوا إنصافه، واسمعوا وصفه لأحمد - ابن حنبل - بالفضل واعترافه، لتعلموا أنهما كانا في الاعتقاد متفقين، وفي أصول الدين ومذهب السنة غير مفترقين»<sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup>(?) ولاحظ أنها نفس الاتهامات التي يفوه بها الأشعرية في زماننا وتلوكتها ألسنتهم، فهم والجهمية قديمًا - وكذا المعتزلة - ينزعان عن بئر آسن واحد.

<sup>2</sup>(?) يعني: قبل تويته من الاعتزال

<sup>3</sup>(?) الذب عن أبي الحسن لابن درباس ص 120، 121.



**وقال في ص 128 من التبيين:** «وتصانيف أبي الحسن الأشعري بين أهل العلم مشهورة معروفة، وبالإجادة والإصابة للتحقيق عند المحققين موصوفة، ومن وقف على كتابه المسمى بـ **(الإبانة)** عرف موضعه من العلم والديانة».. وذكر في صفحة 171 جملة أبيات نسبها لبعض المعاصرين له.

ولاحظ معي تواريخ هؤلاء الأئمة الأعلام القرية العهد بوفاة الأشعري ت 324، والدالة على أنهم كانوا أقرب زمنًا للأشعري، وأعرف منا بحاله وبما كان منه وبما جرى له، وبما صح نسبته إليه وما تخلى هو عنه وتبرأ منه.. وتأمل بعد، تعاقب الأئمة على صحة نسبة الإبانة لأبي الحسن على مر العصور والدهور.

**7- وممن ذكر أن (الإبانة) من تأليف أبي الحسن الأشعري:** أبو إسحاق إبراهيم بن عيسى بن درياس الشافعي ت 622، قال في رسالته (الذب عن أبي الحسن الأشعري): «اعلموا معشر الإخوان أن كتاب **(الإبانة عن أصول الديانة)** الذي ألفه الإمام أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، هو الذي استقر عليه أمره فيما كان يعتقد، وبه كان يدين الله تعالى بعد رجوعه من الاعتزال بمنّ الله ولطفه، وكل مقالة تنسب إليه الآن مما يخالف ما فيه، فقد رجع عنها وتبرأ إلى الله - سبحانه - منها" إلى آخر ما سبق أن نقلناه عنه.

**يقول ابن درياس:** «قد ذكر (الإبانة) واعتمد عليها وأثبتها للإمام أبي الحسن الأشعري، وأثنى عليه بما ذكره فيها وبرأه من كل بدعة نسبت إليه، ونقل منها إلى تصنيفه.. جماعة من الأئمة الأعلام من فقهاء الإسلام وأئمة القراء وحفاظ الحديث وغيرهم»<sup>(1)</sup>.. وذكر ابن درياس طائفة ممن سبق ذكرهم، وزاد عليهم:

**8- الحافظ أبا العباس أحمد بن ثابت بن محمد الطُّرقي**<sup>(2)</sup>، فإنه قال: «رأيت هؤلاء الجهمية ينتمون في نفي العرش وتأويل الاستواء إلى أبي الحسن الأشعري، وما هذا بأول باطل ادعوه وكذب تعاطوه، فقد قرأت في كتابه الموسوم بـ **(الإبانة عن أصول الديانة)** أدلة من جملة ما ذكرته، على إثبات الاستواء»، ثم قال: «ومن خليفهم

<sup>(4)</sup>(?) وينظر مع التبيين ص 152 وما بعدها، الذب عن أبي الحسن الأشعري لابن درياس ص 107 وما بعدها.

<sup>(1)</sup>(?) الذب عن أبي الحسن الأشعري لابن درياس ص 99، 100 ت د. علي الفقيهي.

<sup>(2)</sup>(?) الأصبهاني، كان حافظًا متقنًا أكثرًا من الحديث، سمع بأصبهان أبا الفضل المطهر بن عبد الواحد وعبد الله بن اليسري وأبا علي التستري وغيرهم ت 520.. اللباب في تهذيب الأنساب 2/280.

جميعًا قولهم: (لا، والذي احتجب بسبع سماوات)، هذا آخر ما حكاها، وهو في **(الإبانة)** كما ذكره<sup>(3)</sup>،  
 9- وممن ذكر (الإبانة) ونسبها إلى أبي الحسن الأشعري: ابن تيمية  
 تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ت 728، **قال في  
 الفتاوى الحموية الكبرى ص70:** «قال أبو الحسن الأشعري  
 في كتابه الذي أسماه **(الإبانة في أصول الديانة)**، وقد ذكر  
 أصحابه أنه آخر كتاب صنّفه وعليه يعتمدون في الذب عنه عند من  
 يطعن عليه، فقال: فصل في إبانة قول أهل الحق والسنة». وذكر  
 ما في أول كتاب (الإبانة) بحروفه.

**وقال في الفتاوى الكبرى 15 / 334، 335 حاكياً ما جرى  
 له مع أهل نيسابور:** "وأما أهل بغداد فقد كانت الأشعرية  
 منتسبة إلى الإمام أحمد وسائر أئمة المساجد كما ذكره الإمام  
 الأشعري في كتاب **(الإبانة)**، وهذا هو الذي اعتمد عليه الحافظ ابن  
 عساكر في وصف اعتقاد الأشعري". وكان قد نقل عن بعض أئمة  
 العلم تنقاً من كتاب (الإبانة) في (الفتاوى الكبرى) 5 / 49، 112،  
 287، 341 وغيرها.. كما فعل - الشيء ذاته في عديد من كتبه  
 من غير ما ذكرنا

10، 11- وممن أشار إلى (الإبانة) وعزاها لأبي الحسن الأشعري:  
 الحافظ الذهبي ت 748، والإمام النووي ت 676، **يقول الذهبي  
 في كتابه (العلو للعلي الغفاري) ص160:** «وقال الأشعري  
 في كتاب **(الإبانة في أصول الديانة)** له، في باب الاستواء: فإن  
 قال قائل: ما تقولون في الاستواء؟ قيل: نقول: إن الله مستو على  
 عرشه كما قال: **الرحمن على العرش استوى** [طه:5]، إلى  
 آخر ما في **(الإبانة)**.. ثم قال: «وكتاب **(الإبانة)** من أشهر تصانيف  
 أبي الحسن الأشعري، شهره الحافظ ابن عساكر واعتمد عليه  
 ونسخه بخطه الإمام محيي الدين النووي». وذكر الذهبي عن  
 الحافظ أبي العباس أحمد بن ثابت الطرقي أنه قال: «قرأت في  
 كتاب أبي الحسن الأشعري الموسوم بـ **(الإبانة)** أدلة على إثبات  
 الاستواء».

12- وممن عزاها إلى أبي الحسن: شمس الدين أبو عبد الله  
 محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي المعروف بابن القيم الحنبلي  
 الدمشقي ت 751، **قال في كتابه (اجتماع الجيوش  
 الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية) ص112:** «قال  
 شيخ الإسلام ابن تيمية - يعني في الموافقة 2 / 11 - ولما رجع  
 الأشعري عن مذهب المعتزلة، سلك طريق أهل السنة والحديث،  
 وانتسب إلى الإمام أحمد بن حنبل كما قد ذكر ذلك في كتبه كلها، كـ  
**(الإبانة والموجز والمقالات)** وغيرها».

<sup>3</sup>(?) الذب عن أبي الحسن الأشعري لابن درباس ص103 وينظر الإبانة ت د.  
 حماد الأنصاري ص115.

قال ابن القيم معلقًا: «وأبو الحسن الأشعري وأئمة أصحابه كالحسن الطبري وأبي عبد الله بن المجاهد والقاضي أبي بكر الباقلائي، متفقون على إثبات الصفات الخيرية التي ذكرت في القرآن كالاستواء والوجه واليدين، وعلى إبطال تأويلها وليس للأشعري في ذلك قولان أصلاً، ولم يذكر أحد عن الأشعري في ذلك قولين».

كما عزاه له في مختصر الصواعق المرسله ص 28 فقال ما نصه: "وقد استدل السلف على إثبات العينين له تعالى بقوله: (تجري بأعيننا) [القمر: 14]، وممن صرح بذلك إثباتاً واستدلالاً: أبو الحسن الأشعري في كتبه كلها فقال في كتاب (المقالات) و(الإبانة) و(الموجز) وهذا لفظه فيها: (وإن له عينين بلا كيف كما قال: (تجري بأعيننا))، وعقب ابن القيم يقول: "فهذا الأشعري وغيره لم يفهموا من الأعين أعياناً كثيرة، ولا من الأيدي أيدياً كثيرة على شق واحد" إ.هـ. وكان مما نظمه - رحمه الله - في قصيدته النونية التي سماها الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية ص 68، 69 **قوله:**

والأشعري قال: تفسير	بحقيقة (استولى) من
هو قول أهل الاعتزال	بإع لجهم وهو ذو
في كتابه قد قال ذا من	و(إبانة) و(مقالة)
وحكا ابن عبد البر في	وكتاب (الاستذكار) غير
إجماع أهل العلم أن	ق العرش بالإيضاح
وأتى هناك بما شفى	لكنه مرض على
وكذا على الأشعري فإنه	في كتابه قد جاء
من (موجز) و(إبانة)	و(رسائل للثغر) ذات
وأتى بتقرير استواء	ق العرش بالإيضاح
وأتى بتقرير العلو	تقرير فانظر كتابه

13- والحافظ ابن كثير ت 774 في (طبقات الشافعية) في الطبقة الثالثة، فقد قال عن ثالث مراحل الأشعري التي مر بها: «والحالة الثالثة: إثبات ذلك كله من غير تكييف ولا تشبيه جرياً على منوال السلف، وهي طريقته في (الإبانة) التي صنفها آخرًا».

14- وممن نسبها إلى أبي الحسن الأشعري: ابن فرحون المالكي ت 799 قال في كتاب (الديباج) ص 193، 194: «ولأبي الحسن الأشعري كتب، منها كتاب (اللمع

الكبير) وكتاب (اللمع الصغير)، وكتاب (الإبانة في أصول الديانة) «أ.هـ.

15- والعلامة مرعي بن يوسف الكرمي المقدسي ت 1033، قال في كتابه (أقاويل الثقات) ص 145 عن الأشعري ما نصه: "وأطال الكلام في هذا وأمثاله في كتابه الذي سماه: (الإبانة في أصول الديانة)، وقد ذكر أصحابه - أي: الأشعري - أنه آخر كتاب صنفه، وعليه يعتمدون في الذب عنه عند من يطعن عليه" إ.هـ.

16- وأبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي ت 1098، قال في الجزء الثاني من كتاب (شذرات الذهب في أعيان من ذهب) 2 / 303: «قال أبو الحسن الأشعري في كتابه: (الإبانة في أصول الديانة) وهو آخر كتاب صنفه، وعليه يعتمد أصحابه في الذب عنه عند من يطعن عليه»، ثم ذكر فصلاً من الإبانة.

17- والسيد مرتضى الزبيدي ت 1145، قال في (إتحاف السادة المتقين بشرح أسرار علوم الدين) 2/2: «صنف أبو الحسن الأشعري بعد رجوعه من الاعتزال (الموجز) وهو في ثلاث مجلدات، كتاب مفيد في الرد على الجهمية والمعتزلة، و(مقالات الإسلاميين)، وكتاب (الإبانة)».

18 - وممن عزاها لأبي الحسن الأشعري من المعاصرين: محب الدين الخطيب، وذلك في تعليقه على (المنتقى) مختصر (منهاج السنة) لابن تيمية، قال بهامش ص 41، 43: «إن الأشعرية منسوبون إلى أبي الحسن الأشعري، وقد عَلِمَتْ أن أبا الحسن الأشعري كانت له ثلاثة أطوار: أولها: انتماؤه إلى المعتزلة.

والثاني: خروجه عليهم ومعارضته لهم بأساليب متوسطة بين أساليبهم ومذهب السلف.

والطور الثالث: انتقاله إلى مذهب السلف وتأليفه في ذلك كتابه (الإبانة) وأمثاله، وقد أراد أن يلقي الله على ذلك».

19- والدكتورة فويزة حسين فقد ذكرت الكثير ص 74 عن كتاب (الإبانة) الذي حققته وكان موضوع رسالتها في الدكتوراه.

20- ونختم من نسبوا الإبانة لأبي الحسن الأشعري، بالإمام العلامة الألويسي مفتي بغداد ومرجع أهل العراق ت 1270، لِمَا يحمله كلامه



من عتب على كل من اختلط عليه الأمر وقصد الحق وأخطأه.. **قال في (روح المعاني) 1/ 103:**

«والأشعري إمام أهل السنة، ذهب في النهاية إلى ما ذهبوا - يعني: أهل السنة من سلف المسلمين وأئمة الدين - إليه، وعوّل في (الإبانة) علي ما عوّلوا عليه، فقد قال في أول كتاب (الإبانة) الذي هو آخر مصنفاته:

(إن قال قائل: قد أنكرتم قول المعتزلة والقدرية والجهمية والحرورية والرافضة والمرجئة، فعرفونا قولكم الذي به تقولون وديانتكم التي بها تدينون، قيل له، قولنا الذي نقول به وديانتنا التي ندين بها: التمسك بكتاب الله وسنة النبي ﷺ، وما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون وبما كان عليه أحمد بن حنبل - نضر الله وجهه ورفع درجته وأجزل مثوبته - قائلون، ولمن خالف قوله مجانبون)<sup>(1)</sup>.

يقول الألووسي معلقاً على ما أوقعه أهل الكلام سلفاً وخلقاً على الأشعري من حيف عندما تجاهلوا عن قصد ما آل إليه أمر شيخهم: «والعجيب من علماء أعلام ومحققين فخام، كيف غفلوا عما قلناه، وناموا عما حققناه؟!، ولا أظنك في مرية منه وإن قل ناقلوه وكثر منكره»<sup>(2)</sup>.

ومن البدهية بمكان: القول بأن اعتراف أولئك الفضلاء بعزو (الإبانة) لأبي الحسن الأشعري، هو: اعتراف ضمني برجوعه عن مذهبي الاعتزال والكلابية اللذين ظل ردحاً من الزمن يدين بهما

<sup>1</sup>(?) الإبانة ص 47: 50.

<sup>2</sup>(?) ونذكر ممن لم ينأوا من الأعلام المحققين عما أشار الألووسي إليه هنا، فراح - من غير من ذكرنا - يكشف عن نسبة الإبانة للأشعري وأنه كان آخر مؤلفاته: شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (5/ 93، 6/359، 16/ 91)، والفتاوى الكبرى (6/ 369، 646)، ونقض التأسيس (1/83)، ومنهاج السنة النبوية (2/ 224، 600)، ودرء التعارض (2/ 146، 328، 3/ 344، 5/ 342)، والعقيدة الواسطية (ص8) وبيان تلبيس الجهمية (1/ 420، 2/ 27).. وابن قيم الجوزية في مختصر الصواعق 2/ 136.. والشيخ إبراهيم بن مصطفى الحلبي ت 1190 هـ في كتابه (اللمعة في تحقيق مباحث الوجود والحدوث والقدر وأفعال العباد) ص36.. والشيخ إبراهيم بن حسن الكوراني ت 1101 هـ كما في القول الجلي ص36 لسالم الدخيل، وذلك في بحث بمجلة كلية أصول الدين العدد الثاني 1399/ 1400 وهو ص216 في ترقيم صفحات المجلة.. والشيخ خالد النقشبندی الشافعي شيخ مشايخ الألووسي كما في جلاء العينين ص157 ط/ المدني.. والشيخ نعمان خير الدين الألووسي في كتابه جلاء العينين ص462.. وأما الذين ذكروا الإبانة ونسبوها إلى الأشعري من غير أن ينصوا على أنه آخر ما صنفه، فكثيرون.

رحمه الله قبل رجوعه لمذهب أهل السنة وسلف الأمة، وأن هذا الأخير هو الذي مات عنه وكان آخر ما آل أمره إليه.

يقول الحافظ الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الدمشقي الشافعي والمتوفى سنة 748، **يقول في كتابه (العلو للعلي الغفاري) ص 163 -** : «كان أبو الحسن أولاً معتزلياً أخذ عن أبي علي الجبائي، ثم نايزه ورد عليه وصار متكلماً للسنة، ووافق أئمة الحديث، فلو انتهى أصحابنا المتكلمون إلى مقالة أبي الحسن ولزموها، لأحسنوا ولكنهم خاضوا كخوض حكماء الأوائل في الأشياء، ومشوا خلف المنطق فلا قوة إلا بالله».

والسؤال الآن: أيصح - أخي القارئ الكريم المنصف - الطعن في شهادة كل هؤلاء الأفاذاذ من أئمة أهل العلم، وكلهم يعزو كتاب (الإبانة) - كذا بصريح اسمه - للأشعري رحمه الله؟! وماذا بقي لنا من ثقة في نقلة ديننا إذا لم يوثق في هؤلاء؟! وإذا كانت الأمور المتنازع عليها يُكتفى فيها شرعاً بشهادة رجلين عدول، فما يكون الحال بأولئك العشرين من أئمة الهدى؛ وثمة غيرهم من علماء الأمة وأرباب التراجم وأئمة أهل السنة والجماعة الكثير والكثير؟! (1)

<sup>1</sup>(?) ونذكر ممن اكتفى بالإقرار برجوع الأشعري لمذهب السلف دون أن ينص على عزو الإبانة إليه: أبا القاسم القشيري، قال فيما نقله عنه ابن عساكر في التبيين ص 95: «اتفق أصحاب الحديث أن أبا الحسن كان إماماً من أئمة أصحاب الحديث، ومذهبه مذهب أصحاب الحديث، تكلم في أصول الدين على طريقة أهل السنة ورد على المخالفين من أهل الزيغ والبدع، وكان على المعتزلة والمبتدعين من أهل القبلة والخارجين عن الملة سيقاً مسلوكاً، ومن طعن فيه أو قدح أو لعنه أو سبه فقد بسط لسان السوء في جميع أهل السنة».. وأبا الحسن القيرواني المعروف بابن القابسي، قال فيما نقله عنه ابن عساكر في التبيين ص 89: «لقد مات الأشعري يوم مات وأهل السنة باكون عليه، وأهل البدع مستريحون منه».

ومن المعاصرين: د. راجح عبد الحميد الكردي أستاذ العقيدة في الجامعة الأردنية، وذلك في كتابه (علاقة صفات الله تعالى بذاته)، وحكمي في (معارج القبول) (1/346)، وابن حجر آل بوطامي في (العقائد السلفية) (1/143)، والعثيمين في (القواعد المثلى) (ص: 80-81)، ود. مصطفى حلمي في (ابن تيمية والتصوف) (ص: 16) وفي (قواعد المنهج السلفي) ط الثانية (ص: 30).. ومن الباحثين: هادي طالبي في رسالته: (أبو الحسن الأشعري بين المعتزلة والسلف) (ص: 39) وما بعدها، و خليل إبراهيم الموصلي في رسالته: (بين أبي الحسن الأشعري والمنتسبين إليه في العقيدة) (ص: 39) وما بعدها، ومحمد باكريم باعبد الله في (مقدمة تحقيقه لكتاب الرد على من أنكر الحرف والصوت للسجزي) (ص: 8) من الدراسة وما بعدها.. وغيرهم كثير.

## ج- الأشعري يدحض بأدلة العقل والنقل شبهات مدعي الانتساب إليه:

ونتخير من بين ما تبناه متأخرو الأشاعرة وكان رد الأشعري عليه تبعًا لأهل السنة فاحمًا، وفيه بدأ عوار الأشعرية العقدي في باب توحيد الله في صفاته: (صفة الكلام) وهي صفة من صفات الله الخبرية والفعلية.. ففي تقرير مذهب متأخري الأشعرية، **يقول البيجوري عن صفة كلامه تعالى**: إنها "صفة أزلية قائمة بذاته تعالى، ليست بحرف ولا صوت، منزهة عن التقدم والتأخر والإعراب والبناء" .. إلى أن قال:

"واعلم أن كلام الله يطلق على الكلام النفسي.. وعلى الكلام اللفظي بمعنى: أنه خلقه.. ومع كون اللفظ الذي نقرأه حادثًا لا يجوز أن يقال: (القرآن حادث إلا في مقام التعليم).. ويصح أن يبدل الكلام اللفظي على النفسي دلالة عقلية التزامية بحسب العرف، وقد أضيف له تعالى كلام لفظي كالقرآن، فإنه كلام الله، بمعنى: أنه خلقه في اللوح المحفوظ، فدل التزامًا على أن له تعالى كلامًا نفسيًا.. وهذا هو المراد بقولهم: القرآن حادث ومدلوله قديم" إ.هـ.

ولأجل أن الأشاعرة لم يُثبتوا لله من الكلام سوى (النفسي) منه، لم يدرجوا هذه الصفة ضمن (صفات الأفعال)، بزعم أن اللفظي من هذه الصفة منفصلة عنه وأن كلامه يتضمن معنى قائمًا بذاته هو ما خلقه في غيره، فنفوا بذلك أن يكون متكلمًا متى شاء وأين شاء وإذا شاء وكيف شاء.. ولأجله كذلك لم يُعدّوا القرآن كلام الله؛ وأحالوا عليه تعالى الكلام اللفظي لمشابهتهم - باعتقادهم - بالحوادث، ونزهوا كلامه عن الحرف والصوت بحجة أن كلامه ليس ألفاظًا مرتبة، إذ الألفاظ لا بد فيها من الترتيب فلا يُنطق بالحرف الثاني إلا إذا انقضى الحرف الأول وهكذا، ولا بد فيها من الإعراب والبناء ليُفهم المقصود، كما لا بد فيها من السكوت بين بعض الكلمات وبعضها، وكل ذلك منفي عن (الكلام النفسي).. وفي ذلك يقول البيجوري - في شرح ما نظمه اللقاني بقوله:-

ونزّه القرآن أي كلامه عن الحدوث واحذر

فكل نص للحدوث دلا ' احمل على اللفظ الذي

"أي: واعتقد أيها المكلف؛ تنزه القرآن - بمعنى كلامه تعالى بالمعنى المجازي - عن الحدوث، خلًا للمعتزلة القائلين بحدوث الكلام زعمًا منهم أن من لوازمه: الحروف والأصوات وذلك مستحيل عليه تعالى، فكلام الله عندهم مخلوق؛ خلقه الله في بعض الأجرام، ومذهب أهل السنة - يقصد الأشاعرة- أن القرآن



بمعنى الكلام النفسي- ليس بمخلوق، وأما القرآن بمعنى اللفظ الذي نقرؤه، فهو مخلوق، لكن يمتنع أن يقال ذلك إلا في مقام التعليم."

كذا بما يعني: إحالة أن يكون القرآن كلام الله، كونه بالحرف والصوت واللفظ، وهي أمور حادثة، وبحجة أن هذا مذهب للمعتزلة، وادعاء أن أهل السنة على التفرقة بين كلام الله وقرآنه؛ وأن القرآن بمعنى اللفظ الذي نقرأه مخلوق، وأن المنزل منه هو المعنى؛ وقد "عبر عنه جبريل بالفاظ من عنده، وقيل: عبر عنه النبي بالفاظ من عنده" وتلك عبارة البيجوري ص104.

وهو وإن ساقها بحق النبي عليه السلام بطريق التمريض إلا أن المؤدى واحد، وهو: القول بالتفرقة بين كلام الله النفسي المنزل عن الحدوث وعن الحرف والصوت، وبين قرآنه المنزل بهما وباللفظ والمعنى، إذ الأخير منهما عندهم وعلى حد قوله، "خلقه الله أولاً في اللوح المحفوظ، ثم أنزله في صحائف إلهي سماء الدنيا.. ثم أنزله على النبي مُفَرَّقًا بحسب الوقائع.. وأن كل ظاهر من الكتاب والسنة دل على حدوث القرآن، هو محمول على اللفظ المقروء لا على الكلام النفسي، لكن يمتنع أن يقال القرآن مخلوق إلا في مقام التعليم".

وهذا كلام له خطورته ويستوجب نسف مذهب الأشعرية بالكلية ونبذه، والاستعاضة عنه بمعتقد أهل السنة.. إذ لا يعني ما ذكره أولئك المنتظرون واعتقدوه واعترفوا به، سوى اتفاق الأشاعرة والمعتزلة في نفي أن يكون الله متكلمًا بمشيئة، وأن القرآن المنزل - وهو عبارة عنه- مخلوق، وأن الكلام اللفظي محال عليه تعالى لحدوث ذلك بزعمهم، وأن الخلاف فيما بينهما هو في إثبات الكلام النفسي أو نفيه، فلو اعترف المعتزلة به لانتهى الخلاف.

### وكلُّ هذا يَرُدُّ عليه:

- 1- دحض الأشعري نفسه لقول أولئك الذين ادعوا شرف الانتساب إليه؛ إذ هو منهم براء براءة الذئب من دم ابن يعقوب.
- 2- وإجماع أهل السنة على أن القرآن بمعانيه وألفاظه هو من كلام الله.
- 3- وعلى عدم تفريقهم بين ما إذا قيل ذلك في مقام التعليم أو غيره.

4- وعلى أن عبارات: (لفظُ القرآن من خلق الله)، (الألفاظ المتلوة مخلوقة لله فهي حادثة)، (مخلوقة له سبحانه)، (خلقه في



اللوح المحفوظ)، (القرآن حادث)؛ من البدع المنكرة لما يعتورها من الإلباس والإيهام.

وسياتي بيان أن الأشاعرة قلدوا المعتزلة في أن القرآن بلفظه مخلوق، وأنهم لم يستوعبوا كلام أهل السنة في هذه القضية، وأن القرآن في عقيدة أهل السنة هو المنزل من عند الله على محمد ﷺ بواسطة جبريل عليه السلام.. والذي يعيننا هنا هو:

**= دحض الأشعري - وهو على مذهب أهل السنة - لقول من ادعوا شرف الانتساب إليه:**

ففي كتابه الإبانة ص 46 يُحمل الأشعري قول المنكرين لصفة الكلام وغيرها من صفات الخير والفعل، ويُرجع ذلك إلى الهوى وتقليد من سبقوهم، فينص على "أن كثيرًا من الزائغين عن الحق من المعتزلة مالت بهم أهواؤهم إلى تقليد رؤسائهم ومن مضى من أسلافهم، فتأولوا القرآن على آرائهم تأويلًا لم يُنزل الله به سلطانًا، ولا أوضح به برهاتًا، ولا نقلوه عن رسول رب العالمين ولا عن السلف المتقدمين.. ودانوا بـ (خلق القرآن) نظيرًا لقول إخوانهم من المشركين الذين قالوا: **إن هذا إلا قول البشر** [المدثر: 25]، فزعموا أن القرآن كقول البشر".

وفي تفاصيل ما ذكره أولئك الزائغون يستعرض الأشعري مقولاتهم، فيذكر في (مقالات الإسلاميين) ص 40 اختلاف الروافض في (القرآن)، ويوضح أنهم كانوا في ذلك فرقتين: "الفرقة الأولى: منهم هشام بن الحكم وأصحابه، يزعمون أن القرآن لا خالق ولا مخلوق.. والفرقة الثانية منهم: يزعمون أنه مخلوق مُخَدَّث لم يكن ثم كان، كما تزعم المعتزلة"، وهو ما آل إليه كلام الأشاعرة على نحو ما أوضحنا.. كما حكا بعدُ ص 124 عن الخوارج قولهم: "بخلق القرآن".

ثم راح ص 186، 191، 225، 516، 582 يستعرض أقوال المعتزلة، ويكشف أنهم قد اختلفوا في صفات الأفعال على ثلاث فرق.. واختلفوا في كلامه تعالى هل هو جسم أم ليس بجسم؟ على ستة أقاويل، وهل هو حروف أم لا؟ على مقالتين.. وهل القراءة حكاية للقرآن أم لا؟ على قولين.. وفي صحة أن يقال أن الباري متكلم أو مُكلم على أقوال.. وفي أن القرآن مُخَدَّث، كان بعد أن لم يكن؟ إلى آخر هذه التشقيقات التي لا طائل من ورائها والتي تأثر الأشاعرة - ولا يزالون - بكثيرٍ منها.

وعما كان عليه أمر أولئك المعتزلة -الذين فرّقوا بين اتصافه تعالى بـ(العلم) واتصافه بـ(الكلام)، فأثبتوا الأول ونفوا الثاني تارة، وأثبتوها ونفوا عنهما أن يكون - سبحانه - عالمًا بعلم متكلمًا



بكلام، تارة أخرى - **طفقة الأشعري في الإبانة ص 96** يكشف عوارهم قائلاً: "ويقال لهم: خبرونا عمن زعم أن الله (متكلم) (قائل)، (أمر) (ناه)، (لا قول له، ولا كلام، ولا أمر له، ولا نهى)، أليس هو مناقض خارج عن جملة المسلمين؟ فلا بد من: (نعم)، يقال لهم: فكذلك من قال: (إن الله عالم ولا علم له)، كان ذلك مناقضا خارجا عن جملة المسلمين".

**قال:** "وقد فرقوا بين (العلم) و(الكلام).. فيقال لهم: أليس الله عالمًا، والوصف له بأنه عالم أعم من الوصف له بأنه متكلم مكرم؟، فلم لا قلتم: إن الكلام لا ينفي أن يكون لله علم، كما لم ينف بخصوص الكلام أن يكون الله عالمًا؟" إ.هـ

على أن قول الأشعري في مقالات الإسلاميين ص 298 عن أصحاب ابن كلاب: (إنهم يقولون بأكثر ما ذكرناه عن أهل السنة)، إنما يعني به ما وافق الكلابية فيه أهل السنة من إثبات ما نفاه المعتزلة من أسماء الله وصفات المعاني، غير أن الأشعري زاد على ذلك: ما أقره السلف من نفي مجمل وإثبات مفصل لسائر ما ثبت لله من الصفات الخيرية والفعلية، وهو ما استقر عليه أمره بعد تراجع عن مذهب شيوخه ابن كلاب من أن "أهل السنة وأصحاب الحديث.. لم يقولوا شيئًا إلا ما وجدوه في الكتاب أو جاءت به الرواية عن رسول الله"، كذا في (مقالات الإسلاميين) ص 211، وبنحوه في ص 217.

وكما هو ملاحظ فإن هذا جاء منه على وجه الإجمال، وبنحوه في الإبانة ص 50، قوله: "ونقول: إن كلام الله غير مخلوق، وأنه - سبحانه - لم يخلق شيئًا إلا وقد قال له (كن).. ونقول: إن من قال بخلق القرآن فهو كافر".

أما تفصيل ذلك، فهو: ما حكاه الأشعري في (المقالات) ص 290 وما بعدها، من (جملة قول أصحاب الحديث وأهل السنة)، وفيها بعد إثبات جميع ما أثبتته تعالى لنفسه وأثبتته له رسوله: "أن القرآن كلام الله غير مخلوق، وأن من قال باللفظ والوقف فهو مبتدع، لا يقال اللفظ بالقرآن مخلوق ولا يقال غير مخلوق" إ.هـ.

وما سطره في الباب الثاني ص 65 وما بعدها من كتابه (الإبانة) فيما عنون له بباب (الكلام في: أن القرآن كلام الله غير مخلوق)، إذ يقول: "إن سأل سائل عن الدليل على أن القرآن كلام الله غير مخلوق، قيل له: الدليل على ذلك قوله تعالى: **ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره** [الروم: 25]، وأمر الله - الذي هو قوله: (كن)- كلامه، فلما أمرهما بالقيام، كان قيامهما بأمره.. وقال: **ألا له الخلق والأمر** [الأعراف: 54]، فالخلق جميع ما



خلق، ولما قال: (والأمر) ذكر أمرًا غير جميع الخلق، فدل على أن أمر الله غير مخلوق، وأبان الأمر من الخلق، وأمر الله كلامه، وهذا يوجب أن كلام الله غير مخلوق.. وقال: **لله الأمر من قبل ومن بعد** [الروم: 4]، يعني: من قبل أن يخلق الخلق ومن بعد ذلك، وهذا يوجب أن (الأمر) غير مخلوق"، إلى آخر ما سنذكره له في كتابه الموسوم بـ (الإبانة عن أصول الديانة)، محل هذا التحقيق.

**د- عبارات أئمة أهل السنة في ذم (الأشعرية) بالاسم، وفي ردّ ترهاتهم ودحض حججهم:**  
ونقتطف من عبارات السلف في نقض معتقدات (الطائفة السبعية) الباطلة:

(1) ما ذكره ابن سريج إمام الشافعية في وقته والذي إليه - علي حد قول الذهبي - المنتهى في معرفة المذهب ت306، قال<sup>(1)</sup>:  
"قد صح وتقرر واتضح عند جميع أهل الديانة والسنة والجماعة من السلف الماضين والصحابة والتابعين من الأئمة المهتدين الراشدين المشهورين إلى زماننا هذا، أن جميع الآي الواردة عن الله تعالى في ذاته وصفاته، والأخبار الصادقة الصادرة عن رسول الله ﷺ في الله وفي صفاته التي صححها أهل النقل وقيلها النقاد الأثبات، يجب على المرء المسلم المؤمن الموفق، الإيمان بكل واحد منها كما ورد، وتسليم أمره إلى الله كما أمر.. وجميع ما لفظ به المصطفى من صفاته.. اعتقادنا فيه:

أن نقبلها ولا نردّها، ولا نتأولها بتأويل المخالفين، ولا نخمّلها على تشبيه المشبهين، ولا نزيد عليها ولا ننقص منها، ولا نفسرها - يعني تفسيرًا يخرجها عن ظاهر معناها كما كان يفعل جهم وأتباعه - ولا نكيفها، ولا نترجم عن صفاته بلغة غير العربية، ولا نبشير إليها بخواطر القلوب ولا بحركات الجوارح، بل نطلق ما أطلقه الله ونفسر ما فسره النبي وأصحابه والتابعون والأئمة المرضيون من السلف المعروفين بالدين والأمانة، ونُجمع على ما أجمعوا عليه، ونُمسك عما أمسكوا عنه، ونُسلم للخبر الظاهر والآية الظاهر تنزيلها، لا نقول بتأويل المعتزلة والأشعرية والجهمية والملجدة والمجسمة والمشبهة والكرّامية والمكيفة، بل نقبلها بلا تأويل ونؤمن بها بلا تمثيل، ونقول: الإيمان بها واجب، والقول بها سنة، وابتغاء تأويلها بدعة "أ.هـ.

<sup>1</sup>(?) فيما نقله عنه ابن قدامة في (ذم التأويل) ص29 والحافظ الذهبي في (العلو) ص152 وبمختصره ص226 وهو بتمامه في اجتماع الجيوش ص62: 64



(2) وما ذكره الإمام الجويني ت438 حاكياً عن تجربته وما آل إليه أمره، قال: «كنت متحيراً في الأقوال المختلفة الموجودة في كتب أهل العصر من تأويل الصفات وتحريفها، أو إمرارها والوقوف فيها، أو إثباتها بلا تأويل ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل، فأجد النصوص في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ناطقة منبئة بحقائق هذه الصفات.. ثم أجد المتأخرين من المتكلمين في كتبهم، منهم من يؤول (الاستواء): ب (القهر والاستيلاء)، ويؤول (النزول): ب (نزول الأمر)، وأمثال ذلك، ثم أجدهم مع ذلك يجعلون كلام الله معنى قائماً بالذات بلا حرف ولا صوت ويجعلون هذه الحروف عبارة عن ذلك المعنى القائم، وممن ذهب إلى هذه الأقوال أو بعضها قوم لهم في صدري منزلة.. ولي فيهم الاعتقاد التام لفضلهم وعلمهم.

ثم إنني مع ذلك أجد في قلبي من هذه التأويلات حزازات لا يطمئن قلبي إليها، وأجد الكدّر والظلمة منها، وأجد ضيق الصدر وعدم انشراحه مقروناً بها.. وكنت أخاف من إطلاق القول بإثبات العلو والاستواء والنزول مخافة الحصر والتشبيه، ومع ذلك فإذا طالعت النصوص الواردة في كتاب الله وسنة رسوله أجدها نصوصاً تشير إلى حقائق هذه المعاني.. ثم لا أجد شيئاً يعقب تلك النصوص لا نصّاً ولا ظاهراً مما يصرفها عن حقائقها ويؤولها كما تأولها هؤلاء المتكلمين، ولم أجد عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان يُحذّر الناس من الإيمان بما يظهر من كلامه في صفته لربه من الفوقية واليدين وغيرها، ولم يُنقل عنه مقالة تدل على أن لهذه الصفات معانٍ آخر باطنة غير ما يظهر من مدلولها، وأجد الله يقول: **الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى** [طه:5]، وذكر النصوص في ذلك، ثم استطرده يقول:

"والذي شرح الله به صدري في حال هؤلاء الشيوخ الذين أولوا.. هو: علمي بأنهم ما فهموا في صفات الربِّ إلا ما يليق بالمخلوقين، فما فهموا عن الله استواءً يليق به، ولا نزولاً يليق به، ولا يدين تليق بعظمته بلا تكيف ولا تشبيه، فلذلك حرفوا الكلم عن مواضعه، وعطلوا ما وصف الله نفسه به"<sup>(1)</sup> إلى آخر ما جاء في حكايته التي فصلنا القول فيها بكتابنا (سيراً على خطا الأشعري)، فلتراجع هنالك.

(3) وما ذكره القاضي أبو يعلى ت458 في كتابه (إبطال التأويلات) ص26، 42، 43، قال - إبان سوقة لعبارات أئمة السنة

<sup>1</sup>(?) ينظر رسالته (في إثبات الاستواء والفوقية) ضمن (مجموعة الرسائل المنيرية) 1/ 176-184 مجلد1، أو (النصيحة في صفات الرب سبحانه وتعالى) ت زهير الشاويش.

في إثبات الصفات وحملها على ظاهرها، وقد نقله عنه الذهبي في (العلو) ص 183 وهي بمختصر ص 270-:

إنه "لا يجوز رد هذه الأخبار على ما ذهب إليه جماعة من المعتزلة، ولا التشاغل بتأويلها على ما ذهب إليه الأشعرية، والواجب حملها على ظاهرها وأنها صفات لله تعالى لا تشبه صفات الموصوفين بها من الخلق، ولا نعتقد التشبيه فيها، لكن ما روي عن أئمة أصحاب الحديث: أنهم حملوها على ظاهرها.. ويدل على إبطال تأويلها أن الصحابة ومن بعدهم حملوها على ظاهرها ولم يتعرضوا لتأويلها ولا صرفها عن ظاهرها، فلو كان التأويل سائغاً لكانوا إليه أسبق لما فيه من إزالة التشبيه.. كما يدل على إبطاله: أن من حمل اللفظ على ظاهره حمله على حقيقته، ومن تأول عدل به عن الحقيقة إلى المجاز، ولا يجوز إضافة المجاز إلى صفاته"، "يعني: على زعم من قال: إن (ظاهرها تشبيهه)" وتلك عبارة الذهبي الذي علق يقول:

"المتأخرون من أهل النظر قالوا مقالة مؤلدة، ما علمتُ أحداً سبقهم بها، قالوا: هذه الصفات تمر كما جاءت ولا تؤول، مع اعتقاد أن ظاهرها غير مراد، فتفرع من هذا أن الظاهر يُعني به أمران:

**أحدهما:** أنه لا تأويل لها غير دلالة الخطاب كما قال أئمة أهل السنة: (الاستواء معلوم)، وكما قال سفيان وغيره: (قراءتها تفسيرها)، يعني أنها بينة واضحة في اللغة، لا يُتغى لها مضايق التأويل والتحريف، وهذا هو مذهب السلف، مع اتفاقهم أيضاً على أنها لا تشبه صفات البشر بوجه، إذ الباري لا مثل له لا في ذاته ولا في صفاته.

**الثاني:** أن ظاهرها هو الذي يتشكل في الخيال من الصفة، كما يتشكل في الذهن من وصف البشر، فهذا غير مراد، فإن الله تعالى فرد صمد ليس له نظير، وإن تعددت صفاته فإنها حق، ولكن ما لها مثل ولا نظير، فمن ذا الذي عاينه ونعته لنا؟! ومن ذا يستطيع أن ينعت لنا كيف سمع كلامه، ووالله إنا لعاجزون، وكالون حائرون باهتون في حد الروح التي فينا، وكيف تعرج كل ليلة إذا توفاهها بارئها وكيف يرسلها وكيف تستقل بعد الموت؟»<sup>(1)</sup> إ.هـ.

<sup>1</sup>(?) على أن كلام الذهبي هذا الذي يمثل القول الفصل في قضية الصفات، حجة على الأشاعرة، ذلك أنهم وإن كانوا يعتقدون بأن ظاهرها لا يتشكل في الخيال، إلا أنهم حرّفوها وابتغوا لها مضايق التأويل، وإنما أردنا بهذا: التنبيه على أنهم في ذلك على خلاف مع السلف، وألا يحتج علينا أحد بأن ما بينهما مجرد خلاف لفظي.

(4) ولابنه أبي الحسين محمد بن أبي يعلى صاحب (طبقات الحنابلة) ت526 قوله في كتاب (الاعتقاد): "أول ما نبداً بذكره، ذكر ما افترض الله على عباده وبعث به رسوله وأنزل فيه كتابه، وهو الإيمان بالله.. ثم الإيمان بأن الله واحد لا يشبهه شيء.. وأن ما وقع في الوهم فالله وراء ذلك"، إلى أن قال ص41 وبعد ذكر جملة من الصفات وأمور الاعتقاد: "ويجب هجران أهل البدع والضلال كالمشبهة والمجسمة والأشعرية والمعتزلة والرافضة والمرجئة والقدرية والجهمية والخوارج.. وبقية الفرق المذمومة".

(5) وفي كلام له أهميته يقول الأصبهاني إمام الشافعية في وقته ت535، في كتابه (الحجة) 1/429 ما نصه: "القرآن كلام الله منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، تكلم به في القدم بحرف وصوت، حرفٌ يُكتب وصوتٌ يُسمع ومعنى يُعلم، وقالت المعتزلة: القرآن مخلوق، وقالت الأشعرية: كلام الله ليس بحرف ولا صوت، وإنما هو معنى قائم في نفسه لم ينزل على نبينا ولا على غيره، وما نقرأه هو عندهم مخلوق، فالدلالة على بطلان قول المعتزلة - وكذا الأشعرية - النافين عن كلامه تعالى اللفظ، والذاهبين إلى أن الله خلقه في اللوح ثم إلهمه جبريل الذي نزل به على محمد عليهما السلام، والمنكرين أن يكون بلفظ وصوت وحرف :-

قوله تعالى: **﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾** [النحل: 40]، فأخبر تعالى أنه كَوَّن الأشياء بـ (كن)، فلو كانت (كن) مخلوقة لاحتاجت إلى (كن) أخرى تُخلق بها، وأخرى إلى أخرى إلى ما لا نهاية، فيُفضي إلى قَدَم المخلوقات.. وقوله تعالى: **﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾** [التوبة: 6]، والمسموع إنما هو الحرف والصوت لا المعنى، لأن العرب تقول: (سمعتُ الكلام وفهمتُ المعنى)، ولا تقول: (سمعتُ المعنى)، فلما قال: (حتى يسمع) دل على أنه الحرف والصوت، ولو كان ما سمعوه من النبي ليس بكلام الله لم تحصل الاستجارة لهم.. ولأنه تعالى قال: **﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ﴾** [القصص: 30]، والنداء عند جميع أهل اللغة لا يكون إلا بحرف وصوت"، إلى أن قال: "وقد أجمع أهل العربية أن ما عدا الحروف والأصوات ليس بكلام حقيقة"، وساق على ذلك المزيد من الأدلة.

وبنحو ما سبق فيما جرى بين الأشعرية والمعتزلة من لغط في حدِّ الكلام، أفضى بالجميع إلى إنكارهم كلام الله على حقيقته؛ جعل الأصبهاني يكرر ويؤكد في الحجة 2/516 ما سبق أن قرره بشأن اختلاف المتكلمين في حدِّ المتكلم، فيقول: "اختلف المتكلمون في حدِّ المتكلم، فقال الأشعرية: (حدُّه: مَنْ قام الكلام بذاته)، وقالت



المعتزلة: (حُدُّه: مَنْ وُجِدَ مِنْهُ الْحَرْفُ وَالصَّوْتُ)<sup>(1)</sup>، واتفق أهل العلم فيمن حلف بالطلاق ألا يتكلم فقرأ القرآن، لم يحنث<sup>2</sup>، يعني: لكون القرآن المقروء ليس بكلامه وإنما هو كلام الله، ولكون القراءة التي هي من فعل القارئ غير المقروء.

كما اتفقوا على أنه لا يصح أن يكون المتكلم متكلمًا بكلام يقوم بغيره<sup>(2)</sup>، وأن لو صح ذلك للزم أن يكون ما أحدث من الكلام في الجمادات كلامه! وكذلك ما خلقه في الحيوانات، ولا يُفَرِّق حينئذ بين (نطق) و(أنطق)، وإنما قالت الجلود: **أنطقنا الله** [فصلت: 21]، ولم تقل نطق الله، بل يلزم أن يكون متكلمًا بكل كلام خلقه في غيره، زورًا كان هذا الكلام أو كفرًا أو هذيانًا.

ثم إنه لو صح أن يوصف أحد بصفة قامت بغيره، لصح أن يقال للبصير: (أعمى)، وللأعمى: (بصير)، لأن البصير قد قام وصف العمى بغيره، والأعمى قد قام وصف البصير بغيره، ولصح أن يوصف الله تعالى بالصفات التي خلقها في غيره من الألوان والروائح والطعوم والطول والقصر ونحو ذلك<sup>(3)</sup>، تعالى الله عن كل ذلك علوًا كبيرًا.. وردَّ أهل العلم على ما ذكروه يتلخص في: إثبات صفة الكلام له تعالى، وأن الله متكلم بكلام ذي حرف وصوت لا يشبه كلام المخلوقين، ولا يشبه حروفهم ولا أصواتهم.

كما ردَّ الأصبهاني في الجزء الثاني ص 168 من نفس المصدر على من أنكر أن يكون ما في المصحف قرآنًا، بزعم أن في المصحف الجبر والكاغد<sup>(4)</sup>، وذكر أن هذا يقال له: "إن كل عاقل يعلم أنهما لا يكون قرآنًا، ولكن الجبر إذا كتب به القرآن فتلك الكتابة تسمى قرآنًا، لأن بها يتوصل إلى قراءة القرآن وإظهاره والإخبار عنه.. ألا ترى لو أن حالفًا حلف ألا يقرأ القرآن ولا ينظر فيه، فقرأ كتابه القرآن في المصحف ونظر فيه حنث في يمينه، كما أنه لو حلف ألا يضرب زيدًا الذي هو اسمه فضرب شخصه حنث في يمينه؟".

<sup>(1)</sup> وإنهم لذلك ينفون عن الله صفة الكلام زعمًا منهم أن في ذلك تنزيهه تعالى عن صفات المخلوقين.

<sup>(2)</sup> كما زعم الماتريدية أن كلامه تعالى يتضمن معنى قائمًا بذاته هو ما خلقه في غيره، فأنكروا بذلك أن يكون تعالى كلم موسى تكليمًا، وهو قريب من كلام المعتزلة إن لم يكن عينه، والحق أن "لو كان كلام الله لموسى مخلوقًا في شجرة كما زعموا، للزمهم أن تكون الشجرة بذلك الكلام متكلمة، ووجب عليهم أن مخلوقًا من المخلوقات كلم موسى وقال له: **إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني** [طه: 14]، وهذا ظاهر الفساد" على ما قرره أهل العلم في تفسير قوله تعالى: **وكلم الله موسى تكليمًا** [النساء: 164].

<sup>(3)</sup> كذا ذكره ابن أبي العز ص 110

<sup>(4)</sup> يعني: القرطاس أو الورق الذي يكتب فيه كلام الله

قال: "وإذا قال المبتدع: (ليس في المصحف قرآن)، فقد خالف الإجماع أنه مصحف القرآن، ولا يجوز أن يسمى مصحف القرآن وليس فيه قرآن، لأنه لو لم يكن فيه قرآن كان من سمّاه: (مصحف القرآن) كاذبًا، فإضافة المصحف إلى القرآن إنما تصح إذا كان فيه القرآن، لأن الحروف والكلمات والآيات والصور المكتوبة في المصحف من نفس القرآن وعينه، لأنها حروفه وكلماته وسوره، وإذا عُذَّت قيل: عُذَّت حروف القرآن وكلماته وسوره، حتى لو أن حالًا حلف أنه لا يتلفظ بالقرآن أو بآية من آياته أو سورة من سوره، فقرأ الكتابة أو تلفظ بتلك الحروف أو ببعض ذلك كان حائثًا في يمينه، لأنه تلفظ بما هو قرآن".

كما طفق رحمه الله 2/ 199 ينكر قول "الأشعرية: (كلام الله واحد)، وأنهم قالوا: (ما بين اللوحين حكاية عن كلام الله وعبارة عنه)"، وساق الأدلة في رد قولهم هذا بما يُقوّي مذهب السلف ومعتقدهم.

وتحت ما عقده 2/ 81 بعنوان: (باب في بيان استواء الله عز وجل على العرش)، أدرج الأصبهاني بعض أي التنزيل، ثم تطرق فيما تطرق، إلى معاني الاستواء لدى مثبتي أهل السنة والمتأولين، قائلًا وبنفس المصدر 2/ 112: "قال علماء أهل السنة: إن الله عز وجل على عرشه يائن من خلقه، وقالت المعتزلة: هو بذاته في كل مكان، وقالت الأشعرية: الاستواء عائد على العرش.. **وقال بعضهم: (استوى) بمعنى: (استولى) وساق في ذلك البيت المصنوع:**

استوى بشر على العراق من غير سيف ولا دم

**ثم قال في رد ما فاه به الأشعرية من ان الاستواء عائد إلى العرش**<sup>(1)</sup>: "لو كان كما قالوا لكانت القراءة برفع العرش، فلما كانت القراءة بخفض العرش دل ذلك على أنه عائد إلى الله تعالى.. ثم إن (الاستيلاء) لا يوصف به إلا من قدر على الشيء بعد العجز عنه، والله تعالى لم يزل قادرًا على الأشياء ومستوليًا عليها، ألا ترى أنه لا يوصف (بشر) بالاستيلاء على العراق إلا وهو عاجز عنه قبل ذلك".

واستطرد الأصبهاني في رد دعاوى الأشاعرة يقول: "وزعم هؤلاء أن معنى: **الرحمن على العرش استوى** [طه: 5] أي: (ملكه)، وأنه لا اختصاص له بالعرش أكثر مما له بالأماكن، وهذا إلغاء لتخصيص العرش وتشريفه.. قال أهل السنة: خلق الله السماوات والأرض وكان عرشه على الماء مخلوقًا قبل خلق السماوات والأرض، ثم استوى على العرش بعد خلقهما على ما

<sup>1</sup>(?) ينظر في هذا غاية المرام ص141، والاقتصاد في الاعتقاد ص104 وأصول الدين ص122.



ورد به النص، وليس معناه المماساة، بل هو مستوٍ على عرشه بلا كيف كما أخطر عن نفسه.

وزعموا أن ذلك بمعنى: (علو الغلبة) لا (علو الذات)، وعند المسلمين أن لله العلو من سائر وجوه العلو؛ لأن العلو صفة مدح، فثبت أن لله (علو الذات) و(علو الصفات) و(علو القهر والغلبة).. وجماهير المسلمين وسائر الملل قد وقع منهم الإجماع على الإشارة إلى الله من جهة الفوق في الدعاء والسؤال، فاتفقهم بآجمعهم على ذلك حجة، ولم يستجز أحد منهم الإشارة إليه من جهة الأسفل ولا من سائر الجهات سوى جهة الفوق، وساق رحمه الله في ذلك الآيات والأحاديث.

(6) وفي كتابه (الغنية) ص 73 يقول عبد القادر الجيلاني شيخ الزهادت 561<sup>(1)</sup> في بيان ما عليه أهل السنة: "وهو جل جلاله.. يعلم كل شيء، لا يخفى عليه شيء، وهو منزّه عن مشابهة خلقه، ولا يخلو من علمه مكان، ولا يجوز وصفه بأنه في كل مكان، بل يقال: إنه في السماء على العرش كما قال جل ثناؤه: **الرحمن على العرش استوى** [طه: 5]، وقال: **إليه يرفع الكلام الطيب والعمل الصالح يرفعه** [فاطر: 10]، يعني خلافاً للمجسمة والأشعرية والمعتزلة الذين ساق كلامهم ص 114 من الغنية قائلاً:

"وينبغي إطلاق صفة الاستواء من غير تأويل، وأنه استواء الذات على العرش، لا على معنى القعود والمماساة كما قالت المجسمة والكّرامية، ولا على معنى العلو والرفعة كما قالت الأشعرية، ولا على معنى الاستواء والغلبة كما قالت المعتزلة، لأن الشرع لم يرد بذلك، ولا يُقل عن أحد من الصحابة والتابعين من السلف الصالح من أصحاب الحديث ذلك.. وكونه - سبحانه - على العرش، مذكور في كل كتاب أنزل على كل نبي أرسل بلا كيف".

**ويقول ص 74 بنفس المصدر:** "وأنه تعالى ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا، كيف شاء وكما شاء، فيغفر لمن أذنب، لا بمعنى نزول الرحمة وثوابه كما ادعته المعتزلة والأشعرية، للأحاديث الصحيحة في ذلك"، ثم ذكر الأحاديث والآثار في هذا.. وفي ص 77 وما بعدها ما نصه - بعد حديث طويل عن صفة الكلام وأن القرآن غير مخلوق -:

"ونعتقد أن القرآن حروف مفهومة وأصوات مسموعة، لأن بها يصير الأخرس والساكت متكلمًا ناطقًا، وكلام الله عز وجل لا ينفك عن ذلك، فمن جحد ذلك فقد كابر حسه وعميت بصيرته قال الله

<sup>(1)</sup>(?) وقد نقله عنه بتصريف شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى 5/ 85 وابن القيم في اجتماع الجيوش ص 108 والذهبي في العلو ص 193 وهي بمختصره للألباني ص 284.

تعالى: **الم**، **حم**، **طسم**. **تلك آيات الكتاب** [الشعراء، القصص: 1-2] فقد ذكر حروفاً وكنى عنها بالكتاب". **إلى أن قال بعد أن ساق الأدلة على كل هذا:**

"وهذه الآيات والأخبار تدل على أن لكلام الله صوت لا كصوت الادميين، وكما أن علمه وقدرته وبقيه صفاته لا تشبه صفات الادميين، فكذلك صوته، وقد نص الإمام أحمد على إثبات الصوت في رواية جماعة من الأصحاب خلاف ما قالت الأشعرية من أن كلام الله معنى قائم بنفسه، والله حسيب كل مبتدع ضال، فالله لم يزل متكلمًا وقد أحاط كلامه بجميع معاني الأمر والنهي والاستخبار".

(7) ويأتي ضمن من أدركوا خطأ ما عليه متأخرو الأشاعرة في تأويل صفات العلو والفوقية والاستواء: ابن رشد المعروف بالجفيد ت605، وقد بدا هذا وإضحًا في كتابه (الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة)، حيث أثبت فيه صفة (الجهة) التي تقتضي وصفه تعالى بالعلو والفوقية والاستواء على العرش والنزول، **فقال ص 93 وما بعدها ما نصه:**

"وأما هذه الصفة، فلم يزل أهل الشريعة من أول الأمر يشيئون لها - سبحانه - حتى نفتها المعتزلة، ثم تبعهم على نفيها متأخرو الأشعرية كآبي المعالي<sup>(1)</sup> ومن اقتدى بقوله، وظواهر الشرع كلها تقتضي إثبات الجهة مثل قوله تعالى: **ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية** [الحاقة: 17]، ومثل قوله: **يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه** [السجدة: 5]، ومثل قوله: **تعرج الملائكة والروح إليه** [المعارج: 4]، ومثل قوله:

<sup>1</sup>(?) يعني: قبل تراجعه، حيث قال في (الرسالة النظامية): "ذهب أئمة السلف عن الانكشاف عن التأويل، وإجراء الظواهر على مواردّها، والذي نرتضيه رأيًا وندين الله به عقدًا، اتباع سلف الأمة، فالأولى: الاتباع وترك الابتداع، والدليل القاطع السمعي في ذلك: أن إجماع الأمة حجة متبعة.. وقد درج صحب النبي ﷺ على ترك التعرض لمعانيها ودرك ما فيها، وهم صفوة الإسلام والمستقلون بأعباء الشريعة، وكانوا لا يألون جهدًا في ضبط قواعد الملة والتواصي بحفظها، وتعليم الناس ما يحتاجون إليه منها، فلو كان تأويل هذه الظواهر مسوعًا ومحتومًا - يعني: كما يقول أهل التأويل - لأوشك أن يكون اهتمامهم بها فوق اهتمامهم بفروع الشريعة، وإذا انصرم عصرهم وعصر التابعين على الإضراب عن التأويل، كان ذلك قاطعًا وأنه الوجه المتبع بحق"، ثم قال: "فلتجر آية الاستواء والمجيء، وقوله: **لما خلقت بيدي** [ص: 75]، **ويبقى وجه ربك** [الرحمن: 27] و**تجري بأعيننا** [القمر: 14]، وما صح من أخبار الرسول كخبر النزول وغيره، على ذلك، فهذا بيان ما يجب لله تعالى".

وقد شهد بتراجع إمام الحرمين عن التأويل شيخ الإسلام، حيث قال في مجموع الفتاوى 16/ 91 ما نصه: "أبو المعالي كان يقول بالتأويل، ثم حرّمه وحكا إجماع السلف على تحريمه"، ويُنظر في تفاصيل ذلك كتابنا (سيرًا على خطا الأشعري)

﴿أأنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض﴾ [الملك : 16]، إلى غير ذلك من الآيات التي إن سلط التأويل عليها عاد الشرع كله مؤولاً، وإن قيل فيها: إنها من المتشابهات عاد الشرع كله متشابهًا، لأن الشرائع كلها مبنية على أن الله في السماء وأن منه تنزل الملائكة بالوحي إلى النبيين، وأن من السماء نزلت الكتب، وإليها كان الإسراء بالنبي حتى قرب صلى الله عليه وسلم من سدرة المنتهى".

إلى أن قال في حكاية الإجماع على إثباتها: "وجميع الحكماء قد اتفقوا على أن الله تعالى والملائكة في السماء، كما اتفقت جميع الشرائع على ذلك".

(8) وابن قدامة المقدسي ت620 قال في كتابه (مناظرة أهل البدع في القرآن العظيم وكلام الله القديم) ص127 ما نصه: "ولا نعرف في أهل البدع طائفة يكتمون مقالتهم - بأن القرآن ليس بكلام الله وإنما هو حكاية عن جبريل - ولا يتجاسرون على إظهارها إلا الزنادقة والأشعرية، وقد أمر الله رسوله بإظهار الدين والدعاء إليه وتبليغ ما أنزل عليه، فقال تعالى: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وعن لم تفعل فما بلغت رسالته﴾ [المائدة : 67]، فإن كانت مقالتهم كما يزعمون هي الحق؛ فهلا أظهروها ودعوا الناس إليها؟! وكيف حل لهم كتمانها وإخفاؤها والتظاهر بخلافها وإيهام العامة اعتقاد ما سواها؟! بل لو كانت مقالتهم هي الحق الذي كان عليه رسول الله وأصحابه والأئمة الذين بعدهم، كيف لم يُظهرها أحد منهم وكيف يتواطئوا على كتمانها؟! أم كيف حل للنبي كتمانها عن أمته وقد أمر بتبليغ ما أنزل إليه وتوعد على إخفاء شيء منه؟! أم كيف وسعه - كما هو مؤدى كلامهم - أن يوهم الخلق خلاف الحق؟!".

ثم هو صلى الله عليه وسلم أشفق على أمته من أن يُعلمه الله حقًا ويأمره بتبليغها إلى أمته فيكتمه عنهم حتى يضلوا عنه، ثم إذا كتمه فمن الذي بلغه إلى الصحابة حتى اعتقدوه ودانوا به؟! وكيف يُصوّر منهم أن يدينوا به ويتواطئوا على كتمانها حتى لا يُنقل عن أحد منهم مع كثرتهم وتفرقهم في البلدان؟! فإن تُصوّر ذلك منهم، فمن الذي نقله إلى التابعين حتى اعتقدوه؟!.. فكل هذا من المستحيل الذي يقطع كل ذي لب بفساده، ويعلم يقينًا أن رسول الله وأصحابه وتابعيهم ما كانوا يعتقدون في القرآن اعتقادًا يسوى اعتقاد المسلمين، وأنه هذا القرآن العربي الذي هو سور وآيات، وهذا أمر لا يخفى على غير من أضله الله

**وقال ص 114 بنفس المصدر:** "والأمة مجمعة علي أن هذا القرآن، هو الذي لا تصح الصلاة إلا به، ولا تصح الخطبة إلا بأية منه، ولا يقرأه حائض ولا جنب، ولمّا اختلف أهل الحق والمعتزلة فقال أهل الحق: (القرآن كلام الله غير مخلوق)، وقالت المعتزلة: (هو مخلوق)، لم يكن اختلافهم في هذا الموجود دون ما في نفس الباري مما لا يُدرى ما هو ولا نعرفه، ولمّا أمر الله بترتيل القرآن بقوله: **﴿ورتل القرآن ترتيلاً﴾** [المزمل: 4]، لم يفهم منه المسلمون إلا هذا الموجود، ولما قال الوليد بن المغيرة: **﴿إن هذا إلا قول البشر﴾** [المدثر: 25]، إنما أشار إلى هذا النظم، فتوعده الله بقوله: **﴿سأصليه صغراً﴾** [المدثر: 26]، ولمّا قالوا: **﴿لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه﴾** [سبا: 31] إنما أشاروا إليه، ولما قالوا: **﴿إن هذا إلا أساطير الأولين﴾** [الأنعام: 25]، لم يعنوا غيره.

ولو لم يكن هذا النظم قرآناً لوجب أن تبطل الصلاة به لما في صحيح مسلم: (إن صلاتنا هذه لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هي التسبيح والتكبير وقراءة القرآن)، فعلى قول هؤلاء المخذولين يكون القرآن الذي لا تصح الصلاة إلا به، مبطلًا لها لأنه ليس بقرآن وإنما هو - بزعمهم - تصنيف جبريل، وهذه فضيحة لم يُسبقوا إليها" إ.هـ.

(9) وكان الحافظ ابن عساكر ت 728 قد نقل في (تبيين كذب المفتري) ص 129 عن أبي الحسن الأشعري قوله في كتابه الذي سماه (العمدة في الرؤية): "ألفنا كتابًا كبيرًا في الصفات تكلمنا فيه على أصناف المعتزلة والجهمية، فيه فنون كثيرة من الصفات في إثبات الوجه واليدين، وفي استوائه على العرش"، ثم علق ابن عساكر يقول: "كان أبو الحسن أولًا معتزليًا أخذ عن أبي علي الجبائي، ثم نبذه ورد عليه وصار متكلمًا للسنة وقد نقل إجماعه على ذلك وأنه موافقهم"، **إلى أن قال:**

"فلو انتهى أصحابنا إلى مقالة أبي الحسن هذه ولزموها لأحسنوا، ولكنهم خاضوا كخوض حكماء الأوائل في الأشياء، ومشوا خلف المنطق فلا قوة إلا بالله" إ.هـ من كتاب (العلو) للذهبي ص 163 وهي بمختصره ص 242.

(10) وللحافظ الذهبي ت 748 قوله في (العلو) ص 107 - تعليقًا على قول حماد بن زيد: (إنما يدورون - يعني: الجهمية - على أن يقولوا ليس في السماء إله) :-

"مقالة السلف وأئمة السنة، بل والصحابة والله ورسوله والمؤمنون: (أن الله في السماء، وأنه على العرش، وأنه فوق



سماواته، وأنه ينزل إلى السماء الدنيا، وحجتهم على ذلك النصوص والآثار.. ومقالة الجهمية: (أن الله في جميع الأمكنة)، تعالى الله عن قولهم، بل هو معنا أينما كنا بعلمه.. ومقالة متأخري المتكلمين: (أن الله ليس في السماء ولا على العرش، ولا على السماوات ولا في الأرض، ولا داخل العالم ولا خارج العالم، ولا هو بائن عن خلقه ولا متصل بهم!)، وقالوا: (جميع هذه الأشياء صفات الأجسام والله منزّه عن الجسم)، قال لهم أهل السنة والأثر: (نحن لا نخوض في ذلك ولا نقول بقولكم، فإن هذه السلوب نعوت المعدوم، تعالى الله عن العدم، بل هو موجود متميز عن خلقه موصوف بما وصف به نفسه، من أنه فوق العرش بلا كيف)..<sup>1</sup> وهذا قليل من كثير مما صرح به أئمة أهل السنة في ذم الأشاعرة، ولو استقصيناه لما أكفاه مجلدًا.

(11) وفي واحدة من الفتاوى المشتهرة على مواقع الشبكة العنكبوتية عن (من هم الأشاعرة، وهل هم من أهل السنة؟، وهل حقًا أن كثيرًا من العلماء يتبع المنهج الأشعري كالإمام النووي)<sup>(1)</sup>.. جاء فيها ما نصه:

"وغالب المتأخرين من الأشاعرة، لا يلتزمون مذهب أبي الحسن الأشعري، بل خلطوا مذهبهم بكثير من أصول الجهمية والمعتزلة، بل والفلاسفة أيضًا؛ وخالفوا الأشعري في كثير من أقواله، فهم ينفون صفة (الاستواء لله والعلو والنزول واليد والعين والقدم والكلام) وهذه الصفات كلها يخالفون فيها الأشعري نفسه.. ثم إن لقب (أهل السنة) يطلق باعتبارين:

**الأول:** يطلق فيما يقابل (الروافض)، فعلى هذا الاعتبار يدخل في أهل السنة (الأشاعرة والماتريدية) ونحوهم، بل (والمعتزلة) أيضًا.. **الثاني:** يطلق لفظ (أهل السنة)، فيما يقابل (البدعة)؛ ويراد بذلك: أهل السنة المحضة؛ فلا يدخل فيه إلا من التزم العقيدة الصحيحة من السلف وأهل الحديث؛ فعلى هذا الاعتبار لا يدخل في هذا اللقب: (الأشاعرة)، ولا غيرهم ممن خلط أصوله الكلامية بأصول بدعية؛ لمخالفتهم أهل السنة في كثير من الأصول والمسائل".

**كما جاء فيها:** "أن الأشاعرة المتأخرين: (جبرية) في القدر، (مرجئة) في الإيمان، (معطلة) في الصفات، لا يثبتون منها غير سبع صفات؛ لأن العقل دل عليها كما يزعمون، وينفون: (الاستواء على العرش، وعلو الله على خلقه)، ويقولون: (لا هو داخل العالم

<sup>1</sup>(?) أخذت رقم (226290) بتاريخ 4/3/2015 وبلغت مشاهداتها (269، 914) يعني: ربع مليون مشاهدة تقريبًا.



ولا خارجه، ولا فوقه ولا تحته).. إلى غير ذلك من المخالفات، فكيف نسّمهم (أهل السنة)؟!، قال ابن تيمية - كالمُرَجح لما سبق والمؤيد والمؤكد له:- "لفظ (أهل السنة) يراد به: من أثبت خلافة الخلفاء الثلاثة، فبدخل في ذلك جميع الطوائف إلا (الرافضة)، وقد يراد به: (أهل الحديث والسنة المحضة، فلا يدخل فيه إلا من يثبت الصفات لله تعالى)" إ.هـ من (منهاج السنة) (2/221).

(12) وفي فتوى عما إذا كان العَلَمَان الجليلان ابن حجر والنووي شارحا صحيح البخاري ومسلم يُحسبان على أيهما، جاء ما نصه:

"لا يصح أن يُنسب إلى مذهب الأشاعرة، إلا من التزم منهجهم في العقيدة، أما من وافقهم في بعض المسائل دون بعض، فلا يُنسب إليهم.

**قال الشيخ ابن عثيمين:** وهل يصح أن ننسب هذين الرجلين وأمثالهما إلى الأشاعرة، ونقول: هما من الأشاعرة؟ الجواب: لا، لأن الأشاعرة لهم مذهب مستقل، له كيان في: (الأسماء والصفات والإيمان وأحوال الآخرة)، وأكثر الناس لا يفهم عنهم إلا أنهم مخالفون للسلف في باب: (الأسماء والصفات)، ولكن لهم خلافات كثيرة، فإذا قال قائل في مسألة من مسائل الصفات، بما يوافق مذهبهم، فلا نقول: إنه أشعري، رأيتم لو أن إنسانًا من الحنابلة اختار قولًا للشافعية، فهل نقول إنه شافعي؟ انتهى من (شرح الأربعين النووية) (ص 290).

**وقال أيضًا:** (فهذان الرجلان بالذات ما أعلم اليوم أن أحدا قدّم للإسلام في باب أحاديث الرسول ﷺ مثلما قدّمناه، وبذلك على أن الله بحوله وقوته - ولا أتألى على الله - قد قبلها: ما كان لمؤلفاتها من القبول لدى الناس، لدى طلبة العلم، بل حتى عند العامة، فالآن كتاب (رياض الصالحين) يقرأ في كل مجلس، ويقرأ في كل مسجد، وينتفع الناس به إنتفاعًا عظيمًا، وأتمنى أن يجعل الله لي كتابًا مثل هذا الكتاب، كل ينتفع به في بيته وفي مسجده) إ.هـ من (لقاءات الباب المفتوح) اللقاء رقم (43) وينظر جواب السؤال رقم: (107645)"

انتهت الفتوى وأجد أنها غطت الكثير من الفوائد مما يعرّف لطلبة العلم طلبُ معرفتها، فقط أضيف إليها: أن الإمام النووي رجع قبل وفاته بأربعة أشهر عن مذهب التأويل لمذهب السلف، وقد فصلت القول في ذلك بكتابتنا: (سيرًا على خطا الأشعري.. أئمة الخلف يتراجعون إلى ما تراجع إليه) فليراجع.



هذا ما تيسر ذكره في ذم أئمة السلف ومن تبعهم بإحسان، للأشعرية التي يدعي الكثيرون - ممن يهرفون بما لا يعرفون - أنهم يمثلون أهل السنة بلا منازع، وإلا فعباراتهم عن أولئك وعموم أهل الكلام لا يقف عند حدٍّ. ولكم كنا نعول على الأزهر ألا يتردد في السير على نهج هؤلاء السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان؛ وأن يحذو حذو إمام المذهب أبي الحسن الأشعري وغيره ممن رجعوا إلي ذات النهج من أئمة وكبار الخلف بعد رحلاتٍ كلها عناء، واضطراب وتذبذب وشقاء، ليقف على آخر ما وطأته أقدام أولئك السابقين وليبدأ من حيث انتهوا، وألا يتحجر أو يجمد فكره عند من لم يثبتوا على ظهر التسليم والاستسلام، وبخاصة أن الأمر هنا متعلق بتوحيد الله ومعرفته من خلال أسمائه وصفاته.

ولكن ساء - للأسف - ظننا وضاع أملنا وخاب سعينا، حتى وصل بنا الحال أن رأينا أنفسنا أمام معاندين مجاربيين، يبتلون الناس على ما حملوه من باطل، فمن وافقهم أجازوه ومن خالفهم أوقفوه وناصبوه العدا، بعد أن لم يكفهم أن يقفوا عند من كان حالهم التجهم والتعطيل من أمثال: (الجعد بن درهم) و(الجهم بن صفوان) و(بشر المريسي)، ومن ليست تأويلاتهم الباطلة إلا نفس ما جنح إليه هؤلاء من تأويلات، وإن زعموا أنهم على خلاف مذهبهم، فقد أضحى الكل يقول بأن الله لم يكلم موسى تكليمًا، وأنه تعالى لم يستو على عرشه ولا له الفوقية والعلو، ولا ثابت له ما أثبتة لنفسه ولا أثبتة له رسوله من صفات الخبر وصفات الفعل، ولا جائز السؤال عنه - سبحانه - بـ (أين الله؟) على الرغم من سؤال النبي به .

**ولكم بُحَّت الأصوات وصيح في الأزهر حتى في بعض القنوات المصرية المخلصة التي تبث صحيح الدين والاعتقاد، ومن خلال كتاباتنا وكتبتنا، وكتابات وكتب المخلصين لهذا الدين، ولكن:**

لقد أسمعت إذ ناديت حيًّا ولكن لا حياة لمن تنادي  
وما بقي لنا من بارقة أمل - بعد الله أولاً - إلا أن يتدخل ولي أمرنا - حفظه الله علي طاعته - ومن بيدهم مقاليد الأمور؛ في تصويب ما زلت به الإقدام، وتجديد ما عفا عليه الزمان.. أو أن يأذنوا بمناقشة هذه الأمور التي فرقت لا أقول بين أفراد عالمنا العربي والإسلامي، بل بين أفراد المصريين أنفسهم، فهم - وفي المكان الواحد، بل لا أبالغ إن قلت: في البيت الواحد - ما بين معارض لمناهج الاعتقاد في الأزهر؛ وما بين ناظم عليها؛ وما بين



دارس لها على مفض وعن غير قناعة وإنما فقط لتخطي مراحل وسني الدراسة.

وإلا فلم يعد ثمة مخرج للجميع إلا أن يَسْتبدل الله بهؤلاء قومًا من غيرهم **يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم** [المائدة: 54].. قومًا يكون مصدر تلقيهم: نصوص الوحي لا نصوص وترهات الجهمية والمعتزلة والمتأولة، ومنهج عملهم: الكتاب والسنة لا عقول وتحكمات وتمحكات البشر، ودأب طبائعهم: التجرد في محبة الله ورسوله والعمل من ثم على طاعتها دون ما لأي أو تردد.. قومًا يبلغ طموحهم وترقى غايتهم إلى العمل على بعث الأمة من جديد وتوحيد صفها على العقيدة الصحيحة.. قومًا يحترمون الإجماع الذي ما خلت صفة من صفات الله خبرية كانت أو فعلية إلا وجدته حاضرًا مسطورًا ومحفورًا في أذهان الأمة على مدار تاريخها التليد.

على أن إشكاليات (الإبانة) و(ما آل إليه أمر صاحبها) المتشعبة، مريرة مرارة صراع الحق مع الباطل، وشديدة الخصومة شدة خصومة السنة للبدعة.. ومن تلك الإشكاليات - من غير إشكالية عزو الإبانة للأشعري، وإشكالية الدافع وراء تأليفه الإبانة: إشكالية المراحل التي مر بها الأشعري رحمه الله، وفيها وصل الأمر ببعض لأن يقول بأنها اقتصرت على مرحلتين فقط، وأن الأخيرة منهما انتهت لما الأشعرية عليه اليوم!.. وإشكالية اتهام المثبتين لصفات الله تعالى الخبرية والفعلية بالتجسيم والتشبيه علي الرغم من فرط قولهم: "لا تجسيم ولا تشبيه ولا تكييف".. إلى آخر ذلك مما أفضنا فيه وأفردنا للرد عليه في كتابنا: (صحيح معتقد الأشعري في توحيد الصفات) الكثير من الصفحات.. لنفرغ بعدُ لما دَبَّجَه الأشعري رحمه الله في (الإبانة) إقامةً للحجة وإبراءً للذمة، لكن ليس قبل أن نمهد بذكر نبذة مختصرة عنه رحمه الله وعن جهوده في خدمة السنة وعقيدة سلف الأمة



**التمهيد**  
**نبذة مختصرة عن سيرة ناصر**  
**السنة وقامع البدعة**  
**الإمام أبي الحسن الأشعري**

**نسبه ومولده وطلبه العلم:**

هو أبو الحسن علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن بلال بن أبي بردة عامر ابن الصحابي الجليل أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.. وقد قيل: (الأشعري) لأن أمه ولدت له وهو أشعر، وقيل: نسبة إلى (أشعر) أحد أولاد سبأ الذين كانوا باليمن، ثم لما بُعث النبي ﷺ هاجر رهط منهم - وعلى رأسهم أبو موسى الأشعري - إلى أرض الحبشة، وأقاموا مع جعفر ابن أبي طالب حتى قدموا جميعًا على رسول الله ﷺ بغية التعرف على دين الله الحنيف وإشهار إسلامهم، ومما حُكي عن هؤلاء القوم أنهم لما اقتربوا من المدينة صاروا يرددون:

**محمّدًا وحزبه**

**غداً نلقى الأحبة**

وبعكس هذا مدى حبهم وشعورهم تجاه الإسلام ونبي الإسلام عليه السلام.

ولد الأشعري سنة ستين ومائتين بالبصرة، وقيل: سنة سبعين ومائتين، وفي تاريخ وفاته اختلاف، فقد قيل: إنه توفي سنة ثلاثمائة وثلاث وثلاثين، وقيل: وأربع وعشرين، وقيل: وثلاثين.

حفظ القرآن والحديث وأتقن علومهما ودرس الفقه وأصوله وعلوم اللغة وأصول التفسير، وبرع في ذلك كله ونشأ في بيئة

سنية واشتهرت أسرته بين العرب بالصلاح والتقوى، ومما زاد من قدر هذه الأسرة أنه كان لجدّه الأكبر - من غير ما ذكرنا - مكانة خاصة عند رسول الله ﷺ الذي قال فيه وفي قومه من أهل اليمن الأحاديث، ودعا لهم.. وكان لأولاد أبي موسى بعد ذلك ولأحفاده فضل رعاية أمور المسلمين بالعدل والإحسان.

وقد أراد له والده (إسماعيل) ما أراد له لنفسه، أراد له أن يكون سنياً، وهو ما بدأ واضحاً فيما أوصى به عند وفاته إلى زكريا بن يحيى الساجي أحد أئمة الحديث والفقه وأصوله وأحد تلامذة الإمام أحمد بن حنبل.. عليهم جميعاً من الله الرحمة والرضوان.

دخل الأشعري رحمه الله بغداد وأخذ الحديث عن الحافظ الساجي - الذي أسلفنا الحديث عنه والذي عنه أخذ تحرير مقالة أهل الحديث والأثر كما في التذكرة 709 /2 - وعن أبي خليفة عبد

الرحمن بن عبد السلام الجمحي، وعن سهل بن سرح ومحمد بن يعقوب المقرئ وعبد الرحمن بن خلف وجميعهم من المحدثين البصريين، وروى عنهم كثيرًا في تفسيره (المختزن).. كما أخذ الفقه وأصوله عن أبي إسحاق المروزي، وأخذ علم الكلام عن شيخه زوج أمه أبي علي الجبائي شيخ المعتزلة، ثم ترك مذهبه على إثر مناظرة وقعت بينهما، ذكر تفاصيلها ابن العماد الحنبلي في كتابه (شذرات الذهب) 2/ -303، وابن خلكان في (الوفيات) وغيرهما.

ومجمل وقائع هذه المناظرة: أن أبا الحسن لما تحرر في كلام الاعتزال وبلغ فيه الغاية، كان يورد الأسئلة على شيخه وزوج أمه الجبائي في الدرس ولا يجد فيها جوابًا شافيًا فتحير في ذلك، فكان أن سأل مرة استأذنه أبا علي الجبائي عن ثلاثة إخوة، كان أحدهم مؤمنًا بربًا تقيًا، والثاني كان كافرًا فاسقًا شقيًا، والثالث كان صغيرًا، فماتوا فكيف حالهم؟ فقال الجبائي: (أما الزاهد ففي الدرجات، وأما الكافر ففي الدرجات، وأما الصغير فمن أهل السلامة)، فقال الأشعري: (إن أراد الصغير أن يذهب إلى درجات الزاهد هل يؤذن له؟)، قال الجبائي: (لا!! لأنه يقال له: أخوك إنما وصل إلى هذه الدرجات بطاعته الكثيرة وليس لك تلك الطاعات)، فقال الأشعري: (فإن قال: ذلك التقصير ليس مني، فإنك ما أبقيتني ولا أقدرتني على الطاعة؟)، فقال الجبائي: (يقول البارئ جل جلاله: كنت أعلم لو بقيت لعصيت وصرت مستحقًا للعذاب الأليم فرعيتُ مصلحتك)، فقال الأشعري: (فلو قال الأخ الأكبر: يا إله العالمين كما علمت حاله فقد علمت حالي، فلم راعيتُ مصلحته دوني؟!)، فانقطع الجبائي.

وإنما أراد الأشعري - كما قال ابن العماد في الشذرات 2/ 303 - الاستدلال بطريق العقل «على أن الله تعالى خص من شاء برحمته - بموجب فضله - واختص آخر بعذابه» بموجب عدله<sup>(1)</sup>.

<sup>1</sup>(?) وهذا يفسره نحو: قوله عليه السلام لمن وُدَّ التَّقاءهم من أمته دون أن يروه: (للعامل منهم أجر خمسين منكم.. الحديث) وإن كان لا يدل على أفضلية غير الصحابة وإنما على عظم الأجر والثواب لمن آمنوا به وعملوا بسنته دون سواهم ممن لم يعملوا بسنته.. وحديث: (إن الله كتب الحسنات والسيئات، فمن همَّ بحسنة.. الحديث).. وحديث: (نحن الآخرون ونحن السابقون يوم القيامة بيد أن كل أمة أوتيت الكتاب من قبلنا، وأوتيناه من بعدهم)، وحديث أبي موسى الأشعري الذي رواه البخاري (2271) وهو (بالفتح 4/ -524) وفيه قوله: مَثَلُ الْمُسْلِمِينَ، وَالْيَهُودِ، وَالنَّصَارَى، كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَأْجَرَ قَوْمًا يَعْمَلُونَ لَهُ عَمَلًا يَوْمًا إِلَى اللَّيْلِ، عَلَى أَجْرٍ مَعْلُومٍ، فَعَمِلُوا لَهُ إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ، فَقَالُوا: لَا حَاجَةَ لَنَا إِلَى أَجْرِكَ الَّذِي شَرَطْتَ لَنَا وَمَا عَمِلْنَا بِاطِلٍ، فَقَالَ لَهُمْ: لَا تَفْعَلُوا، أَكْمَلُوا بَقِيَّةَ عَمَلِكُمْ، وَحُدُّوا أَجْرَكُمْ كَامِلًا، فَأَبَوْا، وَتَرَكَوْا، وَاسْتَأْجَرَ آخَرِينَ بَعْدَهُمْ، فَقَالَ لَهُمَا: أَكْمِلَا بَقِيَّةَ يَوْمِكُمَا هَذَا وَلَكُمَا الَّذِي شَرَطْتُ لَهُمْ مِنَ الْأَجْرِ، فَعَمِلُوا حَتَّى إِذَا كَانَ جِئُ صَلَاةِ الْعَصْرِ، قَالَا: لَكَ مَا عَمِلْنَا بِاطِلٍ، وَلَكَ الْأَجْرُ الَّذِي جَعَلْتَ لَنَا فِيهِ، فَقَالَ لَهُمَا: أَكْمِلَا بَقِيَّةَ عَمَلِكُمَا مَا بَقِيَ مِنَ النَّهَارِ شَيْءٌ يَسِيرٌ، فَأَبَيَا، وَاسْتَأْجَرَ قَوْمًا أَنْ يَعْمَلُوا لَهُ بَقِيَّةَ يَوْمِهِمْ، فَعَمِلُوا بَقِيَّةَ يَوْمِهِمْ حَتَّى

وإنما كان ذلك ردًا على ما رفعه أهل الاعتزال - والجبائي رأس من رؤوسهم - من شعار أنه يجب على الله فعل الصلاح والأصلح، وذلك بترك ما ظاهره الفساد كالمعصية في مقابلة الطاعة، وبفعل ما هو الأصلح كأعلى الجنة في مقابلة أدناها، وأنه يجب عليه تعالى رعاية مصالح العباد.. كذا بكل جرأة وإساءة أدب مع الله<sup>(1)</sup>.

وفي بعض رده على ما فاه به المعتزلة يقول الأشعري في كتابه (الإبانة عن أصول الديانة) ص 127: «ويقال لهم: هل تعرفون لله نعمة على أبي بكر الصديق خُص بها دون أبي جهل ابتداءً؟ فإن قالوا: لا، فحُش قولهم، وإن قالوا نعم، تركوا مذاهبهم لأنهم لا يقولون إن الله خص المؤمنين في الابتداء بما لم يخص به الكافرين».. وألزم.

غَابَتِ الشَّمْسُ، وَاسْتَكْمَلُوا أَجْرَ الْقَرِيقَيْنِ كِلَيْهِمَا، فَذَلِكَ مَثَلُهُمْ وَمَثَلُ مَا قَبِلُوا مِنْ هَذَا التَّوَرِ.

أي: فذلك مَثَلُ الْمُسْلِمِينَ وَمَثَلُ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى فِي قَبُولِ الْإِسْلَامِ، وَتَوَرُّ الْهَدَايَةِ إِلَى الْحَقِّ، فَكَانَ الْمُسْلِمِينَ لَمَّا عَمِلُوا بِمَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَاسْتَمَرُّوا عَلَى ذَلِكَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ؛ كَانَ لَهُمْ أَجْرٌ مَن عَمِلَ الدَّهْرَ كُلَّهُ؛ لِأَنَّهُمْ أَتَمُّوا الدَّهْرَ بِعِبَادَةِ اللَّهِ كَاتِمَامِ النَّهَارِ الَّذِي كَانَ اسْتَوْجَرَ عَلَيْهِ كُلَّهُ أَوَّلَ طَبَقَةٍ مِنَ الْيَهُودِ، وَهُوَ مِثْلُ لِبَاءِ أَكْثَرِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى اتِّبَاعَهُ ﷺ وَكَفَرُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَيْهِ، وَتَمَسَّكُوا بِمَا حَرَّفُوهُ مِنْ كُتُبِهِمْ، وَفِي الْحَدِيثِ: تَفْضِيلُ اللَّهِ تَعَالَى لِهَذِهِ الْأُمَّةِ، وَتَوْفِيرُ أَجْرِهَا مَعَ قِلَّةِ عَمَلِهَا، وَفِيهِ: أَنَّ الْأَعْمَالَ بِالْحَوَاتِيمِ، وَفِيهِ: صَرَبُ الْأَمْثَالِ لِلتَّعْلِيمِ وَالتَّوْضِيحِ.

وكذا حديث البخاري (2268)، من طريق ابن عمر ولفظه: "مَثَلُكُمْ وَمَثَلُ أَهْلِ الْكِتَابِينَ، كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَأْجَرَ أَجْرَاءَ، فَقَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنْ عُدْوَةٍ إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ عَلَى قِيرَاطٍ؟ فَعَمِلَتِ الْيَهُودُ، ثُمَّ قَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنْ نِصْفِ النَّهَارِ إِلَى صَلَاةِ الْعَصْرِ عَلَى قِيرَاطٍ؟ فَعَمِلَتِ النَّصَارَى، ثُمَّ قَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنَ الْعَصْرِ إِلَى أَنْ تَغِيَبَ الشَّمْسُ عَلَى قِيرَاطَيْنِ؟ فَأَنْتُمْ هُمْ، فَغَضِبَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى، فَقَالُوا: مَا لَنَا أَكْثَرَ عَمَلًا وَأَقَلَّ عَطَاءً؟ قَالَ: هَلْ تَقْضِيكُمْ مِنْ حَقِّكُمْ؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: فَذَلِكَ، فَصَلِّي أَوْتِيهِ مَنْ أَسَاءَ.. وهو بمسند أحمد 2/ 6 بلفظ: (هَلْ ظَلَمْتُمْ مَنْ أَجْرَكُمْ شَيْئًا؟ قَالُوا: لَا. قَالَ: فَإِنَّمَا هُوَ فَصَلِّي أَوْتِيهِ مَنْ أَسَاءَ).. فهو إذن عطاء الله تعالى الخالي من ظلم الآخرين (ولا يظلم ربك أحدًا).

<sup>1</sup>(?) وإنما كان جواب أهل السنة على ذلك، من وجوه: أولها: أنه لا يجب على الله شيء لأن هذا يتنافى مع اختياره سبحانه، فقد بين أن ما يقع في الكون، إنما هو بمشيئته وذلك قوله تعالى:

﴿ **فَعَالٌ لَمَّا يُرِيدُ** ﴾ [البروج: 16].. وما لم يقع، هو كذلك داخل أيضًا تحت مشيئته كما قال سبحانه: ﴿ **وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا** ﴾ [يونس: 99].

ثانيها: أن كلامهم - تعالى الله عما يقولونه علوًا كبيرًا - مستلزم لاستحقاقه سبحانه الذم، باعتبار أن الواجب: ما استحق تاركه الذم، ولازم هذا أن يكون البارئ ناقصًا بذاته مستكملًا بفعله، مع أن كماله لذاته.

ثالثها: أنه لو وجب عليه ما قالوه لما ظهر له منة على عباده ولما استحق منهم شكرًا، بل ولما صح سؤاله الخير وكشفه الضر، لأنه لم يفعل - بزعم هؤلاء - إلا الواجب عليه.



مناقبه وتأليفه ووفاته:

وعن فضل أبي الحسن الأشعري حدّث ولا حرج، فقد تصاغر أمامه جهابذة العلم وكبار أئمة، يقول الأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني: «كنت في جنب الشيخ أبي الحسن الباهلي كقطرة في جنب بحر، وسمعت الباهلي يقول: كنت في جنب الأشعري كقطرة في جنب البحر»، وقال القاضي أبو بكر الباقلاني: «أفضل أحوالي أن أفهم كلام أبي الحسن»، ذلك أن من وقف على تواليفه بعد توبته من الاعتزال يرى أن الله أمده بمواد توفيقه، وأقامه لنصرة الحق والذب عن طريقه.

ويكفي في بيان فضل أبي الحسن الأشعري ثناء الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي صاحب (السنن للكبرى) و(الأسماء والصفات) ت458 عليه، وهو محدث زمانه وشيخ أهل السنة في وقته، فقد قال كلما أورده بطوله التاج السبكي، فيه ذكر شرف آباء وأجداد أبي الحسن، وحسن اعتقاده وفضله وكثرة أصحابه مع ذكر نسبه.. ويكفي في بيان فضله كذلك ما ذكره ابن فرجون بحقه في (الديباج المذهب في أعيان أهل المذهب)، قال: «أثنى على أبي الحسن الأشعري أبو محمد بن أبي زيد القيرواني وغيره من أئمة المسلمين».

وقال البيهقي كما في التبيين ص87: «فضائل الشيخ أبي الحسن الأشعري ومناقبه أكثر من أن يمكن ذكرها».. وقال الذهبي بحقه كما في كتابه العبر 2/ — 203: إنه «كان قانعاً متعففاً»، وقال أحمد الفقيه فيما ساقه ابن عساكر له ص141 بسنده: «خدمت أبا الحسن بالبصرة سنتين، وعاشرت به ببغداد إلى أن توفي فلم أجد أورع منه ولا أغض طرفاً، ولم أر شيئاً أكثر حياءً منه في أمور الدنيا، ولا أنشط منه في أمور الآخرة»، ومن طريف ما يذكر له أنه كان - مع زهده وعبادته - فيه دعاية ومزح كبير.

وعن علمه وحبه للحق: ورَدَ الكلام الكثير والثناء الجميل، **يقول الحافظ ابن عساكر في (تبيين كذب المفتري) ص 104**: «إنه كان في عصره أعلم الخلق بما يجوز أن يُطلق في وصف الحق، فأظهر في مصنّفاته ما كان عنده من علمه، فهدى الله به من وفقه من خلقه لفهمه»، ونقل في ص53 عن بعض العلماء قوله: «أعاد الله تعالى هذا الدين بعدما ذهب - يعني أكثره - بأحمد بن حنبل وأبي الحسن الأشعري».

وكان أبو العباس شمس الدين بن خلكان الشافعي ت681 قد ذكر في (وفيات الأعيان) ترجمة له ووصفه في الجزء الثالث صفحة 284 بقوله: «صاحب الأصول، والقائم بنصرة مذهب أهل



السنة، وإليه تنسب الطائفة الأشعرية<sup>(1)</sup>، وشهرته تغني عن الإطالة في تعريفه». كما قال عنه أبو بكر بن قاضي شهبة في طبقاته: «الشيخ أبو الحسن الأشعري البصري، إمام المتكلمين وناصر سنة سيد المرسلين، والذاب عن الدين». وقال عنه الياضي في (مراة الجنان): هو «الشيخ الإمام ناصر السنة وناصر الأمة، إمام الأئمة ومُدحض حجج المبتدعين المارقين، حامل راية منهج الحق ذي النور الساطع والبرهان القاطع» ا.هـ.

ويقول القرشي الحنفي في طبقاته: **الأشعري** «صاحب الأصول، الإمام الكبير وإليه تنسب الطائفة الأشعرية». كما أثنى عليه الأسنوي الشافعي فقال: «هو القائم بنصرة أهل السنة القامع للمعتزلة وغيرهم من المبتدعة بلسانه وقلمه، صاحب التصانيف الكثيرة، وشهرته تغني عن الإطالة بذكره» ا.هـ<sup>(2)</sup>.

ولكل ما ذكر، فقد اعتبره بعض العلماء مجدد القرن الثالث الهجري، وأيد ابن عساكر ص 53 هذا قائلًا: «قول من قال: إنه (أبا الحسن الأشعري) - يعني المجدد - أصوب؛ لأن قيامه بنصرة السنة إلى تجديد الدين أقرب، فهو الذي انتدب للرد على المعتزلة وسائر أصناف المبتدعة المضللة، وحالته في ذلك مشتهرة وكتبه في الرد عليهم منتشرة». وقال ابن عساكر ص 87 - بعد أن نقل كثيرًا من ثناء العلماء عليه - : «فكفى أبا الحسن فضلًا أن يشهد بفضل هؤلاء الأئمة، وحسبه فخرا أن يثني عليه الأماثل من علماء الأمة».

هذا وقد ترجم للإمام أبي الحسن الأشعري من غير من ذكرنا، الخطيب البغدادي في (تاريخ بغداد)، والذهبي في (تاريخ الإسلام) وابن كثير في (البداية والنهاية) و(طبقات الشافعية)، والتاج السبكي في (طبقات الشافعية الكبرى) ومرتضى الزبيدي في (إتحاف السادة المتقين. بشرح أسرار إحياء علوم الدين) وابن العماد الحنبلي في (شذرات الذهب في أعيان من ذهب) وغيرهم.

**أما مؤلفات الشيخ أبي الحسن الأشعري** رحمه الله فكثيرة جدًا، ذكر الزركلي في (الأعلام) أنه تزيد عن الثلاثمائة مصنفًا، نذكر منها:

1- (إيضاح البرهان في الرد على أهل الزيغ والطغيان).

<sup>1</sup>(?) يعني التي دانت بما دان به في آخر حياته، إذ هي الأولى بالانتساب إليه خلًا لمن سُموا بمتأخري الأشاعرة.

<sup>2</sup>(?) إلى غير ذلك مما نقله ابن عساكر في تبيينه والسبكي في طبقاته عن تقدمه من أهل العلم في مدحه والثناء عليه.



- 2- (تفسير القرآن) رد فيه على الجبائي والبلخي ما حرفا من تأويله، وآخر في متشابه القرآن.
- 3- (الرد على ابن الراوندي في الصفات والقرآن)، وآخر في إبطاله التواتر.
- 4- (الفصول) في الرد على الملحدين والخارجين عن الملة.
- 5- (القامع لكتاب الخالدي في الإرادة)، وآخر في نقض ما ألفه في القرآن والصفات، وآخر في رد نفيه للرؤية، وآخر في رد نفيه خلق الله للأعمال، وآخر في رد مقالاته.
- 6- كتاب (الاجتهاد في الأحكام).
- 7- كتاب (الأخبار وتخصيصها).
- 8- (الإدراك في فنون من لطيف الكلام).
- 9- كتاب (الإمامة).
- 10- (مقالات الفلاسفة) وآخر في (الرد على الفلاسفة).
- 11- (الشرح والتفصيل في الرد على أهل الإفك والتضليل).
- 12- (العمد في الرؤية) وهو غير (الرؤية) الذي رد فيه على الجبائي.
- 13- جواب مسائل أهل الثغر.
- 14- (نقض كتاب الأصول للجبائي)
- 15- (كتاب في خلق الأعمال) نقض فيه اعتلالات المعتزلة.
- 16- كتاب (الصفات)، وهو كبير تكلم فيه على أصناف المعتزلة والجهمية.
- 17- كتاب (الرد على المجسمة) وآخر في (الجسم) للرد على شبههم.
- 18- (اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع)، وله من غيره (اللمع الصغير)، وهو مدخل لـ (اللمع الكبير).
- 19- النقض على البلخي في شبهه ومنها ما تعلق بالصفات.
- 20- (جمل المقالات) أثبت فيه جمل مقالات الملحدين وحمل مقالات الموحدين.
- 21- (الجوابات في الصفات عن مسائل أهل الزيغ والشبهات) أكبر كتبه، ذكر أنه نقض فيه كتابًا له آخر في تصحيح مذهب المعتزلة.
- 22- (أدب الجدل) وشرحه.
- 23- (النوادر في دقائق الكلام).
- 24- (الفنون في أبواب من الكلام) وهو غير (الفنون في الرد على الملحدين).
- 25- (جواز رؤية الله تعالى بالأبصار).
- 26- كتاب (الإبانة في أصول الديانة).
- 27- (مقالات الإسلاميين) استوعب فيه اختلافهم ومقالاتهم.

- 28- (الاستشهاد) للرد على مقولة المعتزلة في الاستشهاد بالشاهد على الغائب لرد صفاته تعالى.
- 29- (المختصر في التوحيد والعدل) في الرد على أصول المعتزلة.
- 30- (الموجز) وهو اثنا عشر كتابًا آخرها في الرد على الشيعة الإمامية.
- 31- وله غير ذلك (جواب الخرسانية - السيرافيين - الدمشقيين - الجرجانيين - الرامهرمزيين - الواسطيين - المصريين - الدهريين - أهل فارس - العمانيين) .. إلخ.
- وبعد حياة حافلة بالعلم والسعي لتحصيله وبذل الجهد والوقت في التأليف فيه، وعامرة بصنوف الاجتهاد والإخلاص له، ومترعة بشرف الغاية ونبيل المقصد، ومفعمة بسلامة المعتقد والزهد في الدنيا والرغبة فيما عند الله، توفي أبو الحسن الأشعري ببغداد سنة أربع وعشرين وثلاثمائة على الأرجح من هجرة المصطفى ﷺ، على أحسن أحواله - على عقيدة سلف الأمة - بعد أن تبرأ من كل ما لا يزال يروج له الآن على أنه مذهبه، ومن جل ما كان يعتقده متكلمة عصره وغيرهم ممن يدعون الانتساب إليه حتى يومنا هذا، وبعد أن (بيض وجوه أهل السنة) و(رد على المخالفين من أهل الزيغ والبدع)، (وحجرهم في قمع السمسم) على حد قول ابن عساكر في (التبيين)، والخطيب البغدادي في تاريخه، وابن العماد في (الشذرات) وابن تيمية في (الفتاوى الكبرى) 324/5.. ودفن رحمه الله بين الكرخ وباب البصرة.. فعليه من الله سبحانه الرحمة والرضوان.

هذا، عن أبي الحسين.. أما عن كتابه الموسوم بـ (الإبانة في أصول الديانة) فحسبه أنه كان وما شابهه مما استقر عليه أمره، بإيعاز من النبي ﷺ، وأن إثبات نسبته إليه كان بشهادة من ذكرنا من أئمة الهدى والصلاح.. وتجدر الإشارة هنا إلى أنه قد تضمن المسائل والفصول التالية:

فصل في قول أهل الزيغ والبدع.. وفصل في إبانة قول أهل الحق والسنة.. وفصل في إثبات رؤية الله - سبحانه - بالأبصار في الآخرة.. وفصل في أن القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق.. وما ذكر من الرواية في القرآن.. والكلام على من توقف في القرآن وقال: (لا أقول إنه مخلوق ولا أنه غير مخلوق).. ودحض نسبة القول بخلق القرآن لأبي حنيفة.. وذكر الاستواء على العرش.. والكلام في الوجه والعينين والبصر واليدين.. والرد على الجهمية في نفهم علم الله تعالى وقدرته وجميع صفاته.. والكلام في الإرادة والرد على المعتزلة في ذلك.. والكلام في تقدير أعمال العباد والاستطاعة والتعديل والتجوير.. وذكر الروايات في القدر..



والكلام في الشفاعة والخروج من النار.. والكلام في الحوض..  
والكلام في عذاب القبر.. وأخيراً الكلام في إمامة أبي بكر الصديق  
رضي الله عنه لرد عادية الروافض عاملهم الله بعدله.. فرحم الله  
أبا الحسن بقدر ما قدّم ونفع به الإسلام والمسلمين.



# الإبانة عن أصول الديانة لأبي الحسن الأشعري

بمقدمة تجزم بعزوه لصاحبه  
وتعليقات تتضمن:  
الرد على مَنْ يخالفونه ويدعون شرف الانتساب إليه  
من متأخري الأشعرية

تقديم وتحقيق  
د/محمد بن عبد العليم الدسوقي  
الأستاذ بجامعة الأزهر الشريف  
الرابطة العالمية لخريجي الأزهر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وهو حسبي ونعم الوكيل.. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

تمهيد الأشعري لكتابه الإبانة:

قال الشيخ الإمام العالم أبو الحسن علي بن إسماعيل بن علي بن أبي بشر الأشعري البصري رحمه الله:

الحمد لله الواحد الأحد، العزيز الماجد، المتفرد بالتوحيد، والمنفرد بالتمجيد، الذي لا تبلغه صفات العبيد، ليس له مثل ولا نديد، وهو المبدئ المعيد، الفعّال لما يريد، جل عن اتخاذ الصواحب والأولاد، وتقديس عن ملابسة الأجناس والأرجاس، ليست له عثرة تُقال، ولا حدٌ يضرب له مثال، لم يزل بصفاته أولاً قديراً، ولا يزال عالماً خبيراً، استوفى الأشياء علمه، ونفذت فيها إرادته، فلم تعذب عليه خفيات الأمور، ولم تغيره سوائف صروف الدهور، ولم يلحقه في خلق شيء مما خلق كلال ولا تعب، ولا مسّه لغوب ولا نصيب، خلق الأشياء بقدرته، ودبرها بمشيئته، وقهرها بجبروته، وبذلها بعزته، فذل لعظمته المتكبرون، واستكان لعز ربوبيته المتعظمون، وانقطع دون الرسوخ في علمه العالمون، وذلت له الرقاب، وحارت في ملكوته فطنٌ ذوي الأبواب، وبكلمته قامت السماوات السبع، واستقرت الأرض المهاد، وثبتت الجبال الرواسي، وجرت الرياح اللواقح، وسار في جو السماء السحاب، وقامت على حدودها البحار، وهو الله الواحد القهار.

نَحْمَدُهُ كَمَا حَمِدَ نَفْسَهُ، وَكَمَا هُوَ أَهْلُهُ وَمَسْتَحَقَّهُ، وَكَمَا حَمَدَهُ الْحَامِدُونَ مِنْ جَمِيعِ خَلْقِهِ، وَنَسْتَعِينُهُ اسْتِعَانَةَ مَنْ فَوَّضَ الْأَمْرَ إِلَيْهِ، وَأَقْرَبُّهُ أَنْ لَا مَنجَى وَلَا مَلْجَأَ إِلَّا إِلَيْهِ، وَنَسْتَغْفِرُهُ اسْتِغْفَارَ مَقْرَبِ ذَنْبِهِ، مُعْتَرِفٍ بِخَطِيئَتِهِ.

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إقراراً بوحدانيته، وإخلاصاً لربوبيته، وأنه العالم بما تظن الضمائر، وتنطوي عليه السرائر، وما تخفيه النفوس، وما تجن البحار، وما تواريه الأسراب، **وما تغيب الأرحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار** [الرعد: 8]، لا تُؤاَرَى عنه كلمة، ولا تغيب عنه غائبة، **وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين** [الأنعام: 59]، ويعلم ما يعمل العاملون وما ينقلب إليه المنقلبون.. ونسئله بالهدى، ونسأله التوفيق لمجانبة الردى.



ونشهد أن محمدًا ﷺ عبده ورسوله، ونبيه وأمينه وصفيه، أرسله إلى خلقه بالنور الساطع، والسراج اللامع، والهجج الظاهرة، والبراهين والآيات الباهرة، والأعاجيب القاهرة، فبلغ رسالة ربه، ونصح لأمته، وجاهد في الله حق جهاده، حتى تمت كلمة الله عز وجل، وظهر أمره، وانقاد الناس إلى الحق خاضعين، حتى أتاه اليقين، لا وائياً ولا مقصراً، فصلوات الله عليه من قائد إلى هدى مبين، وعلى أهل بيته الطيبين، وعلى أصحابه المنتخبين، وعلى أزواجه أمهات المؤمنين.

عزّنا الله به الشرائع والأحكام، والحلال والحرام، وبيّن لنا به شريعة الإسلام، حتى أنجلت عنا طخياء الظلام<sup>(1)</sup>، وانحسرت عنا به الشبهات، وانكشفت عنا به الغيابات، وظهرت لنا به البيّنات.. وجاءنا بـ (كتاب عزيز. لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد)<sup>(2)</sup>.

جمع فيه علم الأولين والآخرين، وأكمل به الفرائض والدين، فهو صراط الله المستقيم، وحبله المتين، فمن تمسك به نجا، ومن خالفه ضل وغيى، وفي الجهل تردى، وحثنا الله في كتابه على التمسك بسنة رسوله ﷺ، فقال عز وجل: **﴿وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾** [الحشر:7]، وقال عز وجل: **﴿فليحذر الذين يخافون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم﴾** [النور:63]، وقال تعالى: **﴿وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾** [النساء:83].

وقال تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول﴾** [النساء:59]، يقول: إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وقال: **﴿وما ينطق عن الهوى. إن هو إلا وحي يوحى﴾** [النجم:3، 4]، وقال تعالى: **﴿قل ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسي إن اتبع إلا ما يوحى إلي﴾** [يونس:15]، وقال: **﴿إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا﴾** [النور:51]، فأمرهم أن يسمعوا قوله، ويطيعوا أمره، ويحذروا مخالفته، وقال: **﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول﴾** [النساء:59] فأمرهم بطاعة رسوله ﷺ كما أمرهم بطاعته، ودعاهم إلى التمسك بسنة نبيه ﷺ كما أمرهم بالعمل بكتابه.

<sup>1</sup>(?) شدّته

<sup>2</sup>(?) مقتبس من الآية 41، 42 بسورة فصلت

فنبذ كثيرٌ ممن غلبت عليهم شقوئُهُ واستجود عليهم الشيطان، سننَ نبي الله ﷺ وراء ظهورهم، ومالوا إلى أسلاف لهم قلدوهم دينهم، ودانوا بديانتهم، وأبطلوا سنن نبي الله عليه السلام، ودفعوها وأنكروها وجحدوها افتراءً منهم على الله، (قد ضلوا وما كانوا مهتدين)<sup>(1)</sup>.

أوصيكم عباد الله بتقوى الله، وأحذركم الدنيا، فإنها حلوة خضرة، تُغر أهلها وتخدع سكانها، قال الله تعالى **واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيماً تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرًا** [الكهف: 45]... من كان فيها في حيرة أعقبته بعدها عبرة، ومن أعطته من سرّائها بطنا أعقبته من ضرّائها ظهرًا، غرارة غرور ما فيها، فانية فإن ما عليها، كما حكم عليها ربها بقوله: **كل من عليها فان** [الرحمن: 26]، فاعملوا رحمكم الله للحياة الدائمة، ولخلود الأبد، فإن الدنيا تنقضي على أهلها، وتبقى الأعمال قلائد في رقاب أهلها.

واعلموا أنكم ميتون، ثم إنكم من بعد موتكم إلى ربكم راجعون، **ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى**<sup>(2)</sup>، فكونوا بطاعة ربكم عاملين، وعمّا نهاكم منتهين.

<sup>1</sup>(?) مقتبس من الآية 140 بسورة الأنعام  
<sup>2</sup>(?) مقتبس من الآية 31 بسورة النجم

## الباب الأول قول أهل الزيغ والرد عليه بقول أهل السنة

### الفصل الأول

#### فصل في قول أهل الزيغ والبدع

أما بعد: فإن كثيرًا من الزائغين عن الحق من المعتزلة وأهل القدر مالت بهم أهواؤهم إلى تقليد رؤسائهم ومن مضى من أسلافهم، فتأولوا القرآن على آرائهم تأويلًا لم يُنزل به الله سلطانًا، ولا أوضح به برهانًا، ولا نقلوه عن رسول رب العالمين ولا عن السلف المتقدمين، وخالفوا روايات الصحابة رضي الله عنهم عن نبي الله ﷺ في رؤية الله عز وجل بالأبصار، وقد جاءت في ذلك الروايات من الجهات المختلفة، وتواترت بها الآثار وتتابعت بها الأخبار.

وأنكروا شفاعة رسول الله ﷺ للمذنبين، ودفَعوا الروايات في ذلك عن السلف المتقدمين.

وجحدوا عذاب القبر، وأن الكفار في قبورهم يُعذبون، وقد أجمع على ذلك الصحابة والتابعون رضي الله عنهم أجمعين.

ودانوا بخلق القرآن نظيرًا لقول إخوانهم من المشركين؛ الذين قالوا: **«إن هذا إلاقول البشر»** [المدثر: 25]، فزعموا أن القرآن كقول البشر<sup>1</sup>.

وأثبتوا أن العباد يخلقون الشر، نظيرًا لقول المجوس الذين أثبتوا خالقين: أحدهما يخلق الخير، والآخر يخلق الشر، وزعمت القدرة أن الله تعالى يخلق الخير، والشيطان يخلق الشر.

<sup>1</sup>(?) كل خطاب وجواب كان من الأشعري للمعتزلة هو كذلك للأشعرية فيما توافقوا فيه مع المعتزلة.. وما أكثر ما تأثروا فيه بهم من مسائل وتأويلات.. كهذه المسألة وغيرها مما سيأتي وروده رحمه الله لها وردّه عليها



وزعموا أن الله تعالى يشاء ما لا يكون، ويكون ما لا يشاء، خلافاً لما أجمع عليه المسلمون من أن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، ورداً لقول الله تعالى: **﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾** [الإنسان: 30] فأخبر تعالى أنا لا نشاء شيئاً إلا وقد شاء الله أن نشاءه، ولقوله: **﴿ولو شاء الله ما اقتتلوا﴾** [البقرة: 253]، ولقوله تعالى: **﴿ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها﴾** [السجدة: 13]، ولقوله تعالى: **﴿فعال لما يريد﴾** [البروج: 16]، ولقوله تعالى مخبراً عن نبيه شعيب عليه السلام أنه قال: **﴿وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شيء علماً﴾** [الأعراف: 89].. ولهذا سماهم رسول الله ﷺ مجوس هذه الأمة<sup>(1)</sup>؛ لأنهم دانوا بديانة المجوس، وضاهوا أقاويلهم.

وزعموا أن للخير والشر خالقين كما زعمت المجوس ذلك، وأنه يكون من الشرور ما لا يشاءه الله كما قالت المجوس.. وأنهم يملكون الضر والنفع لأنفسهم من دون الله عز وجل ردّاً لقول الله تعالى لنبيه ﷺ: **﴿قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله﴾** [الأعراف: 188]، وإعراضاً عن القرآن وعمما أجمع عليه أهل الإسلام.

وزعموا أنهم منفردون بالقدرة على أعمالهم دون ربهم، فأثبتوا لأنفسهم الغنى عن الله عز وجل، ووصفوا أنفسهم بالقدرة على ما لم يصفوا الله بالقدرة عليه، كما أثبت المجوس - لعنهم الله - للشيطان من القدرة على الشر ما لم يثبتوا لله عز وجل، فكانوا مجوس هذه الأمة؛ إذ دانوا بديانة المجوس، وتمسكوا بأقاويلهم ومالوا إلى أضاليلهم.

وقنطوا الناس من رحمة الله، وآيسوهم من رَوْحِهِ، وحكموا على العصاة بالنار والخلود فيها، خلافاً لقول الله تعالى: **﴿ويغفر م دون ذلك لمن يشاء﴾** [النساء: 48].. وزعموا أن من دخل النار لا يخرج منها، خلافاً لما جاءت به

<sup>1</sup>(?) حديث حسن، ونصه: (القدرة مجوس هذه الأمة، إن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم) رواه غير واحد بطرق مختلفة، وأخرجه أبو داود (4691) والحاكم (159 / 1) وابن أبي عاصم في السنة (327-329، 331، 338، 342) والطبراني في الأوسط (2494، 4205، 9223) وصححه الألباني كما في (ظلال الجنة) و(صحيح الجامع)

الرواية عن رسول الله ﷺ : (إن الله عز وجل يُخرج قومًا من النار بعد أن أمتَحَشُوا فيها وصاروا حممًا)<sup>(1)</sup>.

ودفعوا أن يكون لله (وجه) مع قوله عز وجل: **ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام** [الرحمن: 27]، وأنكروا أن له (يدان) مع قوله - سبحانه - **لما خلقت بيدي** [ص: 75]... وأنكروا أن يكون له (عينان) مع قوله - سبحانه - **تجري باعيننا** [القمر: 14]، وقوله: **ولتصنع علي عيني** [طه: 3]، وأنكروا أن يكون له - سبحانه - (علم) مع قوله: **أنزله بعلمه** [النساء: 166]، وأنكروا أن يكون له (قوة) مع قوله - سبحانه - **ذو القوة المتين** [الذاريات: 58].

ونفوا ما روي عن رسول الله ﷺ : (أن الله عز وجل ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا)<sup>(2)</sup>؛ وغير ذلك مما رواه الثقات عن رسول الله ﷺ.

وكذلك جميع أهل البسَدع من الجهمية والمرجئة والحرورية<sup>(3)</sup>، أهل الزيغ فيما ابتدعوا وخالفوا الكتاب والسنة،

<sup>1</sup>(?) متفق عليه رواه البخاري (6573) ومسلم (182).. وامتَحَشُوا: احترقوا  
<sup>2</sup>(?) رواه البخاري (1145، 6321، 7494)، ومسلم (758).  
<sup>3</sup>(?) ويُضاف إليهم: (الأشعرية) أعني: متأخريهم ممن زاغوا عن طريق الحق، فقد جنحوا في كثير من قضايا الاعتقاد لما جنح إليه المعتزلة والجهمية.. فدفعوا أن يكون لله (وجه) وأنكروا أن له (يدان) و(عينان) و(نزول).. كما أنكروا (علوه) سبحانه على خلقه و(استوائه على عرشه)؛! مع ثبوت النصوص فيهما بما يقدر بالمتأ؛ وذلك بزعم أن هذا من العقليات، وأن العقل يحيل (الجهة) التي هي من خصائص الأجسام؛ فقاسوا بذلك الخالق على المخلوق، وغاب عنهم أن لفظ (الجهة) مجمل والمراد به في حق الله: ما وراء وما فوق العالم وليس الداخل في شيء من المخلوقات على ما أوضحه الألباني في مختصر العلو ص70 وما بعدها.

والغريب في الأمر أن الأشعرية الذين عطلوا (العلو) و(الاستواء) وسائر صفات الله بسبب التكيف وذكر السلوب الذي شابهوا فيهما المعتزلة، أجازوا رؤيته تعالى (بالأبصار \* بلا كيف ولا انحصار)، فكانوا مادة للسخرية حتى من قبل المعتزلة أنفسهم القائلين بحقهم: "من أثبت الرؤية وأنكر الجهة، فقد أضحك الناس على عقله" [ينظر بيان تلبس الجهمية ص88].

كما أدهم تحكيم العقل على نصوص الشرع إلى: نفي نزوله تعالى إلى السماء الدنيا على النحو اللائق بجلاله وينظر في رد ذلك بالتفصيل كتابنا: (قرائن اللغة والنقل والعقل على حمل صفات الله على ظاهرها)، وإلي: تعطيل جميع صفات الله (الخبرية) و(الفعلية) بحجج واهية بعد أن كيّفوها، فأسقطوا قيمة الوحيين في مجال عقيدة (توحيد الصفات)، جراء تلاعبهم بالنصوص الواردة بحقها، وتأويلهم إياها على غير وجهها وبمزاعم واهية، مخلفين وراء ظهورهم مذهب

وما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم أجمعين،  
وأجمعت عليه الأمة كفعل المعتزلة والقدريّة وأنا ذاكر ذلك بابًا  
بابًا، وشيئًا شيئًا إن شاء الله تعالى وبه المعونة.

شيخهم أبي الحسن الأشعري المثبت لها، غير معتقدين ولا معترفين ولا عاملين  
بما آل إليه أمره.. وسيأتي رد شبهاتهم بما يسمح به المقام



## الفصل الثاني

### فصل في إبانة قول أهل الحق والسنة

فإن قال لنا قائل: قد أنكرتم قول المعتزلة والقدرية والجهمية والحرورية والرافضة والمرجئة، فعزقونا قولكم الذي به تقولون، وديانتكم التي بها تدينون.

قيل له: قولنا الذي نقول به، وديانتنا التي ندين بها: التمسك بكتاب الله ربنا، وبسنة نبينا محمد ص، وما روى عن السادة الصحابة والتابعين وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون، وبما كان يقول به أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل - نصر الله وجهه ورفع درجته وأجزل مثوبته - قائلون، ولما خالف قوله مجانبون؛ لأنه الإمام الفاضل، والرئيس الكامل، الذي أبان الله به الحق، ودفع به الضلال، وأوضح به المنهاج، وقمع به بدع المبتدعين، وزيع الزائغين، وشك الشاكين، فرحمة الله عليه من إمام مقدّم، وجليل معظم، وكبير مفحّم وعلى جميع أئمة المسلمين<sup>(1)</sup>.

<sup>1</sup>(?) هذا هو مصدر التلقي عند الأشعري وبه تميز عن الأشعرية في: جعلهم العقل - عيادًا بالله - هو مصدر التلقي، وقد صرح بهذا الماتريدي في كتابه (التوحيد) و(التأويلات).. وأنه في حال تعارضه - بزعمهم - مع النقل يقدم العقل ويؤول النص.. وكذا في: ادعائهم بأن نصوص الصفات (ظواهر موهمة) أو (ظنيات سمعية، في معارضة كليات عقلية)، وتلك هي عبارات: السعد التفتازاني ت 792 في كتابه مقاصد الطالبين 36 / 3، وقد وقع في هذه الجريرة النكراء، كل من: الفخر الرازي ت 606 - قبل تراجمه بالطبع - والآمدي ت 631 والإيجي ت 756 والسنوسي ت 895، وغيرهم ممن حمل بقيدهم وانخرط في عداد المتكلمة من يوم أن ظهرت الفرق وإلى يوم الناس هذا.

وبكفي في رد ترهاتهم: ما خاطب الله فيه سيد ولد آدم ﷺ مع كونه مضرب المثل في راحة العقل، وذلك قوله: **«ووجدك ضالًا فهدى»** [الضحى: 7] وهو إنما هداه بالوحي.. ثم قول شيخ الإسلام بمجموع الفتاوى 12/ 81، 6/ 525، 514: بأن "كل ما يدل عليه الكتاب والسنة فإنه موافق لصريح المعقول، والعقل الصريح لا يخالف النقل الصحيح، ولكن كثيرًا من الناس يغلطون إما في هذا وإما في هذا، فمن عرف قول الرسول ومراده به، كان عارقًا بالأدلة الشرعية، وليس من المعقول ما يخالف المنقول"، وأن "من قال بموجب نصوص القرآن والسنة، أمكنه أن يناظر الفلاسفة مناظرة عقلية يقطعهم بها ويتبين له أن العقل الصريح مطابق للسمع الصحيح"، وأن "دلالة الحق لا تتناقض، فلا يجوز إذا أخبر الله بشيء - سواء كان الخبر إثباتًا أو نفيًا - أن يكون في إخباره ما يناقض هذا الخبر المعقول، إذ الأدلة المقتضية للعلم لا يجوز أن تتناقض، سواء كان الدليلان سمعيين أو عقليين أو أحدهما سمعيًا والآخر عقليًا، ولكن التناقض قد يكون فيما يظنه بعض الناس دليلًا وليس بدليل، كمن يسمع خبرًا فيظنه صحيحًا ولا يكون كذلك، أو يفهم منه ما لا يكون دليلًا عليه، أو تقوم عنده شبهة يظنها دليلًا عقليًا، وتكون باطلة التبس عليه فيها الحق والباطل". وهذا عينه ما لاحظته الأشعري عندما ترك سبيل المعتزلة والمتكلمة، ونهج نهج سلف الأمة وعلى رأسهم أحمد بن حنبل، وكان منه ما كان من تأليفه كتب:

وجملة قولنا: أنا نقرُّ بالله وملائكته وكتبه ورسله، وبما جاءوا به من عند الله، وما رواه الثقات عن رسول الله ﷺ، لا نردُّ من ذلك شيئاً، وأن الله عز وجل إله واحد لا إله إلا هو، فرد صمد، لم يتخذ صاحبة ولا ولدًا، وأن محمدًا عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق.

وأن الجنة حقٌ، والنار حقٌ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور.

وأن الله تعالى استوى على العرش على الوجه الذي قاله، وبالمعنى الذي أراده، استواءً منزهاً عن الممارسة والاستقرار، والتمكن والحلول والانتقال، لا يحمله العرش، بل العرش وحملته

(الإبانة) و(مقالات الإسلاميين) و(رسالة إلى أهل الثغر)، تلك الكتب التي دحض من خلالها بالحجة والبرهان وأدلة العقل قبل النقل، كل طريق يخالف طريق النبي ﷺ وصحابته وتابعيهم بإحسان.

وفي الأخير منها يقول رحمه الله في الإجماع (الثالث والأربعين): "وأجمعوا على التصديق بجميع ما جاء به رسول الله ﷺ في كتاب الله وما ثبت به النقل من سائر سنته ووجوب العمل بمحكمه، والإقرار بنصِّ مشكله ومتشابهه، وردَّ كل ما لم يحط به علمًا بتفسيره إلى الله مع الإيمان بنصه". .. ناهيك عما صدر به كتابه الإبانة من التمسك بالكتاب والسنة، ومن أنه كان يرى أن أحاديث الآحاد طالما صحت يُحتج بها في العقائد وهي دليل لإثباتها، وقد أعلن اعتقاد أشياء ثبتت بأحاديث الآحاد، وهو ما أفاده د. محمد أبو زهرة في كتابه (ابن تيمية حياته وعصره) ص 189 وما بعدها، و د. فوقية في تحقيقها لكتاب (الإبانة) ص 110 وما بعدها.. خلافاً لمن يرى عكس ذلك ويخالف - بما يجنح إليه - إمام المذهب وما أكثرهم!

يقول أبو المظفر السمعاني ت 489 في كتابه (الانتصار لأصحاب الحديث) فيما نقله عنه الأصبهاني في الحجة 1/ 348: "واعلم أن فضل ما بيننا وبين المبتدعة هو: (مسألة العقل)، فإنهم أسسوا دينهم على المعقول وجعلوا الاتباع والمأثور تبعاً للمعقول، وأما أهل السنة فقالوا: الأصل في الدين الاتباع، والمعقول تبع؛ ولو كان أساس الدين على المعقول لاستغنى الخلق عن الوحي وعن الأنبياء، ولبطل معنى الأمر والنهي، ولقال مَنْ شاء ما شاء، ولجاز للمؤمنين ألا يقبلوا شيئاً حتى يعقلوه؛ ونحن إذا تدبرنا عامة ما جاء في أمر الدين من ذكر: صفات الله وما تعبد الناس به من اعتقاده، وكذلك ما ظهر بين المسلمين وتداولوه بينهم، ونقلوه عن سلفهم إلى أن أسندوه إلى رسول الله ﷺ من ذكر: عذاب القبر، وسؤال منكر ونكير، والحوض، والميزان، والصراط، وصفات أهل الجنة وصفات النار وتخليد الفريقين فيهما، لوجدناها أموراً لا تُدرك حقائقها بعقولنا". .. كذا بما يُظهر: تناقض الأشعرية بإيمانهم ببعض ذلك وكفرهم ببعض.

قال: "ثم نقول لهذا القائل - الذي يقول: يُبني ديننا على العقل وأمرنا باتباعه - : أحيّرنا إذا أتاك أمر من الله يخالف عقلك بأيهما تأخذ؟ بالذي تعقل أو بالذي تُؤمر؟؛ فإن قال بالذي أعقل فقد أخطأ وترك سبيل الإسلام، وإن قال أخذ بالذي جاء من عند الله فقد ترك قوله، وإنما علينا أن نقبل ما عقلناه إيماناً وتصديقاً وما لم نعقله قبلناه استسلاماً وتسليماً؛ وهذا معنى قول القائل من أهل السنة: إن الإسلام قنطرة لا تُعبر إلا بالتسليم"، ومعنى عبارة الطحاوي: "ولا تثبت قدم الإسلام إلا على ظهر التسليم والاستسلام". .. إذ الوحي هو القائد



محمولون بلطف قدرته، ومقهورون في قبضته، وهو فوق العرش، وفوق كل شيء إلى تخوم الثرى، فوقية لا تزيدم قريبًا إلى العرش والسماء، بل هو رفيع الدرجات عن العرش، كما أنه رفيع الدرجات عن الثرى، وهو مع ذلك قريب من كل موجود، وهو أقرب إلى العبد من حبل الوريد، وهو على كل شيء شهيد.

وأن له - سبحانه - (وجهًا) بلا كيف، كما قال: **ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام** [الرحمن: 27]، وأن له - سبحانه - (يدين) بلا كيف، كما قال - سبحانه - **خلقت يدي** [ص: 75]، وكما قال **بل يدها مبسوطتان** [المائدة: 64]، وأن له - سبحانه - (عينين) بلا كيف، كما قال سبحانه: **فإنك بأعيننا** [القمر: 14]، وأن من زعم أن أسماء الله غيره كان ضالًا. وأن لله (علمًا) كما قال: **أنزله بعلمه** [النساء: 166]، وكما قال: **وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه** [فاطر: 11]، وثبت لله السمع والبصر، ولا تنفى ذلك كما نفته المعتزلة والجهمية والخوارج؛ وثبت أن لله قوة، كما قال: **فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة** [فصلت: 15].

ونقول: إن كلام الله غير مخلوق، وأنه سبحانه لم يخلق شيئًا إلا وقد قال له: (كن)، كما قال: **إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون** [النحل: 40].

وأنه لا يكون في الأرض شيء من خير أو شر إلا ما شاء الله، وأن الأشياء تكون بمشيئة الله عز وجل، وأن أحدًا لا يستطيع أن يفعل شيئًا قبل أن يفعله، ولا يستغني عن الله، ولا يقدر على الخروج من علم الله عز وجل<sup>(1)</sup>.

وأنه لا خالق إلا الله، وأن أعمال العباد مخلوقة لله مقدره، كما قال سبحانه: **والله خلقكم وما تعبدون** [الصفات: 96]، وأن العباد لا يقدر أن يخلقوا شيئًا، وهم يخلقون، كما قال: **هل من خالق غير الله** [فاطر: 3]، وكما قال: **لا يخلقون شيئًا وهم يخلقون** [النحل: 20]، وكما قال - سبحانه -:

والعقل تابع، الوحي النص، هو: الإمام، والعقل مأموم يفهم النص ويمشي وراءه، وهذا دوره، "وما أحسن المثل المضروب للنقل مع العقل، وهو: أن العقل مع النقل كالعامي المقلد مع العالم المجتهد، بل هو دون ذلك بكثير فإن العامي يمكنه أن يصير عالمًا ولا يمكن لعالم أن يكون نبيًا رسولًا" إهـ من كلام ابن أبي العز بشرحه على الطحاوية ص 140.

وسياتي ذكر المزيد من كلام الأشعري وكذا كلام فقهاء المذاهب وأئمة السلف في إقرارهم جعل مصدر التلقي هو النقل، وبيان إن دور العقل إنما ينحصر في إعماله في فهم وخدمة النص وألا تعارض بينهما، لأن الذي خلق العقل هو الذي هداه وأرشدته وأرسل إليه النقل، ومحال - وبموجب العقل - أن يرسل إليه ما يفسده، خلًا للأشاعرة الذين أسسوا وجنحوا لتغليب العقل وعدم الأخذ بأحاديث الآحاد وإن صحت، وإلى ظنية الأدلة النقلية، وأنها عند التعارض - بزعمهم - تقدم عليها أدلة العقل، وينظر ذلك بالتفصيل كتاب (مصادر التلقي عند الأشاعرة) ص 234 وما بعدها

<sup>(1)</sup> وسياتي تفصيل الكلام عن كل ذلك في حينه

﴿ **أفمن يخلق كمن لا يخلق** ﴾ [النحل: 17]، وكما قال: ﴿ **أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون** ﴾ [الطور: 35]، وهذا في كتاب الله كثير<sup>(1)</sup>.

وأن الله وفق المؤمنين لطاعته، ولطف بهم، ونظر لهم، وأصلحهم وهداهم، وأضل الكافرين ولم يهدهم، ولم يلفظ بهم بالإيمان كما زعم أهل الزيغ والطغيان، ولو لطف بهم وأصلحهم لكانوا صالحين، ولو هداهم لكانوا مهتدين، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ **من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون** ﴾ [الأعراف: 178]، وأن الله يقدر أن يصلح الكافرين، ويلطف بهم حتى يكونوا مؤمنين، ولكنه أراد أن يكونوا كافرين كما علم، وخذلهم وطبع على قلوبهم.

<sup>1</sup>(?) تلك باختصار هي عقيدة أهل السنة - والأشعري على رأسهم - في قضية خلق أفعال العباد، وحاصلها:

أن خلق الله تعالى لأفعال عباده حقيقة، أمرٌ اتفقت عليه الرسل والكتب الإلهية والفطر والعقول السليمة، فالله خالق للعباد وخالق لأفعالهم، قال تعالى: ﴿ **ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير** ﴾ [البقرة: 106]، فهو سبحانه قادر على كل شيء ومن ذلك أفعال العباد، وقال تعالى: ﴿ **والله خلقكم وما تعملون** ﴾ [الصافات: 96] ف (ما) هنا موصولة، وعليه يكون التقدير: (والله خلقكم وخلق أعمالكم)، إلى آخر الآيات الدالة على ذلك، وهي كثيرة.

وأن أفعال العباد من القدر الذي كتبه الله عليهم، فهي رابع مراتب القدر، التي هي: العلم، الكتابة، المشيئة، الخلق، وأهل السنة يقرون بقدرة حقيقة لهم، تقع لهم فيها مشيئة واختيار، وهي تابعة لقدرة الله ومشيئته وإرادته وقضائه وقدره، يقول تعالى: ﴿ **وانه هو أضحك وبكى** ﴾ [النجم: 43]، كذا بصيغة الماضي الرباعي، فالله المضحك المبكي، والعبد هو الضاحك الباكي حقيقة، وهكذا.

هذا ما عليه جماعة أهل السنة، وهو مخالف لاعتقاد الأشاعرة الذي يقضي بأن ليس للعبد قدرة مؤثرة في وجود الفعل، لا في أصله ولا في وصفه، وحجتهم أنه تعالى خالق كل شيء وليس للعبد إلا الكسب، وهو اعتقاد مشابه من هذا الوجه لمعتقد الجبرية الذين ينكرون أن للعبد قدرة وإرادة ويقولون أن العبد مجبر ومضطر إلى فعله، فهو كريشة معلقة في مهب الريح، كل ما هنالك أن للعبد عند الأشاعرة تهيئاً يميل إليه عند الفعل وكسباً لأفعاله يتعلق به التكليف من غير أن يكون العبد موجدًا لأفعاله وخالقًا لها.

ويكمن الفرق الدقيق بين الأشاعرة وأهل السنة من وجه آخر، ألا وهو: جعل حالة المكتسب لدى أهل السنة حاصلة بحيث لو أراد الخروج من الفعل إلى ضده لم يتمتع ذلك عليه، بخلاف جماهير الأشاعرة فإن ذلك لا يمكن له.

ويظهر الفرق بين كل هؤلاء والمعتزلة القدرية في أن الأخيرة غلوا في إثبات اختيار العبد فنفوا القدر حتى جعلوا العبد مستقل بأفعاله، فأخرجوا أفعال العباد تمامًا من إرادة الله ومشيئته، وقالوا: إنهم يخلقون أفعال أنفسهم، وليس لله فيها تصرف، وكان للبخاري كتابه: (خلق أفعال العباد) لدحض مذهبهم هذا.. كما ينظر فيما ذكرنا: (عقيدة الأشاعرة) للرديعان ص 290، و(عقائد الأشاعرة) لمصطفى باحو ص 267، و(تفنيد أهل السنة لمذهب الأشاعرة) ص 322 للسيد بن أحمد، و(شرح الطحاوية) لابن أبي العز ص 461.

وأن الخير والشر بقضاء الله وقدره، وإنما نؤمن بقضاء الله وقدره، خيره وشره، حلوه ومره، ونعلم أن ما أخطانا لم يكن ليصينا، وأن ما أصابنا لم يكن ليخطئنا، وأن العباد لا يملكون لأنفسهم ضرًا ولا نفعًا إلا بإذن الله، كما قال عز وجل: **﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾** [الأعراف: 188] (1)

وتلجئ أمورنا إلى الله، ونثبت الحاجة والفقر في كل وقت إليه سبحانه وتعالى.

**ونقول:** (إن كلام الله غير مخلوق (2)، وأن من قال بخلق القرآن فهو كافر).

وندين بأن الله يُرى في الآخرة بالأبصار، كما يُرى القمر ليلة البدر، يراه المؤمنون كما جاءت الروايات عن رسول الله ﷺ.

**ونقول:** إن الكافرين محجوبون عنه إذا راه المؤمنون في الجنة، كما قال - سبحانه - **﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾** [المطففين: 15]، وإن موسى ﷺ سأل الله الرؤية في الدنيا، وأن الله تعالى تجلى للجبل فجعله ذكًا، فأعلم بذلك موسى أنه لا يراه في الدنيا.

وندين بأن لا نكفر أحدًا من أهل القبلة بذنوبه ما لم يستحلها، كالزنا والسرقة وشرب الخمر، كما دانت بذلك الخوارج، وزعمت أنهم كفرون.

**ونقول:** إن من عمل كبيرة من هذه الكبائر مثل: الزنا والسرقة وما أشبهها مستحلًا لها، غير معتقد لتحريمها كان كافرًا (3).

**ونقول:** إن الإسلام أوسع من الإيمان، وليس كلُّ إسلام إيمانًا.

وندين الله ﷻ بأنه يقلب القلوب بين أصبعين من أصابعه (4)، وأنه - سبحانه - يضع السماوات على أصبع، والأرضين على أصبع (5)، كما جاءت الرواية عن رسول الله ﷺ من غير تكليف.

وندين بأن لا تُنزل أحدًا من أهل التوحيد والمتمسكين بالإيمان جنة ولا نارًا، إلا من شهد له رسول الله ﷺ بالجنة، ونرجو الجنة للمذنبين، ونخاف عليهم أن يكونوا بالنار معذبين، أجازنا الله منها بشفاعه سيدنا وحبينا رسول الله ﷺ.

1 (?) سيأتي الكلام عن كل ذلك مفصلاً إبان الكلام عن تقدير أعمال العباد

2 (?) ولازم قول متأخري الأشاعرة - في بدعتهم: قصر كلامه تعالى على (النفسي) دون (اللفظي) - على خلاف ذلك، وتلك هي براءة شيخهم منهم ومما يدينون الله به، فقد اتفق الأشاعرة والمعتزلة على أن (القرآن) اللفظي والذي بين أيدينا مخلوق، وزاد الأشعرية فأثبتوا كلامًا قائمًا بنفس الله، وهو غير مخلوق وهو الذي عُبر عنه بالقرآن الذي بين أيدينا.. وسيأتي بيان ذلك ورده

3) وهذا أيضًا سيأتي الكلام عنه بمشيئة الله مفصلاً.

4) رواه مسلم (2654)

5) متفق عليه: رواه البخاري (7414، 7415)، ومسلم (2786) في قصة

www.alukah.net

شبكة الألوكة

www.alukah.net

ونقول: إن الله عز وجل يُخرج قوماً من النار بعد أن امتحشوا بشفاعة رسول الله ﷺ تصديقاً لما جاءت به الروايات عنه <sup>(6)</sup>.  
ونؤمن بعذاب القبر وبالحوض، وأن الميزان حق، والصراف حق، والبعث بعد الموت حق، وأن الله عز وجل يوقف العباد في الموقف، ويحاسب المؤمنين.  
وأن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص <sup>(2)</sup>، ونسلم بالروايات الصحيحة عن رسول الله ﷺ التي رواها الثقات عدل عن عدل، حتى تنتهي إلى رسول الله ﷺ <sup>(3)</sup>، وندين بحب السلف الذين اختارهم

<sup>6</sup>(?) سبق تخريجه

<sup>2</sup>(?) وتلك هي عقيدة مالك والشافعي وأحمد وجمهرة أهل السنة وسلف الأمة، وذلك بناء على أن الإيمان قول باللسان وتصديق بالجنان وعمل بالأركان، وأن جنس العمل داخل في مسمى الإيمان، وأن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وليس كما تقوله الحنفية والماتريدية والمرجئة: (قول باللسان واعتقاد بالجنان) وإن ذهب الماتريدي وروى عن أبي حنيفة أن الإقرار باللسان ركن زائد.. وليس كما تقوله الكرامية: (قول باللسان فقط).. وليس كما تقوله الأشاعرة: (اعتقاد بالقلب فقط) وما العمل إلا شرط كمال فيه.. وليس كما تقوله الجهمية: (هو المعرفة بالقلب فقط).. إذ على قول الأخيرة يكون فرعون مؤمناً لأنه عارف، وإبليس أيضاً يكون مؤمناً لأنه عارف بقلبه.. ولزم قول الأشاعرة أن يكون أبو لهب وأبو طالب وأبو جهل وسائر المشركين وكذا اليهود مؤمنين، لأنهم موقنين ومصدقين بالنبي بقلوبهم، ولكن منعهم الكبر والحسد من اتباعه <sup>1</sup>، قال تعالى عن اليهود: **الذين أتيناهم الكتاب يعرفونه كم يعرفون أبناءهم** [البقرة: 146]، وقال عن المشركين: **قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون** [الأنعام: 33]، فمعني (لا يكذبونك): أنهم يصدقونك، وقال أبو طالب:

**ولقد علمت أن دين محمد  
من خير أديان البرية دينا  
لولا الملامة أو حذارٍ مسببة  
لرأيتني سميماً بما بذاك مبيناً**

وعلى قول جميعهم لا قيمة للعمل وقد قرنه الله في القرآن بالإيمان في أربع وستين موضعاً.. على أن الخلاف بين الحنفية والأشاعرة والماتريدية وبين أهل السنة ليس مجرد خلافٍ صوريٍّ كما ادَّعى، بدليل أن الأشاعرة ومن على شاكلتهم يجيزون لأفجر واحد منهم أن يقول: (إيماني كإيمان أبي بكر، بل كإيمان الأنبياء والمرسلين وجبريل وميكائيل عليهم السلام)، والله يقول في ردِّ مزاعمهم: **إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياتنا زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون. الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون** [الأنفال: 2-4]، وبالطبع فليس إيمان الرسل كإيمان غيرهم، ولا إيمان الخلفاء والصحابة كإيمان غيرهم، ولا إيمان المؤمنين كإيمان الفاسقين.. ينظر شروح الطحاوية ص 276

<sup>3</sup>(?) لا فرق في ذلك بين الخبر المتواتر وخبر الأحاد طالما صحت روايتها عن النبي ﷺ، والأشعري وجماعة أهل السنة على ذلك خلافاً للأشعرية الذين لا

الله تعالى لصحبة نبيه ﷺ ، وثني عليهم بما أثنى الله به عليهم، ونتولاهم أجمعين.

**ونقول:** إن الإمام الفاضل بعد رسول الله ﷺ : أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وأن الله سبحانه وتعالى أعز به الدين، وأظهره على المرتدّين، وقدمه المسلمون بالإمامة، كما قدمه رسول الله ﷺ للصلاة، وسموه بأجمعهم خليفة رسول الله ﷺ، ثم عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ثم عثمان بن عفان رضي الله عنه، وأن الذين قتلوه ظلماً وعدواناً، ثم علي بن أبي طالب ؑ، فهؤلاء الأئمة بعد رسول الله ﷺ، وخلافتهم خلافة النبوة.

ونشهد بالجنة للعشرة الذين شهد لهم رسول الله ﷺ بها، ونتولى سيائر أصحاب رسول الله ﷺ، ونكف عما شجر بينهم.. وندين بأن الأئمة الأربعة خلفاء راشدون، مهديون فضلاء، لا يوازنهم في الفضل غيرهم.

ونصدق بجميع الروايات التي يثبتها أهل النقل عن النزول إلى سماء الدنيا، وأن الرب يقول: (هل من سائل؟، هل من مستغفر؟)<sup>(1)</sup>، وسيائر ما نقلوه وأثبتوه، خلافا لما قاله أهل الزيغ والتضليل.

ونعول فيما اختلفنا فيه على كتاب ربنا عز وجل، وسنة نبينا ﷺ، وإجماع المسلمين، وما كان في معناه<sup>(2)</sup>، ولا نبتدع في دين الله ما لم يأذن لنا، ولا نقول على الله ما لا نعلم.

**ونقول:** إن الله عز وجل يجيء يوم القيامة، كما قال - سبحانه -: **﴿وجاء ربك والملك صفاً صفاً﴾** [الفجر: 22]، وأن

يأخذون إلا بالمتواتر، بزعم أن أحاديث الآحاد تفيد العلم ولا تفيد اليقين ولا يُستدل بها في العقيدة، ويمكن الاحتجاج بها في مسائل الغيبات التي ليس للعقل القدرة على نفيها أو إثباتها كعذاب القبر والصراط وغيرها، وهذا - بالطبع - باطل إذ لا فرق، ولا أدل على بطلانه من بطلان صلاتهم لأن تحويل قبلتها جاءت بطريق الآحاد، ولا أدل على بطلانه كذلك من: تناقضهم فقد جاءت أحاديث نزوله تعالى إلى السماء الدنيا في الثلث الأخير من كل ليلة بطريق التواتر، ومع ذلك تراهم يؤولونها بغير قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي لصفة نزوله تعالى، بل ومع القرائن الموجبة لحملها على ظاهرها.. وينظر للمزيد عن الحديث عن هذه القضية شرح الطحاوية هامش ص 276 والفتوى رقم (129610) بتاريخ 15 من ذي الحجة 1430 الموافق 12/2/2009 بموقع (إسلام ويب) إذ بها الإجابة عن سؤال: (من هو أول من قال بأن أحاديث الآحاد ليست حجة في العقائد؟ وما هي أسهل طريقة لنقض عقيدة المبتدعة هذه؟).

<sup>1</sup>(?) سبق تخريج حديث النزول، وقد بلغ حد التواتر كما ذكر ذلك أئمة الحديث.  
<sup>2</sup>(?) هذا عن مصدر التلقي لدى الأشعري على ما سبق تقريره، بالمخالفة لما عليه متأخرو الأشاعرة حيث عولوا على العقل وغلبوه على النقل.. ويظهر هذا جلياً في كل ما عرض له الأشعري بلا استثناء، سواء في كتابه هذا (الإبانة) أو غيره.

الله مقرب من عباده كيف شاء بلا كيف، كما قال تعالى: **﴿ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾** [ق: 16]، وكما قال - سبحانه -: **﴿ثم دنا فتدلى، فكان قاب قوسين أو أدنى﴾** [النجم: 8-9]<sup>(1)</sup>.

ومن ديننا أن المسح على الخفين سنة في الحضر والسفر، خلافاً لقول من أنكر ذلك.

ومن ديننا أن نصلي الجمعة والأعياد وسائر الصلوات والجماعات خلف كل برٍّ وفاجر، كما روى أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما كان يصلي خلف الحجاج.

ونرى الدعاء لأئمة المسلمين بالصلاح والإقرار بإمامتهم، وتضليل من رأى الخروج عليهم إذا ظهر منهم ترك الاستقامة.

وندين بإنكار الخروج بالسيف، وبترك القتال في الفتنة<sup>(2)</sup>.

<sup>1</sup>(?) ينظر في ذكر الإجماع والمزيد من الأدلة على إثبات كلٍّ من (النزول والمجيء والقرب والدنو).. وغير ذلك مما سبق أن أشار إليه الأشعري هنا، من نحو (الاستواء والوجه واليدين والعينين والكلام اللفظي والأصابع)، كتابنا: (قرائن اللغة والنقل والعقل في حمل صفات الله على ظاهرها) فلتراجع هنالك <sup>2</sup>(?) وهذه أمور في غاية الأهمية وتمثل في زماننا: (واجب الوقت)، إذ بتركها ابتلينا بمن ينازع المحسوسين من حكام المسلمين على أهل السنة الأمر أهله، ويسعى جاهداً إلى تفتيت الأمة وتدميرها وتسليط أعدائها عليها، ويحیی فيها بدعة الخوارج وأعني بهم: فرق من الضلال المعاصرة: (السرورية وكل جماعات التكفير بما فيهم الجماعة الأم وكل من خرج من رحمها ومن تحت عباؤها وسلك سبيلها)، وفي رد ذلك وموافقة الأشعري لسائر أئمة أهل السنة، جاء إجماع الأمة وأصحاب المذاهب، ونذكر من أقوال:

1) **أئمة الحنفية:** ما نقله الإمام الطحاوي - محدث الديار المصرية وفتيها 321 في عقيدته المسماة باسمه- "عن الإمام أبي حنيفة النعمان، وصاحبه أبي يوسف ومحمد بن الحسن الشيباني، مما كانوا -على حد قول شارحها: القاضي ابن أبي العز الدمشقي- يعتقدونه من أصول الدين، ويدينون به رب العالمين"، قال:

"ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا وإن جاروا، ولا ندعو عليهم، ولا ننزع يدًا من طاعتهم، ونرى طاعتهم من طاعة الله فريضة ما لم يأمرنا بمعصية، وندعو لهم بالصلاح والمعافة".." إلى أن قال: "هذا ديننا واعتقادنا ظاهرًا وباطنًا، ونحن برّاء إلى الله من كل من خالف الذي ذكرناه وبينا، ونسأل الله أن يعصمنا من الأهواء المختلفة والآراء المتفرقة والمذاهب الردية".

ومما استدلل به ابن أبي العز في شرح ما ذكرناه للطحاوي: قولُ الله تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾** [النساء: 59]، وقوله **﴿** كما في الصحيحين: (من أطاعني فقد أطاع الله،



ونقُرُ بخروج الدجال - أعاذنا الله من فتنته - كما جاءت به الرواية عن رسول الله ﷺ (1) .. ونؤمن بعذاب القبر، ومنكر ونكير عليهما الصلاة والسلام، ومساءلتهما المدفونين في القبور.

ونصدق بحديث المعراج (2)، وتصحيح كثير من الرؤيا في المنام، ونقر أن لذلك تفسيراً.. ونرى الصدقة على موتى المسلمين، والدعاء لهم، ونؤمن بأن الله ينفعهم بذلك.

ونصدق بأن في الدنيا سحرة وسحراً، وأن السحر كائن موجود في الدنيا.. وندين بالصلاة على من مات من أهل القبلة، برهم

ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني ومن يعص الأمير فقد عصاني،) وحديث الصحيحين: (على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره، إلا أن يؤمر بمعصية، فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة)، وأثر أبي ذر وفيه قوله ﷺ: (إن خليلي أوصاني أن أسمع وأطيع، وإن كان عبداً حبشياً مجدعاً الأطراف) كذا بمسلم، ولفظ البخاري: (ولو لحبشي كان رأسه زبيبة).

وفي زيادة: (يقودكم بكتاب الله) (ما أقام فيكم كتاب الله)، إشارة لعدم السمع والطاعة فيما خالف فيه الإمام شرع الله فقط، وهذا مراده عز وجل من هذه العبارة، وليس مراده: إسقاط مطلق السمع والطاعة لكل أوامره كما يدعي التكفيريون، يؤكد هذا المعنى حديث حذيفة: (يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهديي ولا يستنون بسنتي، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس، قال: قلت: كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك؟، قال: (تسمع وتطيع وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع)، وكلام ابن تيمية واضح في رد هذه الشبهة العظيمة، حيث يقول في (منهاج السنة) 1/ 556: "وهو قد أخبر أنه بعد ذلك يقوم أئمة لا يهتدون بهديه ولا يستنون بسنته، وبقيام رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان الإنس، وأمر مع هذا بالسمع والطاعة للأمير، وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك، فتبين أن الإمام الذي يطاع: هو من كان له سلطان، سواء كان عادلاً أو ظالماً".

ومما استشهد به كذلك على وجوب الطاعة للحاكم في غير معصية: قوله ﷺ لحذيفة: (تلزم جماعة المسلمين وإمامهم)، وقوله: (من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر، فإنه من فارق الجماعة شبراً فمات، فميتته ميتة جاهلية)، وهو في صحيح سنن أبي داود بلفظ: (فقد خلع ربة الإسلام من عنقه).. إلى آخر ما ذكره من أدلة أعقبها بقوله ص 325: "فقد دل الكتاب والسنة على وجوب طاعة أولي الأمر ما لم يأمروا بمعصية.. وأما لزوم طاعتهم وإن جاروا، فلأنه يترتب على الخروج من طاعتهم من المفساد أضعاف ما يحصل من جورهم، بل في الصبر على جورهم تكفير السيئات ومضاعفة الأجور، فإن الله ما سلطهم علينا إلا لفساد أعمالنا، والجزاء من جنس العمل، فعلى الاجتهاد في الاستغفار والتوبة وإصلاح العمل.. وهذا هو!.

ولم يفت الطحاوي -بعقيدته التي تلقتها الأمة بالقبول- أن يترد على التكفيريين دعاوهم الباطلة، ويلزمهم الحجة في حقن دماء المسلمين، ويمنع التأله على الله بدخول أحد جنة أو حرمانه منها.. ولأن يقول في ذلك:

"ولا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله.. ونرجو للمحسنين من المؤمنين أن يعفو عنهم ويدخلهم الجنة برحمته، ولا نأمن عليهم ولا نشهد لهم

وفاجرهم، وتوارثهم.. ونقر أن الجنة والنار مخلوقتان، وأن من مات وقتل فبأجله مات وقتل.

وأن الأرزاق من قبَلِ الله - سبحانه - يرزقها عباده حلالاً وحراماً، وأن الشيطان يوسوس للإنسان، ويشككه ويخطبه، خلافاً للمعتزلة والجهمية، كما قال تعالى: **الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس** [البقرة: 275]، وكما قال: **من شر الوسواس الخناس. الذي يوسوس في صدور الناس** [سورة الناس: 4-5].

بالجنة، ونستغفر لمسيئهم ونخاف عليهم ولا نقنطهم.. ولا يخرَج العبد من الإيمان إلا بجحود ما أدخله فيه.. وأهل الكبائر من أمة محمد ﷺ في النار لا يخلدون إذا ماتوا، وهم موحدون وإن لم يكونوا تائبين بعد أن لقوا الله عارفين مؤمنين، وهم في مشيئته وحُكمه: إن شاء غفر لهم وعفا عنهم بفضلهم كما في قوله: **ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء** [النساء: 48، 116]، وإن شاء عذبهم في النار بعدله ثم يخرجهم منها برحمته وبشفاعة الشافعين من أهل طاعته ثم يبعثهم إلى جنته، وذلك بأن الله تولى أهل معرفته ولم يجعلهم في الدارين كاهل تُكرته الذين خابوا من هدايته ولم ينالوا من ولايته.. ولا نرى السيف على أحد من أمة محمد". وقال ردّاً على من نصّب نفسه قاضياً وحاكماً على أهل السنة - حكاماً ومحكومين- بالكفر والشرك والنفاق والطاغوتية.. إلخ: "ونرى الصلاة خلف كل بر وفاجر من أهل القبلة، والصلاة على من مات من الأبرار والفجار، ولا تُنزل أحداً منهم جنة ولا ناراً، ولا نشهد عليهم بكفر ولا بشرك ولا بنفاق، ما لم يظهر منهم شيء من ذلك، وتذرُّ سرايرهم إلى الله.. وتُتبع السنة والجماعة، وتجتنب الشذوذ والخلاف والفرقة، ونحب أهل العدل والأمانة، ونبغض أهل الجور والخيانة، ونرى الحج والجهاد ماضيان مع أولي الأمر من المسلمين، برّهم وفاجرهم إلى قيام الساعة، لا يُبطلهما شيء ولا يتقصّهما".

**2) وينحو ما نقلناه عن الحنفية عن الخوارج ومخالفي السنة، تكلم مالك إمام دار الهجرة:**

فذكر في معتقده عن الحرورية أنهم "يقتلون إذا لم يتوبوا، إن خرجوا على إمام عدل وهو يريدون قتاله ويدعون إلى ما هم عليه"، و"أن دماءهم موضوعة عنهم وأما أموالهم فتؤخذ لأنهم إنما استهلكوها على التأويل وعلى دين يرون أنه صواب، وأنه لا يُصلى على موتاهم ولا تُتبع جنازتهم ولا يُعاد مرضاهم، فإذا قتلوا فذلك أحرى ألا يُصلى عليهم". كذا في المدونة الكبرى للإمام مالك.

وتحت عنوان: (ما أجمعت عليه الأمة من أمور الديانة من السنن التي خلفها بدعة وضلالة) نقل بن أبي زيد القيرواني المعروف بـ (مالك الصغير) عن إمام دار الهجرة قوله: "لا تُصلى خلف المبتدع إلا أن نخافه فنصلي، واختلف في الإعادة، ولا بأس بقتال من دافعك من الخوارج واللصوص من المسلمين وأهل الذمة عن نفسك ومالك، والتسليم للسنن لا تُعارض برأي ولا تُدافع بقياس، وما تأوله منها السلف الصالح - أي: فسروه - تأولناه، وما عملوا به عملناه، وما تركوه تركناه، ويسعنا أن نمسك عما أمسكوا وتتبعهم فيما بينوا، ونقتدي بهم فيما استنبطوه ورأوه في الحوادث، ولا نخرج عن جماعتهم فيما اختلفوا فيه وفي تأويله، وكل ما قدمنا ذكره هو قول أهل السنة وأئمة الناس في الفقه

**ونقول:** إن الصالحين يجوز أن يخصهم الله تعالى بآيات يُظهرها عليهم. **وقولنا في أطفال المشركين:** أن الله تعالى يُوَجِّح لهم في الآخرة نارًا، ثم يقول لهم: اقتحموها، كما جاءت بذلك الرواية<sup>(1)</sup>.

وندين الله عز وجل بأنه يعلم ما العباد عاملون، وإلى ما هم صائرون، وما كان وما يكون، وما لا يكون أن لو كان كيف كان يكون، وبطاعة الأئمة ونصيحة المسلمين. ونرى مفارقة كل داعية

والحديث، وكله قول مالك، فمنه منصوص من قوله، ومنه معلوم من مذهبه". بل أفتى مالك بعدم قبول شهادة من كان على بدعة الخوارج وغيرهم، ولا توليتهم إمامة المسلمين في الصلاة ولا في الثغور، ولا حتى مكالمتهم، وذلك قوله فيما نقله عنه القاضي عياض في ترتيب المدارك 2/ 47: "لا تجوز شهادة القدري الذي يدعو إلى بدعته، ولا الخارجي والرافضي"، وقال عياض بنفس المصدر: "سئل مالك عن أهل القدر أتكف عن كلامهم؟ قال: (نعم؛ إذا كان عارقًا بما هو عليه)، وفي رواية أخرى قال: (لا يُصلى خلفهم ولا يُقبل عنهم الحديث، وإن وافيتموهم في ثغر فأخرجوهم منه)". هـ.. كذا هو حكم الله فيمن يدين بغير دين أهل السنة والجماعة من الشيعة والتكفيريين وخوارج العصر.. وإنما نصارحهم بهذا خوفًا عليهم، وليدركوا خطورة ما هم عليه، وليرجعوا عن غيهم إلى منهاج النبوة ونهج الفرقة الناجية.

ومما قاله القاضي عياض بحق الإمامة العظمى (الخلافة): إن "اشتراط كون الإمام قرشيًا: مذهب العلماء كافة، وقد عدوها من مسائل الإجماع، ولم ينقل عن أحد من السلف فيها خلاف، وكذلك من بعدهم في جميع الأعصار، قال: ولا اعتداد بقول الخوارج ومن وافقهم من المعتزلة"، ويفاد منه: بطلان انعقادها لكل من يدعيها في زماننا وبخاصة من يدين منهم بمذهب الخوارج من كافة جماعات التكفير.

**3) وقال بنحوه فقيه الملة، الإمام الشافعي:** ففي رده عادية التكفيريين والخارجين على حكام المسلمين، يحكي -رحمه الله- فيما رواه عنه أبو شعيب وأبو ثور والبرزنجي الحسيني، أن ضمن السنة التي رأى أصحابه من أهل الحديث وأخذها عنهم مثل ابن عيينة ومالك: "ولا أكفر أحدًا من أهل التوحيد بذنب وإن عمل الكبائر، وأكلهم إلى الله.. ولا أنزل المُحسن من أمه محمد الجنة بإحسانه، ولا المسيء بإساءته النار، وأعرف حق السلف الذين اختارهم الله لصحة نبيه، وأحدت بفضائلهم وأمسك عما شجر بينهم صغيرهم وكبيرهم.. والشفاة لأهل الكبائر من أمة محمد.. والجهد ماض مع كل بر وفاجر، وصلاة العيدين والجمعة إلى يوم القيامة.. والدعاء لأئمة المسلمين بالصلاح، ولا يُخرَج عليهم بالسيف.. والإيمان بهذا كله حق، فمن ترك من هذا شيئًا فهو مخالف لكتاب الله وسنة نبيه".

كما نصح الشافعي في وصيته التي رواها عنه الحسين بن هشام البلدي، بـ"السمع والطاعة لأولي الأمر ما داموا يصلون، والولاة لا يُخرج عليهم بالسيف، والخلافة في قريش.. وقد ختم الشافعي وصيته بقوله: "وأوصي بتقوى الله، ولزوم السنة والآثار عن رسول الله وأصحابه، وترك البدع والأهواء واجتنابها..

إلى بدعة، ومجانبة أهل الأهواء<sup>(1)</sup>. وسنحتج لما ذكرناه من قولنا وكذا ما بقي منه مما لم نذكره، بابًا بابًا وشيئًا شيئًا إن شاء الله عز وجل<sup>(2)</sup>.

## الباب الثاني الكلام في إثبات رؤية الله - سبحانه - بالأبصار في الآخرة

وعليكم بالجمعة والجماعة، ولزوم الإيمان والتفقه في الدين "إ.هـ من (جمهرة عقائد أئمة السلف) ص 157: 162، ويُنظر قول مالك ص 384 بنفس المصدر.  
**4-أما عن الإمام أحمد بن حنبل في وجوب الطاعة لحكام المسلمين في غير معصية وعدم الخروج عليهم، فحدّث ولا حرج:** فقد كان نموذجًا مثاليًا للصدع بالحق والصبر - في ذات الوقت - على أذى حكام المسلمين وعدم الخروج عليهم، بل إنه جعل هذا أصلًا من أصول السنة، كما أعطى المثل والقُدوة في ذلك بنفسه.. ومما ورد عنه في هذا: ما جاء في عقيدته التي رواها العطار - وهي بنصها بـ (جمهرة عقائد السلف) و(الجامع الفريد) - قال في (أصول السنة):

إن "من السنة اللازمة التي من ترك منها خصلة لم يقبلها ويؤمن بها؛ لم يكن من أهلها: السمع والطاعة للأئمة وأمير المؤمنين البرّ والفاجر، ولمن ولي الخلافة - يعني: إبان انعقادها وعقب عودتها على منهاج النبوة بعد شغور الزمان منها - واجتمع الناس عليه ورصّوا به.. والغزو ماض مع الأمير إلى يوم القيامة البرّ والفاجر لا يُترك، وقسمة الفيء وإقامة الحدود إلى الأئمة ماض، ليس لأحد أن يطعن عليهم ولا يُنازِعُهُم، ودَفَعُ الصدقات إليهم جائزة نافذة، مَن دفعها إليهم أجزاء عنه برًّا كان أو فاجرًا، وصلاة الجمعة خلفه وخلف من ولاه، جائزة.. أيًّا من كانوا برّهم وفاجرهم، فالسنة:

أن يُصَلِّيَ معهم.. ومن خرج على إمام من أئمة المسلمين - وقد كانوا اجتمعوا عليه وأقروا له بالخلافة، بأي وجه كان، بالرضا أو بالغلبة - فقد شق هذا الخارج عصا المسلمين، وخالف الآثار عن رسول الله ﷺ: فإن مات الخارج عليه مات ميتة جاهلية، ولا يحل قتال السلطان ولا الخروج عليه لأحد من الناس، فمن فعل ذلك فهو مبتدع على غير السنة والطريق".

قال أحمد: "وقتل اللصوص والخوارج جائز، إذا عَرَضُوا للرجل في نفسه وماله فله أن يُقاتِلَ عن نفسه وماله، ويدفع عنها بكل ما يقدر، وليس له إذا فارقه أو تركوه أن يطلبهم، ولا يتبع آثارهم، ليس ذلك لأحد إلا الإمام أو ولاة المسلمين، إنما له أن يدفع عن نفسه في مقامه ذلك، وينوي بجُهدِهِ أن لا يُقتل أحدًا، فإن مات على يديه في دفعه عن نفسه في المعركة فأبعد الله المقتول، وإن قُتِلَ هذا في تلك الحال وهو يدفع عن نفسه وماله رجوتُ له الشهادة كما جاء في الأحاديث، وجميع الآثار في هذا إنما أمر بقتاله ولم يُؤمَر بقتله ولا اتّباعه، ولا يُجهزُ عليه إن صُرِعَ أو كان جريحًا، وإن أخذه أسيرًا فليس له أن يقتله ولا يقيم عليه الحد، ولكن يرفع أمره إلى من ولاه الله فيحكم فيه" إ.هـ.

قال الله تعالى: **﴿وجوه يومئذ ناضرة﴾** [القيامة: 22] يعني: مشرقة، **﴿إلى ربها ناظرة﴾** [القيامة: 23] يعني: رائية، وليس يخلو النظر من وجوه نحن ذاكروها:

إما أن يكون الله - سبحانه - عنى: نظر الاعتبار، كقوله تعالى: **﴿أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت﴾** [الغاشية: 17].. أو يكون عنى: نظر الانتظار، كقوله تعالى: **﴿ما ينظرون إلا صيحة واحدة﴾** [يس: 49].. أو يكون عنى: نظر التعطف، كقوله تعالى:

وكان أحمد قد ذكر قبل - في تشيع ما يقع فيه سفكة الدماء في زماننا وفي التحذير من سائر أهل البدع، لإدراكه أنهم سبب كل بلاء - أن من "أصول السنة: التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ والاقتران بهم، وترك البدع إذ كل بدعة ضلالة، وترك الجلوس مع أصحاب الأهواء، وترك المرء والجدال والخصومات في الدين" .. قال: "والسنة عندنا: أثار رسول الله وهي تُفسَّر القرآن وهي دلائل القرآن.. فهي الاتباع وترك الهوى.. والإيمان بشفاعة النبي ﷺ .. إلى أن قال:

"ولا نشهد على أحد من أهل القبلة بعمل يعمله بجنة ولا نار، نرجو للصالح ونخاف عليه، ونخاف على المسيء المذنب، ونرجو له رحمة الله، ومن لقي الله بذنب يجب له به النار تائبًا غير مُصِرٍّ عليه، فإن الله يتوب عليه ويقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات، ومن لقيه وقد أقيم عليه حدُّ ذلك الذنب في الدنيا فهو كفارته كما جاء في الخبر عن رسول الله ﷺ ، ومن لقيه مُصِرًّا غير تائب من الذنوب التي استوجب بها العقوبة فأمره إلى الله، إن شاء عذبه وإن شاء غفر له، ومن لقيه وهو كافر عذبه ولم يغفر له.. ومن مات من أهل القبلة مؤحِّدًا يُصلى عليه ويُستغفر له، ولا يُحجب عنه الاستغفار، ولا تترك الصلاة عليه لذنب أذنبه صغيرًا كان أو كبيرًا، وأمره إلى الله"، وفي زيادة رواها عنه ابن عوف الطائي: "إلا أن يكون من أهل البدع الذين أخرجهم النبي من الإسلام: (القدرية والمرجئة، والرافضة، والجهمية) - وذكر بعضهم كالبرهاري (الخوارج) بدل (الجهمية) - قال أحمد: (لا تصلوا معهم، ولا تصلوا عليهم)" إ.هـ.

وقال فيما رواه عنه الربيعي: "أجمع تسعون رجلا من التابعين وأئمة المسلمين وأئمة السلف وفقهاء الأمصار، على أن السنة التي توفي عليها رسول الله ﷺ ، وجعل يُعدِّدها ويذكر منها: "والجهد مع كل خليفة برٍّ وفاجر.. والصبر تحت لواء السلطان على ما كان منه من عدل أو جور، ولا نخرج على الأمراء بالسيف وإن جاروا، وأن لا نكفر أحدًا من أهل التوحيد وإن عملوا الكبائر" .. وعبارته من رواية الأندرابي: "صفة المؤمن من أهل السنة والجماعة، ألا يكفر أحدًا من أهل التوحيد بذنب.. والإيمان بأن الموحدين يخرجون من النار بعدما امتحشوا - يعني: حُرِّقوا - كما جاءت الأحاديث"، ثم ذكر من صفاته: من شهد وأقر بأن "الجهاد ماض منذ بعث الله محمدًا ﷺ إلى آخر عصابة يقاتلون الدجال، لا يضرهم جور جائر.. والدعاء لأئمة المسلمين بالصلاح ولا تخرج عليهم بسيفك، ولا تُقاتل في فتنة والزم بيتك"، إلى أن قال: "هذا ما أجمع عليه العلماء في جميع الآفاق" إ.هـ. كما جاء في عقيدة أحمد من رواية الرزني، أنه لما أشكل على مسدد أمر الفتنة كتب إلى أحمد أن أكتب إليَّ سُنَّة رسول الله ﷺ ، فكتب إليه يوصيه فيما



﴿ولا ينظر إليهم يوم القيامة﴾ [آل عمران: 77].. أو يكون عنى: نظر الرؤية.

فلا يجوز أن يكون الله عز وجل عنى: نظر التفكير والاعتبار؛ لأن الآخرة ليست بدار اعتبار.

ولا يجوز أن يكون عنى: نظر الانتظار؛ لأن النظر إذا دُكر مع ذكر الوجه فمعناه: نظر العينين اللتين في الوجه.. كما إذا ذكر أهل اللسان نظر القلب فقالوا: (انظر في هذا الأمر بقلبك) لم يكن

يوصيه بـ"الدعاء لأئمة المسلمين بالصلاح، وألا يخرج عليهم بسيفه ولا يقاتل في الفتنة، وبالخروج مع كل إمام في غزوة ووجّهة، والصلاة خلف كل بر وفاجر صلاة الجمعة والعيدين".. وكان مما أوصاه به: "ألا يتألى على أحد من المسلمين بأن يقول: (فلان في الجنة وفلان في النار)، إلا العشرة الذين شهد لهم النبي بالجنة.. ولا نكاح إلا بولي وخاطب وشاهدي عدلٍ" إلى آخر ما ورد عنه رحمه الله.

وأورد الإمام أحمد - ضمن ما قاله أصحاب الأثر وأهل السنة وأجمعوا عليه -: أن "الخلافة - الإمامة العظمى قبل وبعد شغور الزمان منها - في قريش ما بقي من الناس اثنان، ليس لأحد من الناس أن ينازعهم فيها، ولا يخرج عليهم، ولا تُقر لغيرهم بها إلى قيام الساعة، وأن الجهاد ماض قائم مع الأئمة - في الولايات الصغرى التي لا يشترط لها القرشية والكبرى من باب أولى - برؤوا أو فجروا، لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل، وأن الجمعة والعيذان والحج مع السلطان وإن لم يكونوا بررة ولا أتقياء ولا عدولاً، ودفع الصدقات والخراج والأعشار والفيء والغنائم إلى الأمراء عدلوا فيها أم جاروا" إ.هـ.

ولا يعني كلام إمام أهل السنة هنا عن الخلافة وقد وافقه فيه (القاضي عياض) وغيره من أئمة أهل السنة؛ سوى: أن هذا الأمر أمر عقدي، الحق فيه واحد لا يتعدد، ولا يجوز فيه الخلاف، وأن القول بجواز جعلها في غير قريش ميل عن طريق السنة واتباع لمذهب الخوارج.. كما نلاحظ أنه كثيراً ما يرسخ لمصدر التلقي لدى جماعة أهل السنة فيذكر فيما يذكر:

أن "الدين إنما هو كتابُ الله وأثارُ وسننُ ورواياتُ صحاح عن الثقات بالأخبار الصحيحة القوية المعروفة، يُصدّق بعضها بعضاً حتى ينتهي ذلك إلى الرسول وأصحابه والتابعين وتابع التابعين، ومن بعدهم من الأئمة المعروفين المقتدى بهم، المتمسكين بالسنة والمعلقين بالآثار، لا يعرفون بدعة ولا يُطعن فيهم بكذب، ولا يُزَمون بخلاف.. وهذه المذاهب والأقاويل التي وَصَفْتُ: مذاهب أهل السنة والجماعة والآثار وأصحاب الروايات وجملة العلم، الذين أدركناهم وأخذنا عنهم الحديث، وتعلمنا منهم السنن، وكانوا أئمة معروفين ثقات أصحاب صدق يُقتدى بهم ويؤخذ عنهم، ولم يكونوا أصحاب بدعة ولا خلاف ولا تخليط، وهو قول أئمتهم الذين كانوا قبلهم، فتمسكوا بذلك رحمكم الله وتعلموه".

هذا، وقد طفق أحمد رحمه الله يعذر إلى الله، وبذكر المبتدعة بصفاتهم وسماتهم، فذكر المرجئة وأنهم "الذين يزعمون أن الإيمان قول بلا عمل، وأن الإيمان قول والأعمال شُرَائِع، وأن من آمن بلسانه ولم يعمل فهو مؤمن حقاً، وهو أخبث الأقوال وأضلها وأبعدها من الهدى"، وذكر الجهمية: وأنهم "الذين

معناه: نظر العينين، وكذلك إذا ذكر النظر مع الوجه لم يكن معناه: نظر الانتظار؛ الذي يكون للقلب.

وأيضًا فإن نظر الانتظار لا يكون في الجنة؛ لأن الإنتظار معه تنغيص وتكدير، وأهل الجنة لهم في الجنة (ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت)<sup>(1)</sup> من العيش السليم والنعيم المقيم.. وإذا كان هذا هكذا لم يجز أن يكونوا منتظرين؛ لأنهم كلما خطر ببالهم شيء أتوا به مع خطوره ببالهم.

وإذا كان ذلك كذلك فلا يجوز أن يكون الله عز وجل أراد نظر التعطف؛ لأن الخلق لا يجوز أن يتعطفوا على خالقهم.

يزعمون أن القرآن مخلوق، وأن الله لم يكلم موسى، وأن الله ليس بمتكلم، وهو ما لا يزال البعض ممن يحسب نفسه من أهل السنة يؤمن به.. كما ذكر: الرافضة والتصيرية والزيدية، ثم الخوارج الذين جعلي يصفهم بأنهم من "مَرَقُوا من الدين، وفارقوا الملة، وشردوا عن الإسلام، وشدوا عن الجماعة، فضلوا عن السبيل والهدى، وخرجوا على السلطان، وسلوا السيف على الأمة، واستحلوا دماءهم وأموالهم، وعادوا من خالفهم إلا من قال بقولهم.. ولا يرون للسلطان عليهم طاعة، ولا لقريش عليهم خلافة".

كل هذا يفوه به إمام أهل السنة على الرغم مما تعرض له من تعذيب على يد مخالفيه من الخلفاء وأعاونهم، كونهم من أهل السنة ولم يأتوا كفرًا بواحد، وإنما راج عليهم قول المعتزلة والأشعرية، بدليل كلامه الشديد الذي مر بنا بحق الخوارج.

**5- ومن غير فقهاء المذاهب، كذلك كان الصحابة ومن تبعهم بإحسان، ونذكر من أقوالهم:**

قول عبد الله ابن عمر - وكان يرى الخوارج ومن نهج نهجهم شرار خلق الله -: "أنهم انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين"، وفي هذا يقول أبو أيوب السخيتاني: "إن الخوارج اختلفوا في الاسم واجتمعوا على السيف"، ويقول ابن حزم في الملل: "يلحق بالخوارج من شاركهم في آرائهم في كل زمان".

وقول أنس بن مالك فيما صح عنه، قال: "نهانا كبراًؤنا من أصحاب رسول الله، قالوا: لا تسبوا أمراءكم ولا تعشوههم ولا تبغضوهم، واتقوا الله واصبروا فإن الأمر قريب".. هذا بحق أمراء الجور، فما بالك بمن ليسوا كذلك؟!.. بل ما بالك بمن يتأمرون عليه من الخوارج والقعد ولا يكفون عن النيل منهم وسبهم والطعن فيهم ليل نهار؟!.

كما نذكر من أقوال غير فقهاء المذاهب: قول سفيان الثوري ت161- ناصحاً شعيباً بن حرب فيما ينفعه الله به ويكون سبباً في نجاته، ومن وراء شعيب: كل من يصلح له الخطاب:- "يا شعيب؛ لا ينفعل ما كتبت حتى ترى: الصلاة خلف كل بر وفاجر، والجهاد ماض إلى يوم القيامة، والصبر تحت لواء السلطان جار أم عدل".. إلى أن ختم كلامه قائلاً في ثقة تامة لا يتطرق إليها أدنى شك: "يا شعيب: إذا وقفت بين يدي الله فسألك عن هذا، فقل: يا رب، حدثني بهذا سفيان الثوري، ثم خل بيني وبين ربي"!.هـ من (جمهرة عقائد أئمة السلف) ص 153.

وإذا فسدت الأقسام الثلاثة صح القسم الرابع من أقسام النظر، وهو: أن معنى قوله: **إلى ربها ناظرة** [القيامة: 23]: أنها رائية ترى ربها عز وجل.

ومما يبطل قول المعتزلة: أن الله عز وجل أراد بقوله: **إلى ربها ناظرة**: نظر الانتظار، أنه قال: **إلى ربها ناظرة**، ونظير الانتظار لا يكون مقرونا بقوله: (إلى)؛ لأنه لا يجوز عند العرب أن يقولوا في نظر الانتظار (إلى)، ألا ترى أن الله تعالى لما قال: **ما ينظرون إلا صيحة واحدة** [يس: 49] لم يقل: (إلى)؛ إذ كان

وقول ابن المبارك ت181: "أدركت الناس بمكة والمدينة والكوفة والبصرة وبمصر وخراسان، مجتمعين على السنة والجماعة"، وذكر مما اجتمعوا عليه: "صلاة العيدين وعرفات والجماعات مع كل برٍّ أو فاجر" .. وقول بشر الحافي ت227، ضمن وصيته لمن أراد أن يقف على أصول الإيمان: "والدعاء لأئمة المسلمين بالصلاح، ولا يخرج عليهم بالسيف، ولا تقاتل في الفتنة، وتلزم بيتك".

وقول شيخ البخاري علي ابن المديني ت234 فيما أدركه من جماعة السلف: "السنة اللازمة التي من ترك منها خصلة لم يقلها أو يؤمن بها، لم يكن من أهلها"، وذكر منها: "لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبیت ليلة إلا عليه إمام: برًّا كان أو فاجرًا، فهو أمير المؤمنين.. والغزو مع الأمراء ماض إلى يوم القيامة البرِّ والفاجر، لا يُترك.. ليس لأحد أن يطعن عليهم ولا ينازعهم.. ولا يحل قتال السلطان ولا الخروج عليه لأحد من الناس، فمن عمل ذلك فهو مبتدع على غير السنة.. ويحلُّ قتال الخوارج واللصوص إذا عرضوا للرجل في نفسه وماله أو ما دون نفسه، وله أن يقاتل عن نفسه وماله حتى يدفع عنهما في مقامه، وليس له إذا فارقوه أو تركوه أن يطلبهم ولا يبيع أثارهم وقد سَلِم منهم، ذلك إلى الأئمة، وينوي بجُهادِه أن لا يقتل أحدًا، فإن أتى - أي: قُتل - على يده في دفعه عن نفسه في المعركة، فأبعد الله المقتول - يعني: أهلكه، لأحاديث: (طوبى لمن قتلهم وقتلوه) (لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد) (قتالهم حق على كل مسلم) .. إلخ- وإن قُتل هو في ذلك الحال وهو يدفع عن نفسه وماله رجونا له الشهادة كما في الأثر، وجميع الآثار إنما أمر بقتاله ولم يُؤمر بقتله".

ولا غرو فإنهم على حدِّ قول أبي أمامة رضي الله عنه: (شر قتلى تحت أديم السماء، وخير قتيل من قتلوه) وقد حسنه الألباني في ظلال الجنة (906) .. وهم من صدق فيهم قول ابن تيمية في مجموع الفتاوى 28 / 512: "قد استفاض عن النبي ﷺ الأحاديث بقتال الخوارج، وهي متواترة عند أهل العلم بالحديث، واتفق على قتالهم سلف الأمة وأئمتها ولم يتنازعوا في قتالهم".

ويلاحظ في كلام ابن المديني وعموم السلف، كيف فرقوا بين صاحب المعصية وكيف رجوا له عفو الله وفوضوا أمره إليه تعالى.. وبين أصحاب البدعة وعلى رأسهم الخوارج وقعدتهم المغيبين والمخترين لعقول المسلمين وديارهم، والذين جعل أحمد يصفهم بأنهم من "مَرَقُوا من الدين، وفارقوا الملة، وشردوا عن الإسلام، وشهدوا عن الجماعة، فضلوا عن السبيل والهدى، وخرجوا على السلطان، وسلوا السيف على الأمة، واستحلوا دماءهم وأموالهم، وعادوا من خالفهم إلا من قال بقولهم وكان على مثل رأيهم وثبت معهم في بيت ضلالهم"؟! كما يلاحظ كيف ساق - وغيره كمالك والبرهاري - حكم الشرع في



ثم إنه لما قرن الله عز وجل النظر بذكر الوجه؛ أراد: نظر العينين اللتين في الوجه، كما قال: **قد نرى قلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها** [البقرة: 144]، فذكر الوجه، وإنما أراد: قلب عينيه نحو السماء ينظر نزول الملك عليه بصرف الله تعالى له عن قبلة بيت المقدس إلى القبلة.

فإن قيل: لم قلت: إن قوله تعالى: **إلى ربها ناظرة** إنما أراد: إلى ثواب ربها ناظرة؟.. قيل له: ثواب الله غيره، والله سبحانه وتعالى قال: **إلى ربها ناظرة** ولم يقل: إلى غيره

منها من النصوص ما لا مزيد عليه.. كما بؤب ل (كيف يبائع الإمام الناس)، وذكر فيه خبر عبد الله بن عمر، وقد اجتمع الناس على عبد الملك بن مروان فكتب ابن عمر: (إني أقر بالسمع والطاعة لعبد الله عبد الملك أمير المؤمنين على سنة الله وسنة رسوله ما استطعت، وإن يبي قد أقروا بمثل ذلك.. والسلام).. وذلك بعد أن "سار عبد الملك إلى مصعب فقاتله حتى قتله ومَلَكَ العراق كله، ولم يبق مع أخيه عبد الله بن الزبير إلا الحجاز واليمن، فجهَّز له عبد الملك: الحجاج بن يوسف الثقفي، فحاصره سنة اثنتين وسبعين إلى أن قُتل عبد الله بن الزبير، وكان ابن عمر قد امتنع أن يبائع أحدًا حتى انتظم الملك كله لعبد الملك فباع له حينئذ" 13/ 206، 207.

وفيه: بيان أنه على الرغم مما أحدثه واقترفه عبد الملك، وما اشتهر عن الحجاج قائد جنده من الجرأة على الدماء، وعدم احترامه لأعلام الأمة وإحاقه الأذى بهم، وقتله ابن الزبير وكثيرًا من الأخيار منهم التابعي الجليل سعيد بن جبير تلميذ ابن عباس، وحصاره لمكة عدة شهور لتضييق الخناق على ابن الزبير ومن معه، ورميه الكعبة بالمجانيق على ما قيل، وإذلاله لأهل الحرمين، إلا أن ابن عمر لم يعتبرهما من دعاة أبواب جهنم خوارج وكلاب أهل النار، ودان لهما بالسمع والطاعة عقب الغلبة، وكان يصلي خلفهما.. فما بال من كان دون أولئك في زماننا من حكام المسلمين، يخرج عليهم أتباع كل ناعق ممن يميلون مع كل ريح ولم يستضيئوا بنور العلم ولم يُحسنوا إدارة ما تحت أيديهم، ثم جعلوا ينازعون الأمر أهله في كل بلاد المسلمين؟.

ومن أقوالهم أيضًا: قول الإمام الذهلي ت258: "السنة عندنا: الإيمان قو وعمل.. وأن نسمع ونطيع لولاة الأمر.. ولا نرى شقَّ العصا، مع النصح للجماعة في السر والعلن.. وأن الجهاد - يعني: مع ولاة أمورنا الذين يعدهم بعض المتسلفة مجرد موظفين كعاملي النظافة مثلا - ماض من يوم بعث الله نبيه، لا يضره جور جائر ولا ينفعه عدل عادل حتى تقوم الساعة".

وقول الرازيين: أبي زُرعة سيد الحفاظ ت264، وأبي حاتم شيخ المحدثين ت277، وذلك فيما رواه بسنده عنهما اللالكائي في (شرح أصول السنة): "قالا: أدركنا العلماء في جميع الأمصار - حجازًا وعراقًا وشامًا ويمًا - فكان من مذهبهم: أن نقيم فرض الجهاد والحج مع أئمة المسلمين في كل دهر وزمان - تأمل: (في كل دهر وزمان) - ولا نرى الخروج على الأئمة، ولا القتال في الفتنة، ونسمع ونطيع لمن ولاه الله أمرنا، ولا ننزع يدًا من طاعة، وتبَّع السنة والجماعة، ونجتنب الشذوذ والخلاف والفرقة، وأن الجهاد ماض مذ بعث الله نبيه إلى قيام الساعة مع أولي الأمر من أئمة المسلمين، لا يُبطله شيء.. والخوارج مُرَّاق"،



ناظرة.. والقرآن العزيز على ظاهره، وليس لنا أن نزيله عن ظاهره إلا بحجة، وإلا فهو على ظاهره.. ألا ترى أن الله لما قال: (صلوا لي واعبدوني)، لم يجز أن يقول قائل: إنه أراد غيره، وبزيل الكلام عن ظاهره؛ فلذلك لما قال: **إلى ربها ناظرة** لم يجز لنا أن نزيل القرآن عن ظاهره بغير حجة.

ثم يقال للمعتزلة: إن جاز لكم أن تزعموا أن قول الله تعالى: **إلى ربها ناظرة**، إنما أراد به: أنها إلى غيره ناظرة، فلم لا جاز لغيركم أن يقول: إن قول الله سبحانه وتعالى: **لا تدركه**

يعني: للحديث الوارد في ذلك.. وفيه ما يؤكد عدم جواز توليهم أمور المسلمين كما يحاولون في زماننا سعيًا لإقامة خلافة ودولة الخوارج، وإن أخفوا ذلك وفعلوا الأفاعيل وأظهروا خلاف ما يظنون.

هذا، وقد انفرد أبو حاتم بالتأكيد على ترك الكتب المبتناة على غير أثر، وعدم الخروج على الأئمة ولا القتال في الفتنة، فقال فيما رواه اللالكائي: "مذهبنا واختيارنا اتباع رسول الله وأصحابه والتابعين ومن بعدهم بإحسان، وترك النظر في موضع بدعهم، والتمسك بمذهب أهل الأثر.. ولزوم الكتاب والسنة، والذب عن الأئمة المتبعة لأثر السلف.. وترك مجالسة من وضع الكتب بالرأي بلا آثار.. ولا نرى الخروج على الأئمة، ولا نقاتل في الفتنة، ونسمع ونطيع لمن ولى الله أمرنا، ونرى الصلاة والحج والجهاد مع الأئمة، ودفع الصدقات إليهم". هـ.

ومن أقوالهم كذلك قول حرب بن إسماعيل الكرماني ت 280 في مسائله المشهورة، قال: "هذه مذاهب أهل العلم وأصحاب الأثر وأهل السنة المتمسكين بها، والمقتدى بهم فيها من لدن أصحاب النبي ﷺ إلى يومنا هذا، وأدركت من أدركت من علماء أهل الحجاز والشام وغيرهم عليها، فمن خالف شيئًا من هذه المذاهب أو طعن فيها أو غاب قائلها، فهو مخالف مبتدع خارج عن الجماعة زائل عن منهج السنة وسبيل الحق"، قال: "وهو مذهب أحمد وإسحاق بن إبراهيم وعبد الله بن مخلد وعبد الله بن الزبير الحميدي وسعيد بن منصور وغيرهم ممن جالسنا وأخذنا عنهم العلم، وكان من قولهم:.

الانقياد لمن ولاه الله أمركم، لا تنزع يدًا من طاعته، ولا تخرج عليه بسيف حتى يجعل الله لك فرجًا ومخرجًا، ولا تخرج على السلطان، وتسمع وتطيع ولا تنكث بيعته، فمن فعل ذلك فهو مبتدع مخالف مفارق للسنة والجماعة، وإن أمرك السلطان بأمر فيه لله معصية فليس لك أن تطيعه البتة وليس لك أن تخرج عليه، ولا تمنعه حقه". هـ.

وقول ابن أبي زيد القيرواني ت 310 والمعروف بـ (مالك الصغير)، وذلك في مقدمة رسالته المشهورة في مذهب مالك، فقد أوضح أن من مذهبه: "السمع والطاعة لأئمة المسلمين وكل من ولي أمر المسلمين عن رضا أو عن غلبة واشتدت وطأته من برٍّ أو فاجر، فلا يُخْرَج عليه، جار أو عدل". .. وأنه أفتى بعدم قبول شهادة من كان على بدعة الخوارج وغيرهم، ولا توليتهم إمامة المسلمين في الصلاة ولا في الثغور، ولا حتى مكالمتهم، كما ساق القيرواني في ذلك ما سبق أن نقلناه عن القاضي عياض بهذا الصدد، فليراجع.

ومن ذلك ومن غير ما جاء في (إبائته): قول إمام المذهب أبي الحسن الأشعري ت 324 في (رسالته إلى أهل الثغر) ص 296 في الإجماع الـ 45، قال: "وأجمعوا



**الأبصار** [الأنعام: 103] أراد بها: لا تدرك غيره، ولم يرد أنها لا تدركه؟ وهذا مما لا يقدر على الفرق فيه<sup>(1)</sup>.

دليل آخر: ومما يدل على أن الله تعالى يُرى بالأبصار قول موسى عليه السلام: **رب أرني أنظر إليك** [الأعراف: 143]، ولا يجوز أن يكون موسى -صلوات الله عليه وسلامه - وقد ألبسه الله جلاباب النبيين، وعصمه بما عصم به المرسلين - قد سأل ربه

على السمع والطاعة لأئمة المسلمين، وعلى أن كل من ولي شيئاً من أمورهم عن رضاء أو غلبة وامتمدت طاعته من بر وفاجر، لا يلزم الخروج عليهم بالسيف جَارٍ أو عَدَلٍ، وعلى أن يغزوا معهم العدو" .. وقد جاء سوقه إجماع أهل السنة والجماعة هنا ردًا على ما جنحت إليه فرق المعتزلة والخوارج، ذلك أن من أصول المعتزلة الخمسة: (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) ومن أقوالهم وأفعالهم يظهر أنهم إنما أرادوا بذلك الخروج على الأئمة وقتالهم.. وكذا قوله في (مقالات الإسلاميين) ص 278، 295 عن جملة قول أصحاب الحديث وأهل السنة من أنهم: "يرون العيد والجمعة خلف كل بر وفاجر.. ويرون الدعاء لأئمة المسلمين بالصلاح، وأن لا يخرجوا عليهم بالسيف، وأن لا يقاتلوا في الفتنة".

إلى أن قال: "فهذه جملة ما يأمر به ويستعملونه ويرونه، وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول وإليه نذهب، وما توفيقنا إلا بالله" إ.هـ.

وكذا ص 451 وفيها عن أهل السنة وأصحاب الحديث: "إن الإمام - أي إمام محسوب على أهل السنة - قد يكون عادلاً ويكون غير عادل، وليس لنا إزالته وإن كان فاسقًا، وأنكروا الخروج على السلطان، ولم يروه، وهذا قول أصحاب الحديث".

ومن ذلك أيضًا: قول البرهاري ت 329 في (شرح السنة) ص 13: "لا يحل لأحد أن يبيت ليلة ولا يرى أن عليه إمامًا، برًا كان أو فاجرًا.. والخلافة في قریش إلى أن ينزل عيسى عليه السلام، ومن خرج على إمام من أئمة المسلمين - لاحظ: وليس من أئمة الخوارج ممن اختلف في كفرهم واستحلوا الدماء المعصومة ومرقوا من الدين ولا يجوز توليتهم أصلًا ولا ابتداءً ولا اختيارًا - فهو خارجي، قد شق عصا المسلمين وخالف الآثار، وميتته ميتة جاهلية.

ولا يحل قتال السلطان ولا الخروج عليه وإن جار، وذلك لقوله: (اصبر، وإن كان عبدًا حبشيًا)، وقوله للأنصار: (اصبروا حتى تلقوني على الحوض)، وليس في السنة قتال السلطان، فإن فيه فساد الدنيا والدين.. وإذا رأيت الرجل يدعو على السلطان فاعلم أنه صاحب هوى وإذا سمعت الرجل يدعو للسلطان بالصلاح فاعلم إنه صاحب سنة.. وإذا رأيت الرجل يجلس مع أهل الأهواء فاحذره وعرفه، فإن جلس معه بعدما علم فاتقه، فإنه صاحب هوى.. **وإذا ظهر لك من إنسان شيء من البدع فاحذره، فإن الذي أخفى عنك أكثر مما أظهر**.. يقول الشيخ صالح الفوزان في شرح ذلك: "والخوارج، هم: الذين يخرجون على الأئمة - أئمة المسلمين - بالسيف، ويشقون عصا الطاعة، وأيضًا: الذين يكفرون المسلم بالكبائر التي دون الشرك، هؤلاء هم الخوارج، وسُموا بذلك لأنه خرجوا عن المشروع، وخرجوا على ولي الأمر وشقوا عصا

ما يستحيل عليه، فإذا لم يجز ذلك على موسى علمنا أنه لم يسأل ربه مستحيلًا، وأن الرؤية جائزة على ربنا تعالى<sup>(1)</sup>.

ولو كانت الرؤية مستحيلة على ربنا تعالى كما زعمت المعتزلة، ولم يَعْلَمْ ذلك موسى ﷺ وعلموه هم لكانوا على قولهم أعلم بالله من موسى، وهذا مما لا يدعيه مسلم.

فإن قال قائل: أستم تعلمون حكم الله في الظهر اليوم، ولم يكن نبي الله ﷺ يعلم ذلك قبل أن ينزل؟؛ **قيل له**: لم يكن نبي الله ﷺ يعلم ذلك قبل أن يلزم الله العباد حكم الظهر، فلما ألزمهم

الطاعة"إ.هـ.

وقول الأجرى 360 في كتابه (الشريعة) ص40 وتحت عنوان: (باب في السمع والطاعة لمن ولي أمر المسلمين والصبر عليهم)، فقد جعل يسوق في ذلك جملة من الأحاديث، وقبلها طفق يتكلم عن الخوارج ويختم كلامه فيهم بقوله: "قد ذكرْتُ من التحذير من مذاهب الخوارج ما فيه بلاغ لمن عصمه الله عن مذهب الخوارج ولم ير رأيهم، وصبر على جور الأئمة وحيث الأمراء ولم يخرج عليهم بسيفه، وسأل الله كشف الظلم عنهم وعن المسلمين، ودعا للولاء بالصلاح وجاهد معهم كلِّ عدو للمسلمين، فإن أمروا بطاعة فأمكنه أطاعهم، وإن لم يمكنه اعتذر إليهم، وإن أمروا بمعصية لم يطعهم، وإذا دارت الفتنة بينهم لزم بيته وكف لسانه ويده ولم يهؤ ما هم فيه ولم يُعِن على فتنة، فمن كان هذا وصفه: كان على الطريق المستقيم"إ.هـ.

وفيه أن الصبر على ولاة الأمر وإن جاروا ومعاداة الخارجين عليهم، هو: أمر الرسول ﷺ، وأن جور الحكام والخروج عليهم أمرٌ وارد ومقدور، والواجب حيال ذلك، هو: ما أمر به النبي بالصبر مهما بلغ فسادهم، وعدم التآسي بهذا الذي أساء الأدب بحق نبيه فعصاه، مع ما هو معلوم بالبداهة مدى غيرته ' على محارم الله.. اللهم إلا إذا خرجوا من دائرة الإسلام خروجًا واضحًا بيّنًا لا شبهة فيه.. وأن هذا هو منهج أئمة السنة من بعده بأبي هو وأمي.

وتحت عنوان: (ذم الخوارج وسوء مذهبهم وإباحة قتالهم وثواب من قتلهم أو قتلوه)، يقول الأجرى في الشريعة ص27: "لم يختلف العلماء قديمًا وحديثًا أنّ الخوارج قوم سوء، عصاة لله تعالى ولرسوله، وإن صلوا وصاموا واجتهدوا في العبادة فليس ذلك بنافع لهم، وإن أظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فليس ذلك بنافع لهم، لأنهم قوم يتأولون القرآن على ما يهوون، ويموهون على المسلمين، وقد حذرنا الله منهم، وحذرنا النبي ﷺ، وحذرناهم الخلفاء الراشدون بعده، وحذرناهم الصحابة ومن تبعهم بإحسان".

ويقول مستطرّدًا وفي عبارات نحن في أمس الحاجة لإعمالها وأخذها بعين الاعتبار: "والخوارج هم الشراة الأنجاس الأرجاس، ومن كان على مذهبهم من سائر الخوارج يتوارثون هذا المذهب قديمًا وحديثًا، ويخرجون على الأئمة والأمراء ويستحلون قتل المسلمين، وأول قرن طلع منهم على عهد رسول الله، هو: رجل طعن على النبي وهو يقسم الغنائم بالجعرانة.. وأخبر ﷺ: أن هذا وأصحابًا له يُحَقِّر أحدهم صلواته مع صلواتهم، وصيامه مع صيامهم، يمرقون في الدين كما يمرق السهم من الرمية، وأمر ﷺ في غير حديث بقتالهم، وبين فضل من قتلهم أو قتلوه.. ثم إنهم بعد ذلك خرجوا من بلدان شتى، واجتمعوا وأظهروا الأمر

الحكم به أعلم نبيه ﷺ قبلهم، ثم أعلم نبي الله ﷺ عباد الله ذلك، ولم يأت عليه وقت لزمه حكمه فلم يعلم ﷺ، وأنتم زعمتم أن موسى عليه السلام كان قد لزمه أن يعلم حكم الرؤية وأنها مستحيلة عليه، وإذا لم يعلم ذلك وقت لزمه علمه وعلمتموه أنتم الآن لزمكم بجهلكم أنكم - بما لزمكم العلم به الآن - أعلم من موسى عليه السلام -+ بما لزمه العلم به، وهذا خروج عن دين المسلمين.

ودليل آخر: يدل على جواز رؤية الله تعالى بالأبصار، وهو قوله تعالى لموسى عليه السلام: **﴿فإن استقر مكانه فسوف**

بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى قدموا المدينة، فقتلوا عثمان.. ثم خرجوا بعد ذلك على أمير المؤمنين علي ولم يرضوا بحكمه، وأظهروا قولهم، وقالوا: (لا حكم إلا لله)، فقال ﷺ: (كلمة حق أرادوا بها الباطل)، فقاتلهم علي فأكرمه الله بقتلهم، وأخبر عن النبي بفضل من قتلهم أو قتلوه، وقاتل معه الصحابة فصار سيف علي بن أبي طالب في الخوارج سيف حق إلى أن تقوم الساعة" إ.هـ. وممن نقل إجماع أئمة السلف في طاعة حكام المسلمين: أبو بكر الإسماعيلي ت371 في كتابه (اعتقاد أهل السنة)، قال: "اعلموا أن مذهب أهل الحديث أهل السنة والجماعة أنهم يرون جهاد الكفار مع أئمتهم وإن كانوا جوراً، ويرون الدعاء لهم بالصلاح والعطف إلى العدل، ولا يرون الخروج بالسيف عليهم" إ.هـ. وابن بطة العكبري ت387، وذلك في (الشرح والإبانة) المعروف بـ (الإبانة الصغرى) ص191، 303، قال: "ونحن الآن ذاكرون شرح السنة ووصفها - وما الذي إذا تمسك به العبد ودان الله به سمي بها واستحق الدخول في جملة أهلها، وما إن خالفه أو شيناً منه دخل في جملة من عيّناه وحرّنا منه من أهل البدع والزيغ - مما أجمع عليه أهل الإسلام وسائر الأمة مذ بعث الله نبيه ﷺ إلى وقتنا هذا" .. ثم ذكر أشياء كان منها:

"الكف والقعود في الفتنة، وألا تخرج بالسيف على الأئمة وإن ظلموا، قال عمر بن الخطاب: (إن ظلمك فاصبر وإن حرمتك فاصبر)، وقال النبي لأبي ذر: (اصبر وإن كان عبداً حبشياً).. وقد اجتمع العلماء من أهل الفقه والعلم، والنساک والعباد والزهاد، من أول هذه الأمة إلى وقتنا هذا، على أن صلاة الجمعة والعيدين ومينى وعرفات والغزو والجهاد والهدّي مع كل أمير بر وفاجر وإعطاءهم الخراج والأعشار جائز، وأن الصلاة في المساجد العظام التي بنوها والمشى على الجسور والقناطر التي عقدوها والبيع والشراء وسائر التجارة والصناعة والزراعة كلها في كل عصر ومع كل أمير، جائزة على حكم الكتاب والسنة، لا يضر المحتاط لدينه والتمسك بسنة نبيه ظلم ظالم ولا جور جائر إذا كان ما يأتيه هو على حكم الكتاب والسنة، والمحاكمة إلى قضاتهم، ورفع الحدود والقصاص وابتزاع الحقوق من أيدي الظلمة لأمرائهم وشرطتهم، والغزو والجهاد والهدى مع كل أمير برّ وفاجر.

والسمع والطاعة لمن ولّوه وإن كان عبداً حبشياً، إلا في معصية الله، فليس لمخلوق فيها طاعة، ثم من بعد ذلك اعتقاد الديانة بالنصيحة للأئمة وسائر الأمة في الدين والدنيا، ومحبة الخير لسائر المسلمين، تحب لهم ما تحب لنفسك، وتكره لهم ما تكره لنفسك، ولا تشاور أحداً من أهل البدع في دينك ولا ترافقه في سفرك، وإن أمكنك ألا تقاربه في جوارك.. وإن كان الفاعل لذلك يُظهر

**تراني** [الأعراف: 143]، فلما كان الله تعالى قادرًا على أن يجعل الجبل مستقرًا؛ كان قادرًا على الأمر الذي لو فعله لراه موسى عليه السلام، فدل ذلك على أن الله تعالى قادر أن يُري عباده نفسه، وأنه جائر رؤيته.

فإن قال قائل: فلم لا قلت إن قول الله تعالى: **فإن استقر مكانه فسوف تراني** تبعيد للرؤية؟

قيل له: لو أراد الله عز وجل تبعيد الرؤية لقرن الكلام بما يستحيل وقوعه، ولم يقرنه بما يجوز وقوعه، فلما قرنه باستقرار الجبل وذلك أمر مقدور لله سبحانه وتعالى، دل ذلك على أنه جائر

السنة" هذا، ولم يفت اللالكائي ت418 وهو يؤصل للزوم جماعة المسلمين وإمامهم، أن يسوق - في كتابه (شرح أصول السنة) وفيما عنون له في الجزء 2/ 1043 بقوله: (سياق ما روي عن النبي في طاعة الأئمة والأمراء ومنع الخروج عليهم)- الأخبار في ذلك فذكر فيما ذكر: ما أخرجه من حديث أبي هريرة: (من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن عصى أميرى فقد عصاني).. وما أورده من حديث عبادة، قال: (بايعنا رسول الله على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره، وأن لا ننازع الأمر أهله، وأن نقول أو نقوم بالحق حيث ما كنا، لا نخاف في الله لومة لائم).. وكذا حديث: (أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن كان عبداً حبشياً، فإنه من يعش بعدي فسيرى اختلاقاً كثيراً، فأياكم ومحدثات الأمور فإنها ضلالة، فمن أدرك ذلك منكم فعليه بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين، عضوا عليها بالنواجذ) وقد صححه الألباني وغيره.. كما ذكر من الآثار قول عبادة يوصي به جنادة: (عليك بالسمع والطاعة في عسرك ويسرك ومنشطك ومكرهك وأثرة عليك، ولا تنازع الأمر أهله إلا أن يأمرك بمعصية الله بواحا).

وكان قد أعقب ذلك: بالحديث عن الخوارج ممن دأبهم وأخص سماتهم: الخروج على حكام المسلمين، فذكر فيما ذكر قوله [بمسلم من حديث أبي ذر: (إن بعدي من أمتي - أو سيكون من بعدي- قوم، يقرءون القرآن لا يجاوز حلوقهم، يخرجون من الدين كما يخرج السهم من الرمية، لا يعودون فيه، هم شر الخلق والخليقة)، قال سليمان: وأكثر ظني أنه قال: (سيماهم التحليق).. وقوله ' كما في الصحيحين: (يخرج فيكم قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم، وصيامكم مع صيامهم، وعملكم مع عملهم، يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية، تنظر في النصل فلا ترى شيئاً، ثم تنظر في القدح فلا ترى شيئاً وتتمارى في الفوق)، وحديث: (طوبى لمن قتلهم أو قتلوه) وقد حسن إسناده الألباني في ظلال الجنة 2/ 438.. وأثر ابن عباس الذي فيه أنه ذكر عنده الخوارج وما يلقون عند تلاوة القرآن فقال: (ليسوا بأشد اجتهاداً من اليهود والنصارى، ثم هم يضلون).

وبنحوه الأصبهاني، المعروف بـ (قوام السنة) ت535، وذلك فيما عنون له في كتابه (الحجة) 2/ 418، 435، 438 بعناوين: (منع الخروج على أولي الأمر)، (والنهي عن سب الأمراء والولاء وعصيانهم)، و(توقير الأمراء).. ومن قبله الصابوني ت449، قال في (عقيدة السلف وأصحاب الحديث):

أن يُرى الله تعالى<sup>(1)</sup>.. ألا ترى أن الخنساء لما أرادت تبعيد صلحها لمن كان حربًا لأخيها، قرنت الكلام بأمر مستحيل فقالت:

ولا أصالح قومًا كنت حربهم  
والله تعالى إنما خاطب العرب بلغتها، وهذا ما نجده مفهومًا في كلامها ومعقولًا في خطابها.. فلما قرن الرؤية بأمر مقدور جائز، علمنا أن رؤية الله بالأبصار جائزة غير مستحيلة.

"ويرى أصحاب الحديث الجمعة والعيدين وغيرهما من الصلوات خلف كل إمام مسلم برًا كان أو فاجرًا، ويرون جهاد الكفرة معهم وإن كانوا جورة فجرة، ويرون الدعاء لهم بالإصلاح والتوفيق والصلاح، ولا يرون الخروج عليهم وإن رأوا منهم العدول عن العدل إلى الجور والحيف، ويرون قتال الفئة الباغية حتى ترجع إلى طاعة الإمام العدل".

وكان القاضي ابن أبي يعلى ت458 قد ترجم في (طبقات الحنابلة) للإصطخري، ونقل عنه رسالة مطولة عن أحمد، صدرها إمام أهل السنة بقوله: "هذه مذاهب أهل العلم وأصحاب الأثر وأهل السنة المتمسكين بعروقتها المعروفين بها، المقتدى بهم فيها من لدن أصحاب النبي ﷺ إلى يومنا هذا، وأدركت من أدركت من علماء أهل الحجاز والشام وغيرهم عليها، فمن خالف شيئًا من هذه المذاهب أو طعن فيها أو عاب قائلها، فهو مبتدع خارج من الجماعة زائل عن منهج السنة وسبيل الحق، فكان قولهم: "...، وجعل يسرد أشياء ذكر منها:

"الانقياد إلى من ولاه الله أمركم، لا تنزع يدًا من طاعته، ولا تخرج عليه بسيفك حتى يجعل الله لك فرجًا ومخرجًا، ولا تخرج على السلطان، وتسمع وتطيع ولا تنكث ببيعة، فمن فعل ذلك فهو مبتدع مخالف مفارق للجماعة، وإن أمرك السلطان بأمر هو لله معصية، فليس لك أن تطيعه وليس لك أن تخرج عليه، ولا تمنعه حقه، والإمساك في الفتنة سنة ماضية واجب لزومها، فإن ابتليت فقدّم نفسك دون دينك، ولا تُعن على الفتنة ولو بلسان، ولكن اكف يدك ولسانك وهواك".

كما ذكر: "الكف عن أهل القبلة، وألا تكفر أحدًا منهم بذنب.. وأن الجهاد ماض قائم مع الأئمة برّوا أو فجرّوا، لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل، وأن الجمعة والعيدين والحج مع السلطان وإن لم يكونوا بررة ولا أتقياء ولا عدولًا، ودفع الصدقات والخراج والأعشار والفيء والغنائم إلى الأمراء عدلوا فيها أم جاروا".

كما نذكر من أقوال أئمة الهدى فيما نحن بصدده، قول ابن عبد البر ت463 في التمهيد 279 / 23 - وبنحوه 283 / 9 -: "وإلى منازعة الظالم الجائر ذهبت طوائف من المعتزلة وعامة الخوارج، وأما أهل الحق وهم أهل السنة فقالوا: هذا هو الاختيار أن يكون الإمام [يعني: المنوط به الخطاب والمحسوب على أهل السنة] فاضلاً عدلاً محسناً، فإن لم يكن فالصبر على طاعة الجائرين أولى من الخروج عليه، لأن في منازعته والخروج عليه استبدال الأمن بالخوف، ولأن ذلك يحمل على إهراق الدماء وشن الغارات والفساد في الأرض، وهذا أعظم من الصبر على جوره وفسقه، والأصول تشهد والعقل والدين، أن أعظم المكروهين أولى



دليل آخر: قال الله عز وجل: **لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ** [يونس: 26]، قال أهل التأويل: الزيادة: النظر إلى الله عز وجل، ولم يُنعم الله تعالى على أهل الجنة بأفضل من نظرهم إليه ورؤيتهم له.. وقال تعالى: **وَلَدِينَا مَزِيدٌ** [ق: 35]، قيل: النظر إلى الله عز وجل.. وقال تعالى: **تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ** [الأحزاب: 44]، وإذا لقيه المؤمنون رأوه.. وقال تعالى: **كَلَّا إِنَّهُ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ** [المطففين: 15]، فحجبهم عن رؤيته، ولا يَحِجِبُ عنها المؤمنين.

بالترك، وكل إمام يقيم الجمعة والعيد ويجاهد العدو ويقوم الحدود على أهل العدا، وينصف الناس من مظالمهم بعضهم لبعض، وتسكن له الدهماء، وتأمين به السبل، فواجب طاعته في كل ما يأمر به من الصلاح أو من المباح.. وإلا فلو كان كافراً أو على بدعة المارقين من الدين مروق السهم من الرمية أو السائبين الصحابة وعرض النبي ﷺ، فجهاده إنما يكون بضوابطه الشرعية: بأن يكون خلف إمام ممكن وألا يكون تحت راية عمية وألا يترتب عليه منكر أشد، وإلا فالصبر حتى يقضي الله فيهم أمراً كان مفعولاً أو الهجرة إن خاف على دينه الضياع وعلى نفسه الهلاك.

وقول الشهرستاني ت 548 في الملل والنحل 1/ 114: "الخوارج: كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه، يسمى: خارجياً، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين، أو كان بعدهم على التابعين بإحسان، والأئمة في كل زمان".

وقول ابن قدامة الحنبلي ت 620 في المغني 13/ 16: "وأمرُ الجهاد موكولٌ إلى الإمام واجتهاده، ويلزم الرعية طاعته فيما يراه من ذلك"، وقوله في (لمعة الاعتقاد): "ومن السنة: السمع والطاعة لأئمة المسلمين وأمراء المؤمنين، برّهم وفاجرهم، ما لم يأمرُوا بمعصية الله".

وقول الإمام النووي الشافعي ت 676 تعليقا على ما أدرجه مسلم من أحاديث جعلها تحت عنوان: (باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية) 12/ 176 مجلد 6: "أجمع العلماء على وجوبها في غير معصية وعلى تحريمها في المعصية، نقل الإجماع على هذا القاضي عياض وآخرون.. قال العلماء: المراد بأولي الأمر: من أوجب الله طاعته من الولاة والأمراء، هذا قول جماهير السلف والخلف من المفسرين والفقهاء وغيرهم".. إلى أن قال: "وهذه الأحاديث في الحث على السمع والطاعة: في جميع الأحوال، وسببها: اجتماع كلمة المسلمين، فإن الخلاف سبب لفساد أحوالهم في دينهم ودنياهم".

وقال تعليقا على حديث: (إلا أن تروا كفراً بواحاً): "معنى الحديث: لا تنازعوا ولاة الأمور في ولايتهم ولا تعترضوا عليهم إلا أن تروا منهم منكراً محققاً تعلمونه من قواعد الإسلام، فإذا رأيتم ذلك فأنكروه عليهم وقولوا بالحق حيث ما كنتم، وأما الخروج عليهم وقتالهم فحرام بإجماع المسلمين وإن كانوا فسقة ظالمين، وقد تظاهرت الأحاديث بمعنى ما ذكرته وأجمع أهل السنة أنه لا ينعزل السلطان بالفسق، وأما الوجه المذكور في كتب الفقه لبعض أصحابنا أنه ينعزل؛ فغلط من قائله مخالف للإجماع، قال العلماء: وسبب عدم انعزاله وتحريم الخروج عليه ما يترتب على ذلك من الفتن وإراقة الدماء وفساد ذات البين فتكون المفسدة في

**فإن قال قائل:** فما معنى قوله تعالى: **لا تدركه الأبصار** [الأنعام: 103]؟.. قيل له: يحتمل أن يكون لا تدركه في الدنيا، وتدركه في الآخرة؛ لأن رؤية الله تعالى أفضل للذات، وأفضل للذات تكون في أفضل الدارين.

ويحتمل أن يكون الله تعالى أراد بقوله: **لا تدركه الأبصار** يعني: لا تدركه أبصار الكافرين المكذبين، وذلك أن كتاب الله يُصدّق بعضه بعضًا، فلما قال في آية: إن الوجوه تنظر إليه يوم

عزله أكثر منها في بقائه.. وقال جماهير أهل السنة من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين: لا ينعزل بالفسق والظلم وتعطيل الحقوق، ولا يُخلع ولا يجوز الخروج عليه بذلك، بل يجب وعظه وتخويله للأحاديث الواردة في ذلك" إ.هـ  
كما نذكر من أقوالهم: قول شيخ الإسلام ابن تيمية ت728 في منهاج السنة 1/528: "والقدرة على سياسة الناس: إما بطاعتهم له، وإما بقهره لهم، فمتى صار قادرًا على سياستهم إما بطاعتهم أو بقهره، فهو ذو سلطان مطاع إذا أمر بطاعة الله" .. وقوله بنفس المصدر 3/390: "المشهور من أهل السنة: أنهم لا يرون الخروج عن الأئمة وقتالهم بالسيف وإن كان فيهم ظلم كما دلت على ذلك الأحاديث المستفيضة عن النبي ﷺ، لأن الفساد في القتال والفتنة أعظم من الفساد الحاصل بظلمهم بدون قتال ولا فتنة، فلا يدفع أعظم الفسادين بالالتزام أدناهما، ولعله لا يكاد يعرف طائفة خرجت على ذي سلطان إلا وكان في خروجها من الفساد أعظم من الفساد الذي أزالته" .. وقوله 4/529: "وكان أفاضل المسلمين ينهون عن الخروج والقتال في الفتنة، كما كان عبد الله بن عمر وسعيد بن المسيب وعلي بن الحسين وغيرهم ينهون عام الحرة عن الخروج على يزيد، وكما كان الحسن البصري ومجاهد وغيرهما ينهون عن الخروج في فتنة ابن الأشعث".

وقوله في العقيدة الواسطية: "ويرون - يعني: أهل السنة فيما أجمعوا عليه - إقامة الحج والجهاد والجمع والأعياد مع الأمراء، أبرارًا كانوا أم فجارًا" .. وقوله في مجموع الفتاوى 28/470: "وبذلك مضت سنة رسول الله، حيث أمر بقتال الخوارج وأمر بالصبر على جور الأئمة وظلمهم والصلاة خلفهم مع ذنوبهم" .. وكلامه في ذلك مما لا يحصى.

وكذا قول ابن القيم ت751 في كتابه حادي الأرواح: "وقد ذكرنا في أول الكتاب جملة من مقالات أهل السنة والحديث التي أجمعوا عليها كما حكاها الأشعري عنهم، ونحن نحكي إجماعهم كما حكاها حرب بن إسماعيل عنهم بلفظه، قال في مسائله المشهورة" .. وراح ينقل كلام حرب السالف الذكر بنصّه وفصّه.

وقول ابن حجر ت852 في شرحه بفتح الباري على صحيح البخاري 13/9: "وقد أجمع الفقهاء على وجوب طاعة السلطان المتغلب والجهاد معه، وأن طاعته خير من الخروج عليه لما في ذلك من حقن الدماء وتسكين الدهماء، وحثهم في هذا: الخبر - وهو حديث ابن عباس: (من رأى من أميره شيئًا يكرهه فليصبر عليه، فإنه من فارق الجماعة شبرًا فمات، إلامات ميتة جاهلية)، وفي رواية له: (من فارق الجماعة شبرًا فمات، إلامات ميتة جاهلية) - ولم يستثنوا من ذلك إلا إذا وقع من السلطان الكفر الصريح فلا يجوز طاعته في ذلك، بل يجب

القيامة، وقال في آية أخرى: إن الأبصار لا تدركه، علمنا أنه إنما أراد أبصار الكافرين لا تدركه.

## مسألة والجواب عنها:

فإن قال قائل: قد استكبر الله تعالى سؤال السائلين له أن يُرى بالأبصار، فقال: **يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابًا من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة** [النساء: 153].

مجاهدته لمن قدر عليها كما في الحديث"، وكان قد نقل عن ابن بطال في نفس السياق، قوله: "في الحديث حجة في ترك الخروج على السلطان ولو جار". ومما قاله ابن حجر بنفس المصير 13/124: إن الخلاف في عزله للفسق أو الظلم وتعطيل الحقوق "كان أولًا، ثم حصل الإجماع على منع الخروج عليهم" وكذا نص عليه النووي في شرحه لمسلم 12/181 نقلًا عن القاضي عياض كما أسلفنا.

أما ما دبحه علماؤنا الربانيون في زماننا لما نحن بصدده: فنحيل - نظرًا لكثرتهم - لما ورد في كتاب (فساد منهج ودعوة البنا وجماعة الإخوان، وبيان أنهما ليسا على منهج السلف الصالح) لآيمن بن سعود العنقري ص 395 وما بعدها.. ولما جاء مؤخرًا في فتوى الأزهر التي وقع عليها شيخه، والتي فيها عن الانضمام لجماعة الإخوان ومثيلاتها، ما نصه: "ومن خلال ما سبق عرضه، يحرم الانضمام لهذه الجماعات، وبناء على ما تقدم من أدلة فالانتماء إلى تلك الجماعات المتطرفة يعدُّ حرامًا شرعًا". ولما جاء من أقوال رجالات الأزهر - فضيلة الشيخ الشعراوي وغيره- في كتابنا: (إماطة اللثام عما تمس الحاجة لمعرفته من عقائد ووقائع وأحكام) ص 198 وما بعدها ط. دار ابن عباس.

هذا، ولم يفت أئمة الإسلام قديمًا وحديثًا أن ينهوا على عدم الفرق بين من خرج على ولاة الأمور بالسلاح، ومن كان دأبهم ذكر مساوئهم والدعاء عليهم بدل الدعاء لهم ممن يعرفون بـ (الخوارج القعديّة)، وهم: أولئك الذين لا يرون الحرب والخروج بالسيف، لكنهم ينكرون على ولاة الأمور دون ما التزام بأداب النصيحة، ويزينون الخروج ويؤلبون الناس على الحاكم، ويخلعون عنه أحيانًا لقب (ولي الأمر الشرعي) ويفتون الناس والشباب أنه مجرد موظف في الدولة، وأن أولئك أخطأ كما جاء عن أحمد، فهم شر الشر وما أكثرهم في زماننا، إذ في شأنهم يقول ابن حجر في تهذيب التهذيب 8/114 - وبنحوه في كتابه هدي الساري ص 483 وأبو داود في مسائل أحمد ص 271:-

"و(القعديّ الخوارج)، كانوا لا يرون الحرب، بل ينكرون على أمراء الجور حسب الطاقة، ويدعون إلى رأيهم، ويزينون مع ذلك الخروج ويحسنونه" ولا يباشرونه، فجميعهم دُعاة على أبواب جهنم، قال أحمد كما في مسائل أبي داود: "أشر أهل الأهواء الخوارج"، وقال: "قعد الخوارج هم أخطأ الخوارج". وعن جميعهم قال ابن تيمية رحمه الله: "لم يكن أحد شرًا على المسلمين من الخوارج، لا اليهود ولا النصارى فإنهم - أي الخوارج بفرقها - كانوا مجتهدين في قتل كل مسلم لم يوافقهم". ومن قبل كان ابن عمر يراهم (شرار خلق الله)؛ وقال: "إنهم انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين"، تمامًا على نحو ما نراه ماثلاً

فيقال لهم: إن بني إسرائيل سألوا رؤية الله عز وجل على طريق الإنكار لنبوة موسى عليه السلام وترك الإيمان به حتى يروا الله؛ لأنهم قالوا: **«لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة»** [البقرة: 55]، فلما سألوه الرؤية على طريق ترك الإيمان بموسى عليه السلام حتى يريهم الله نفسه؛ استعظم الله سؤالهم من غير أن تكون الرؤية مستحيلة عليهم، كما استعظم سؤال أهل الكتاب أن ينزل عليهم كتابًا من السماء من غير أن يكون ذلك مستحيلًا، ولكن لأنهم أبوا أن يؤمنوا بنبي الله حتى ينزل عليهم من السماء كتابًا.

في (مجموعة رسائل البنا) بحق من عاداهم أو حذر منهم أو لم ينضم إلى جماعته.. وعن امتدادهم الذي أخبر عنه النبي ﷺ بقوله: (كلما طلع قرن قطع)، جاء قول ابن حزم في الملل: "يلحق بالخوارج من شاركهم في آرائهم في كل زمان".

ولكثر ما ورد بشأن هؤلاء وأولئك وشيوعهم في ولايات المسلمين الصغرى، فإنه يعرف بعلاماتهم وبفتنتهم مبكرًا: كل عالم مُستنبط يملك أدوات الاجتهاد، كما ذكر ذلك الحسن البصري فيما نقله عنه ابن سعد في الطبقات الكبرى 7/166، قال: "الفتنة إذا أقبلت عرفها كل عالم، وإذا أدبرت عرفها كل جاهل".. ومن يتأمل كلام جل من ذكرنا من أئمة السلف في معتقداتهم وكذا من تبعمهم بإحسان، يلاحظ التأكيد على هجر البدع، وذكر سمات أهلها التي على رأسها: التشكيك في معتقد أهل السنة، وإثارة الدهماء والفتن، وإشاعة الفوضى في ديار الإسلام وتكفير أهلها واستحلال دمائهم.

كما يلاحظ: ضرورة التحذير منهم والتغليظ عليهم وترك مجالستهم، وعدم التأثير بكتبتهم التي هي مما يُوجي بها شياطين الجن إلى شياطين الإنس زخرف القول غرورًا، وتخالف آثار أئمة السلف الماضين.. وحسبك من صنيعهم تحذير نبينا الوارد في قوله المتفق عليه: (لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض)، وقوله كما في البخاري (3166): (من قتل معاهدًا لم يرح رائحة الجنة، وإن ربحها ليجد من مسيرة أربعين عامًا).. نسأل الله العفو والعافية والمعافة في الدين والدنيا والآخرة، كما نسأله تعالى حسن الخاتمة، وأن يجنبنا البدع والفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن يحيينا على الإسلام والسنة ويميتنا عليهما، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

<sup>1</sup>(?) ينظر في حديث الدجال: ما رواه البخاري (7122، 7134)، ومسلم (169)، 589، 1379، 1560، 2933، 2943) وغيرها.

<sup>2</sup>(?) وقد ورد بجميع كتب السنة، وينظر منها على سبيل المثال: ما رواه البخاري (7517) ومسلم (162)

<sup>1</sup>(?) سيأتي بيان أن ما ذكره الأشعري بحق أولاد المشركين مرجوح ومناف لما صح من أنهم يدخلون الجنة

<sup>1</sup>(?) سبق عما قريب وإبان الحديث عن حقوق ولاة الأمور، ذكر الكثير من آثار أئمة أهل السنة في: طاعة ولاة الأمور في غير معصية، والتحذير من البدعة وأهلها ومجانبة أهل الأهواء.

ومما أورده الآجري في كتابه الشريعة ص 57 وأثر عن أئمة السلف: ما حدّث به سلام بن أبي مطيع من أن رجلاً من أهل الأهواء قال لأيوب السخيتاني: يا أبا

دليل آخر: ومما يدل على إثبات رؤية الله تعالى بالأبصار: رواية الجماعات من الجهات المختلفة عن رسول الله ﷺ أنه قال: (ترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر، لا تضارون في رؤيته) (1)، والرؤية إذا أطلقت إطلاقاً ومُثِّلت برؤية العيان لم يكن معناها إلا رؤية العيان، ورُويَت الرؤية عن رسول الله ﷺ من طرق مختلفة عديدة، عِدَّة رواها أكثر من عِدَّة خبر الرجم، ومن عِدَّة من روى أن النبي ﷺ قال: (لا وصية لوارث)، ومن عِدَّة رواة المسح على الخفين، ومن عِدَّة رواة قول رسول الله ﷺ: (لا تنكح المرأة على

بكر؛ أسألك عن كلمة، قال: فولى هاربًا وقال: (ولا نصف كلمة ولا نصف كلمة).. كما يورد الآجري ما جاء عن محمد بن واسع، قال: رأيت صفوان بن محرز، وأشار بيده إلى ناحية من المسجد، وشبهة قريب منه يتجادلون؛ فرأيته ينفذ ثوبه وقام وهو يقول: (إنما أنتم جرب، إنما أنتم جرب)، وكان الآجري قد أفرد لذلك أبوابًا وفصولًا.. وبنحو من ذلك فعل اللالكائي في (شرح أصول السنة)، والأصبهاني في كتابه (الحجة في بيان المحجة)، وكذا فعل سائر من صنفوا في كتب الاعتقاد.

(2) فما ذكره الأشعري هنا، يُعدُّ إجمالاً وخطة ومحتوًا لجلِّ ما بنى عليه كتابه هذا (الإبانة)، وسيأتي كلامه بالتفصيل عن كل ذلك وعلى حد قوله: (بابًا بابًا وشيئًا شيئًا) ونزيد عليه هنا في التحقيق: الرد على ما خالف فيه مدعو الانتساب إليه شيخهم، ليحي بعد من حيَّ عن بينة، وليهلك من هلك عن بينة (1) (؟) ورد ذلك في حديث متفق عليه.. وينظر في شأنه البخاري (3244، 4779، 4780، 7498) ومسلم (2824، 2825)

(1) امرؤ القيس هو: ابن حُجر بن الحارث الكندي.. ومراده: إنه إن انتظره صاحبه ساعة يقضيها عند (أم جندب)، وهي - فيما يبدو - زوجته التي بُعد عنها، ينفعه ذلك عندها، فيقضي حاجات قلبه المتيمة بحبها ويطفئ نيران شوقه إليها. (2) (؟) أي: على معرفة الفرق بينهما، يقال: (فرق بين المتشابهين)، أي: بين أوجه الخلاف بين المتشابهين.

(3) (؟) ولا يقولون قائل: إن الأشعرية قد وافقوا شيخهم في هذه المسألة، وأن ليس ثمة خلاف بينهما البتة.. فإنهم وإن وافقوه وأهل السنة على إطلاق تجويزها وفي ردِّ عادية المعتزلة، فقد خالفوها في تجويزها من (جهة ومكان).. ومن ثم كان ردُّ الأشعري على المعتزلة وسوقه الأدلة على إثبات رؤيته تعالى من جهة، يعدُّ ردًا على الأشعرية كذلك واستدلالاً منه لدحض حججهم في هذه الجزئية ويكمن محل الخلاف بين عموم أهل السنة والأشعرية في هذه المسألة، في: معرفة أن لفظ (الجهة) مجمل، وليس ثمة نصوص تثبته أو تنفيه، ولو أن الأشعرية استفصلوا لانتهى الخلاف ولتم التوافق التام مع جماعة أهل السنة.. ولقد كان لشيخ الإسلام كلام جيد في مسألة (الجهة) هذه - ساقه له الشيخ الألباني في مقدمة مختصره على (العلو) للذهبي ص71- كفيل باجتثاث ونسف ما تعلق به الأشعرية من شبهة نفهم رؤيته تعالى في الآخرة من جهة، ومن ثم نفهم علوه تعالى وفوقيته من جهة أخرى.

يقول رحمه الله في (التدمرية) ص45: "قد يراد بـ (الجهة) شيء موجود غير الله، فيكون مخلوقًا كما إذا أريد بـ (الجهة) نفس العرش، أو نفس السماوات،



عمتها ولا خالتها)<sup>(1)</sup>.. وإذا كان الرجم وما ذكرناه سنناً عند المعتزلة كانت الرؤية أولى أن تكون سنة؛ لكثرة رواياتها ونقلتها، كذا يرويها خلف عن سلف.

والحديث: (أنى أراه)<sup>(2)</sup> لا حجة فيه؛ لأنه إنما سأل سائل النبي ﷺ عن رؤية الله في الدنيا، وقال له: هل رأيت ربك؟ فقال: (نور، أنى أراه؟)، لأن العين لا تدرك في الدنيا الأنوار المخلوقة على حقائقها؛ لأن الإنسان لو حدّق ينظر إلى عين الشمس فأدام النظر إلى عينها لذهب أكثر نور بصره، فإذا كان الله - سبحانه - حكم في الدنيا بأن لا تقوم العين بالنظر إلى عين الشمس، فأحرى أن

وقد يراد به ما ليس بموجود غير الله تعالى، كما إذا أريد بالجهة ما فوق العالم؛ ومعلوم أنه ليس في النص إثبات لفظ الجهة ولا نفيه، كما فيه إثبات العلو والاستواء والفوقية والعروج إليه ونحو ذلك، وقد علم أن ما ثم موجود إلا الخالق والمخلوق، والخالق مباين للمخلوق، ليس في مخلوقاته شيء من ذاته، ولا في ذاته شيء من مخلوقاته.

فيقال لمن نفى: أتريد بالجهة أنها شيء موجود مخلوق؟ فإله ليس داخلًا في المخلوقات، أم تريد بالجهة ما وراء العالم؟ فلا ريب أن الله فوق العالم.. وكذلك يقال لمن قال: (الله في جهة): أتريد بذلك أن الله فوق العالم، أو تريد به أن الله داخل في شيء من المخلوقات؟ فإن أردت الأول فهو حق، وإن أردت الثاني فهو باطل.

يقول الشيخ الألباني: ومنه يتبين أن لفظ (الجهة) غير وارد في الكتاب والسنة وعليه فلا ينبغي إثباتها، ولا نفيها، لأن في كل من الإثبات والنفي ما تقدم من المحذور، ولو لم يكن في إثبات الجهة إلا إفساح المجال للمخالف أن ينسب إلى متبني العلو ما لا يقولون به، لكفى.

وكذلك لا ينبغي نفي الجهة توهماً من أن إثبات العلو لله تعالى يلزم منه إثبات الجهة، لأن في ذلك محاذير عديدة منها: نفي الأدلة القاطعة على العلو له تعالى، ومنها: نفي رؤية المؤمنين لربهم في يوم القيامة، وقد صرح بنفيها: المعتزلة، والشيعية، وعلل ابن المطهر الشيعي في (منهاجه) النفي المذكور بقوله: "لأنه ليس في جهة!".. وأما الأشاعرة أو على الأصح متأخروهم الذين أثبتوا الرؤية فتناقضوا حين قالوا: "إنه يرى لا في جهة" يعنون: (العلو)، إذ كيف تستقيم رؤيته تعالى مع نفي علوه؟.

قال شيخ الإسلام في (منهاج السنة) (2/252): "وجمهور الناس من مثبتة الرؤية ونفاتها يقولون: إن قول هؤلاء معلوم الفساد بضرورة العقل، كقولهم في الكلام، ولهذا يذكر أبو عبد الله الرازي أنه لا يقول بقولهم في مسألة الكلام والرؤية أحد من طوائف المسلمين"، ثم أخذ يرد على النفاة من المعتزلة والشيعية بكلام رصين متين فراجعه فإنه نفيس.

وجملة القول في لفظ (الجهة): أنه إن أريد به أمر وجودي غير الله كان مخلوقاً، والله تعالى فوق خلقه لا يحصره ولا يحيط به شيء من المخلوقات، فإنه بائن من المخلوقات.. وإن أريد بـ (الجهة) أمر عدمي - يعني: ليس له في الوجود مثل، وهو مرادهم بقولهم: (بائن من المخلوقات) - وهو ما فوق العالم، فليس هناك إلا الله وحده.

لا يثبت البصر للنظر إلى الله تعالى في الدنيا، إلا أن يقويه الله تعالى، فرؤية الله تعالى في الدنيا قد اختلف فيها.

وقد روي عن أصحاب رسول الله ﷺ أن الله عز وجل تراه العيون في الآخرة، وما روي عن أحد منهم أن الله تعالى لا تراه العيون في الآخرة، فلما كانوا على هذا مجتمعين، وبه قائلين، وإن كانوا في رؤيته تعالى في الدنيا مختلفين، ثبتت في الآخرة إجماعاً، وإن كانت في الدنيا مختلفاً فيها.. ونحن إنما قصدنا إلى إثبات رؤية الله تعالى في الآخرة.

وهذا المعنى الأخير هو المراد في كلام المثبتين للعلو والناقلين عن السلف إثبات الجهة لله تعالى.. قال القرطبي في (الأسنى) - في رد من زعم من الأشعرية أن لازم إثباتها: أن يكون سبحانه في (حيز ومكان)، وأنهما يستلزمان: الحركة والسكون للتمييز والتغير والحدوث - قال:

إنهم "أعرضوا عن مقتضى الكتاب والسنة وأقوال السلف وفطر الخلائق، وإنما يلزم ما ذكروه: في حق الأجسام، والله تعالى لا مثل له.. ثم نقول: لا نسلم أن كون الباري على عرشه فوق السموات يلزم منه أنه في (حيز وجهة)، إذ ما دون العرش يقال فيه: (حيز وجهة)، وأما ما فوقه فليس هو كذلك، والله فوق عرشه كما أجمع عليه الصدر الأول ونقله عنهم الأئمة، وقد قالوا ذلك رادين على الجهمية القائلين بأنه في كل مكان محتجين بقوله: **وهو معكم** [الحديد: 4]، فهذان القولان هما اللذان كانا في زمن التابعين وتابعيهم.. وأما القول الثالث المتولد أخيراً من أنه: ليس في الأمكنة، ولا خارجاً عنها، ولا فوق عرشه، ولا هو متصل بالخلق ولا بمنفصل عنهم.. ولا.. ولا.. فهذا شيء لا يُعقل ولا يُفهم، مع ما فيه من مخالفة الآيات والأخبار، ففرّ بدينك وإياك وأراء المتكلمين، وأمن بالله وما جاء عن الله على مراد الله".

وتحت ما جعله ابن رشد في (الكشف عن مناهج الأدلة) (ص66): تحت عنوان (القول في الجهة)، قال رحمه الله: "وأما هذه الصفة فلم يزل أهل الشريعة من أول الأمر يثبتونها لله سبحانه، حتى نفتها المعتزلة، ثم تبعهم على نفيها متأخرو الأشعرية كأبي المعالي ومن اقتدى بقوله، وظواهر الشرع كلها تقتضي إثبات الجهة مثل قوله تعالى"، ثم ذكر بعض الآيات المعروفة، ثم قال: "إلى غير ذلك من الآيات التي إن سلط التأويل عليها عاد الشرع كله مؤولاً، وإن قيل فيها: إنها من المنتشبهات، عاد الشرع كله متشابهاً، لأن الشرائع كلها متفقة على أن الله في السماء، وأن منه تنزل الملائكة بالوحي إلى النبيين" إ.هـ.

وكان الأشعري قد نقل بـ (مقالات الإسلاميين) ص290 وما بعدها، في (حكاية جملة قول أهل السنة وأصحاب الحديث) أنهم: "يقولون: إن الله (يُرى بالأبصار يوم القيامة) كما يرى القمر ليلة البدر، يراه المؤمنون ولا يراه الكافرون لأنهم عن الله محجوبون.. وأن موسى سأل الله الرؤية في الدنيا، وأنه سبحانه تجلى للجبل فجعله دكا، فأعلمه بذلك أنه لا يراه في الدنيا بل يراه في الآخرة".. كما نقل إجماعهم على ذلك في (رسالة أهل الثغر)، فقال في الإجماع الحادي عشر ما نصه: "وأجمعوا على أن المؤمنين يرون الله يوم القيامة بأعين وجوههم، على ما أخبر به تعالى في قوله: **وجوه يومئذ ناضرة. إلى ربها ناظرة** [القيامة: 22-23]، وقد بين معني ذلك النبي ﷺ ودفع كل إشكال فيه بقوله

على أن هذه الرواية على المعتزلة لا لهم؛ لأنهم ينكرون أن الله نور في الحقيقة.. فإذا احتجوا بخبرهم له تاركون وعنه منحرفون، كانوا محجوجين.

دليل آخر:

ومما يدل على رؤية الله تعالى بالأبصار؛ أنه ليس موجود إلا وجائز أن يريناه الله عز وجل، وإنما لا يجوز أن يُرى المعدوم، فلما كان الله عز وجل موجودًا مثبتًا، كان غير مستحيل أن يرينا نفسه عز وجل، وإنما أراد من نعى رؤية الله عز وجل بالأبصار التعطيل، فلما لم يمكنهم أن يُظهروا التعطيل صراحةً أظهروا ما يؤول بهم إلى التعطيل والجحود، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

دليل آخر:

ومما يدل على رؤية الله - سبحانه - بالأبصار أن الله تعالى يرى الأشياء، وإذا كان للأشياء رائياً فلا يرى الأشياء من لا يرى نفسه، وإذا كان لنفسه رائياً فجائز أن يرينا نفسه، وذلك أن من لم يعلم نفسه لا يعلم الأشياء، فلما كان الله تعالى عالماً بالأشياء كان عالماً بنفسه، فكذلك من لا يرى نفسه لا يرى الأشياء ولما كان الله عز وجل رائياً للأشياء كان رائياً لنفسه.. وإذا كان رائياً لها فجائز أن يرينا نفسه، كما أنه لما كان عالماً بنفسه جاز أن

للمؤمنين: (ترون ربكم عياناً) وقوله: (ترو ربكم يوم القيامة كما ترون القمر، لا تضامون في رؤيته)، فيبين أن رؤيته تعالى بأعين الوجوه، ولم يرد أن الله مثل القمر، فشبه الرؤية بالرؤية ولم يشبهه الله بالقمر، وليس يجب إذا رأيناه تعالى أن يكون شبيهاً لشيء مما نراه، كما لا يجب إذا علمناه أن يُشبهه شيئاً نعلمه.. ولمزيد من رد أهل السنة على الأشعرية في مسألة رؤية الله من جهة العلو ودحض ما تشبث به الأشعرية في نفهم الجهة، ينظر (عقيدة الأشاعرة دراسة نقدية لمنظومة جوهرية التوحيد لبرهان الدين اللقاني على ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة)، لحسان بن إبراهيم الرديعان ص 362-368.

<sup>1</sup>(?) وإنما يكون ذلك في الآخرة ضمن نعيم الجنة، بأن يخلق الله قوة في الرائي يرى بها ذاته تعالى، وكان الله أراد أن يقول لموسى عليه السلام في عدم تحقق ذلك في الدنيا: إنك لا تقوي على المشاهدة ولن تتحمل هذا التجلي، وهذا هو الجبل، أقوى منك وأكثر تحملاً، فإن تحمل الرؤية واستقر أمام التجلي الأعظم، كان من الممكن أن تُجاب لطلبك وأن تنال هذه الأمنية في الدنيا.. فإذا كان تجليه سبحانه على النحو الذي رأى موسى ولم يقدر على مشاهدة الجلال والعظمة وأصبح دكاً، وخرّ عليه السلام من هول ما رأى صعفاً، فماذا كان يصنع لو أن التجلي كان له؟.

<sup>1</sup>(?) الحديث متفق عليه.. رواه البخاري (554، 573، 4851، 7434، 7435، 6436) ومسلم (633).

<sup>1</sup>(?) حسن.. رواه أبو داود (2870)، والترمذي (2122)، وأحمد (5/267).

<sup>2</sup>(?) رواه مسلم (178).



يُعَلِّمَنَاهَا، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأُرِي﴾ [طه: 46]، فَأَخْبَرَ أَنَّهُ يَسْمَعُ كِلَا مَنَّهُمَا وَيَرَاهُمَا، وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَجُوزُ أَنْ يُرَى بِالْأَبْصَارِ يَلْزِمُهُ أَنْ لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى رَأْيًا وَلَا عَالَمًا وَلَا قَادِرًا؛ لِأَنَّ الْعَالَمَ وَالْقَادِرَ الرَّائِيَ جَائِزٌ أَنْ يُرَى.

### مسألة:

**فإن قال قائل: قول النبي ﷺ: (ترون ربكم)، يعني: تعلمون ربكم اضطراباً، قيل له: إن النبي ﷺ قال لأصحابه هذا على سبيل البشارة، فقال: (كيف بكم إذا رأيتم الله سبحانه؟)، ولا يجوز أن يبشرهم بأمر يشركهم فيه مع الكفار، على أن النبي ﷺ قال: (ترون ربكم) وليس يعني رؤية دون رؤية، بل ذلك عام في رؤية العين ورؤية القلب.**

### دليل آخر:

إن المسلمين اتفقوا على أن الجنة (فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر)<sup>(1)</sup> من العيش السليم، والنعيم المقيم، وليس نعيم في الجنة أفضل من رؤية الله عز وجل بالأبصار.. وأكثر من عبَدَ الله عز وجل عَبَدَهُ للنظر إلى وجهه الكريم - أَرَانَا اللَّهُ إِيَّاهُ بِفَضْلِهِ - فَإِذَا لَمْ يَكُنْ بَعْدَ رُؤْيَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَفْضَلَ مِنْ رُؤْيَةِ نَبِيِّهِ ﷺ، وَكَانَتْ رُؤْيَةُ نَبِيِّ اللَّهِ أَفْضَلَ لِدَاتِ الْجَنَّةِ، كَانَتْ رُؤْيَةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَفْضَلَ مِنْ رُؤْيَةِ نَبِيِّهِ ﷺ.. وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ لَمْ يَحْرَمِ اللَّهُ أَنْبِيََاءَهُ الْمُرْسَلِينَ، وَمَلَائِكَتَهُ الْمُقْرَبِينَ، وَجَمَاعَةَ الْمُؤْمِنِينَ، وَالصَّادِقِينَ النَّظَرَ إِلَى وَجْهِهِ الْكَرِيمِ، وَذَلِكَ أَنَّ الرُّؤْيَةَ لَا تُؤَثِّرُ فِي الْمُرْتَبِيِّ؛ لِأَنَّ رُؤْيَةَ الرَّائِي تَقُومُ بِهِ، فَإِذَا كَانَ هَذَا هَكَذَا، وَكَانَتْ الرُّؤْيَةُ غَيْرَ مُؤَثِّرَةٍ فِي الْمُرْتَبِيِّ، لَمْ تُوجِبْ تَشْبِيهًا وَلَا انْقِلَابًا عَنْ حَقِيقَةِ، وَلَمْ يَسْتَحِلْ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُرَى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ نَفْسَهُ فِي جَنَانِهِ.

### مسألة في الرؤية:

احتجت المعتزلة في أن الله عز وجل لا يُرى بقوله تعالى: ﴿لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ [الأنعام: 103]، قالوا: فلما عطف الله عز وجل بقوله: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ على قوله: ﴿لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾، وكان قوله: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ على العموم أنه يدركها في الدنيا والآخرة، وأنه يراها في الدنيا والآخرة، كان قوله: ﴿لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ دليلاً على أنه لا تراه الأبصار في الدنيا والآخرة، وكان في العموم كقوله: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾؛ لِأَنَّ أَحَدَ الْكَلَامَيْنِ مَعْطُوفٌ عَلَى الْآخَرِ.

<sup>1</sup>(?) سبق تخريجه.

**قيل لهم:** فيجب إذا كان عموم القولين واحداً، وكانت الأبصار أبصار العيون وأبصار القلوب؛ لأن الله تعالى قال: **﴿فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾** [الحج: 46]، وقال: **﴿أولي الأيدي والأبصار﴾** [ص: 45]، أي: فهي بالأبصار، فأراد أبصار القلوب وهي التي يفضل بها المؤمنون الكافرين، ويقول أهل اللغة: (فلان بصير بصناعته)، يريدون: بصر العلم، ويقولون: (قد أبصرته بقلبي)، كما يقولون: (قد أبصرته بعيني).

فإذا كان البصر بصر العين وبصر القلب ثم أوجبوا علينا أن يكون قوله تعالى: **﴿لا تدركه الأبصار﴾** في العموم كقوله: **﴿لا تدركه الأبصار﴾**، لأن أحد الكلامين معطوف على الآخر، وجب عليهم بحجتهم أن الله تعالى لا يُدرك بأبصار العيون ولا بأبصار القلوب؛ لأن قوله: **﴿لا تدركه الأبصار﴾** في العموم كقوله: **﴿وهو يدرك الأبصار﴾**، وإذا لم يكن عندهم هكذا فقد وجب أن يكون قوله تعالى: **﴿لا تدركه الأبصار﴾** أخص من قوله: **﴿وهو يدرك الأبصار﴾** وانتقض احتجاجهم.

**وقيل لهم:** إنكم زعمتم أنه لو كان قوله: **﴿لا تدركه الأبصار﴾** خاصاً في وقت دون وقت لكان قوله: **﴿وهو يدرك الأبصار﴾** خاصاً في وقت دون وقت، وكان قوله: **﴿ليس كمثله شيء﴾** [الشورى: 11]، وقوله: **﴿لا تأخذه سنة ولا نوم﴾** [البقرة: 255]، وقوله: **﴿لا يظلم الناس شيئاً﴾** [يونس: 44] في وقت دون وقت، فإن جعلتم قوله تعالى: **﴿لا تدركه الأبصار﴾** [الأنعام: 103] خاصاً رجع احتجاجكم عليكم، وقيل لكم: إذا كان قوله: **﴿لا تدركه الأبصار﴾** خاصاً ولم يجب خصوص هذه الآيات، فلم أنكرتم أن يكون قوله عز وجل: **﴿لا تدركه الأبصار﴾** إنما أراد في الدنيا دون الآخرة؟ وكما أن قوله: **﴿لا تدركه الأبصار﴾** أراد بعض الأبصار دون بعض، ولا يوجب ذلك تخصيص هذه الآيات التي عارضتمونا بها.

**فإن قالوا:** قوله تعالى: **﴿لا تدركه الأبصار﴾** يُوجب أن لا يُدرك بها في الدنيا والآخرة، وليس ينفي ذلك أن نراه بقلوبنا، ونبصره بها، ولا ندركه بها.

**قيل لهم:** فما أنكرتم أن يكون لا تدركه بأبصار العيون ولا يُوجب إذا لم ندركه بها أن لا نراه، فرؤيتنا له بالعيون وإبصارنا له بها ليس بإدراك له بها، كما أن إبصارنا له بالقلوب ورؤيتنا له بها ليس بإدراك له بها.



**فإن قالوا:** رؤية البصر هي إدراك البصر، **قيل لهم:** ما الفرق بينكم وبين من قال: إن رؤية القلب وإبصاره هو إدراكه وإحاطته، فإذا كان علم القلب بالله وإبصار القلب له: رؤيته إياه ليس بإحاطة ولا إدراك، فما أنكرتم أن يكون رؤية العيون وإبصارها لله عز وجل ليس بإحاطة ولا إدراك؟.

### مسألة:

**ويقال لهم:** إذا كان قول الله - سبحانه -: **لا تدركه الأبصار** في العموم كقوله: **وهو يدرك الأبصار**؛ لأن أحد الكلامين معطوف على الآخر، فخبرونا أليس الأبصار والعيون لا تدركه رؤية ولا لمسًا ولا ذوقًا ولا على وجه من الوجوه؟.

**فمن قولهم:** نعم، يقال لهم: أخبرونا عن قوله تعالى: **وهو يدرك الأبصار**، أتزعمون أنه يدركها لمسًا وذوقًا بأن يلمسها؟ **ومن قولهم:** لا، يقال لهم: قد انتقض قولكم: إن قوله: **وهو يدرك الأبصار** في العموم كقوله: **لا تدركه الأبصار**.

**إذا قال قائل منهم:** إن البصر في الحقيقة هو بصر العين لا بصر القلب.

**قيل له:** ولم زعمت هذا وقد سمى أهل اللغة بصر القلب بصيرًا، كما سموا بصر العين بصيرًا، وإن جاز لك ما قلته جاز لغيركم أن يزعم أن البصر في الحقيقة هو بصر القلب دون العين، وإذا لم تجز هذا فقد وجب أن البصر بصر العين وبصر القلب.

**ويقال لهم:** حدثونا عن قول الله عز وجل: **وهو يدرك الأبصار**، ما معناه؟ فإن قالوا: معنى: **وهو يدرك الأبصار** أنه يعلمها، قيل لهم: وإذا كان أحد الكلامين معطوفًا على الآخر، وكان قوله تعالى: **وهو يدرك الأبصار** معناه: يعلمها، فقد وجب أن يكون قوله تعالى: **لا تدركه الأبصار** لا تعلمه، وهذا نفي للعلم لا لرؤية الأبصار.

**فإن قالوا:** معنى قوله تعالى: **وهو يدرك الأبصار** أنه يراها رؤية ليس معناها العلم، قيل لهم: فالأبصار التي في العيون يجوز أن ترى؟ فإن قالوا: نعم، نقضوا قولهم: (إنا لا نرى بالبصر إلا من جنس ما ترى الساعة)، فإن جاز أن يرى الله وكل ما ليس من جنس المرئيات وهو الإبصار الذي في العين، فلم لا يجوز أن يرى نفسه وإن لم يكن من جنس المرئيات؟ ولم لا يجوز أن يرى نفسه وإن لم يكن من جنس المرئيات؟.

**ويقال لهم:** حدثونا إذا رأينا شيئًا، فبصرتنا يراه أم إنما يراه الرائي دون البصر؟ فمن قولهم: إنه محال أن يرى البصر الذي



في العين، يقال لهم: الآية تنفي أن تراه الأبصار، ولا تنفي أن يراه المبصرون، وإنما قال الله: **لا تدركه الأبصار** فهذا يدل على أن المبصرين لا يرونه على ظاهر الآية الشريفة<sup>(1)</sup>

## الباب الثالث صفة الكلام ورد عادية المعتزلة والجهمية ومن تابعهما

### الفصل الأول

### الكلام في أن القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق

**إن سأل سائل عن الدليل على أن القرآن كلام الله غير مخلوق<sup>(2)</sup>.. قيل له: الدليل على ذلك: قوله تعالى: **ومن آياته****

<sup>1</sup>(?) ويمكن أن يقال في محصلة الرد على المعتزلة: أن المنفي، هو: الإحاطة والشمول، أو رؤية العيون، أو في وقت دون وقت لا مطلق الرؤية.. وأن (أل) في (الأبصار) للعموم، وتقدّم النفي على العموم يفيد سلب العموم، فيكون المعنى: لا تراه جميع الأبصار بل يراه البعض منها دون البعض.. ثم إن الذي أدهم لنفي الرؤية هو: قياسهم الغائب على الشاهد، وهذا إنما يكون بما أودعه الله في الكائنات، أما رؤية الله فلا تخضع لهذه القوانين الدنيوية.. أما محصلة الرد على الأشعرية في نفي الجهة فقد سبق بيانه.

<sup>2</sup>(?) وعلى نحو ما يُعدّ كلام الأشعري التالي ردّاً على المعتزلة ودحضاً لشبهاتهم، فإنه يعدّ كذلك ردّاً ودحضاً لشبهات متأخري الأشاعرة الذين ركبوا رعوسهم وتبنوا ما كان عليه شيخهم الذي تأثر فيه بابن كلاب ردحاً من الزمن، ونبذوا ما آل إليه واستقر عليه أمره وختم به حياته، فقد اتفق أولئك المتأخرة مع المعتزلة على أن القرآن الذي بين أيدينا مخلوق، وزاد الأشاعرة فأثبتوا كلاماً نفسياً قائماً بنفس الله وهو غير مخلوق وهو الذي عُبر عنه بالقرآن، فالقرآن لديهم إنما هو حكاية عن كلام الله وعبارة عنه، وليس بكلامه حقيقة، كونه: (لفظياً منزلاً وبحرف وصوت) وهذه الأمور ونحوها - برأيهم - حوادث يتنزّه عنها كلام الله النفسي، وأما اللفظي منه فقد خلقه الله في اللوح المحفوظ ثم ألهمه جبريل فهو من تأليفه أو من كلام محمد •.

وفي تقرير مذهب الأشعرية هذا الفاسد، يقول الفخر الرازي في (المحصل في علم الكلام) ص403: "أما أصحابنا فقد اتفقوا على أنه تعالى ليس بمتكلم بالكلام الذي هو الحروف والأصوات، بل زعموا أنه متكلم بكلام النفس، والمعتزلة ينكرون هذا الماهية.. فالحاصل: أن الذي ذهبوا إليه، نحن من القائلين به"، وقد صدر هذا عن الرازي - بالطبع - قبل تراجمه.. وكان ابن التلمساني في شرحه على (معالم أصول الدين) للرازي، قد ظن أن مراد من أطلق من الحنابلة: إن الله يتكلم بحرف وصوت أنها بمنزلة حروفنا نحن وأصواتنا، وهذا وهم منه.. ويقول الأمدي كما في (المواقف في علم الكلام) ص294 وبعد أن

**ان تقوم السماء والأرض بأمره** [الروم: 25]، وأمر الله: كلامه، فلما أمرهما بالقيام فقامتا لا يهويان؛ كان قيامهما بأمره<sup>(1)</sup> وقال عز وجل: **ألا له الخلق والأمر** [الأعراف: 54]، فالخلق، جميع ما خلق داخل فيه؛ لأن الكلام إذا كان لفظه عامًا فحقيقته أنه عام، ولا يجوز لنا أن نزيل الكلام عن حقيقته بغير حجة ولا برهان، فلما قال: **ألا له الخلق** كان هذا في جميع الخلق، ولما قال: (والأمر) ذكر أمرًا غير جميع الخلق، فدل ما وصفنا على أن أمر الله غير مخلوق.

ذكر قول المعتزلة في الكلام اللفظي: "وهذا لا ننكره، لكننا نثبت أمرًا وراء ذلك، وهو: (المعنى القائم بالذات)، ونزعم أنه غير العبارات"، وقال بنفس الصفحة: "إذا عرفت هذا فاعلم أن ما يقوله المعتزلة، وهو: خلق الأصوات والحروف وكونها حادثة قائمة، فنحن نقول به ولا نزاع بيننا وبينهم في ذلك"، وهذا اعتراف بأنهم والمعتزلة سواء في أن (القرآن) بلفظه مخلوق، وأن الأشاعرة زادوا عليه الكلام النفسي.. كما أطال السنوسي في شرح أم البراهين ص 189 في بيان استحالة الحروف والأصوات على كلام الله، وكل ما لديه من بضاعة، هو: قياس الغائب على الشاهد.

وقد سبق أن أوضحنا أن البيجوري ذكر في ص 78 من (شرحه على جوهرة التوحيد) - الذي لم يخرُج الأزهر للأسف عن تقريره ونحوه على أننا على أنه معتقد أهل السنة - عن صفة كلامه تعالى: أنها "صفة أزلية قائمة بذاته تعالى، ليست بحرف ولا صوت، منزهة عن التقدم والتأخر والإعراب والبناء".. إلى أن قال: "واعلم أن كلام الله يطلق على: الكلام النفسي القديم بمعنى: أنه صفة قائمة بذاته، وعلى الكلام اللفظي بمعنى: أنه خلقه.. ومع كون اللفظ الذي نقرأه حادثًا لا يجوز أن يقال: (القرآن حادث) إلا في مقام التعليم.. ويصح أن يدل الكلام (اللفظي) على (النفسي) دلالة عقلية التزامية بحسب العرف، وعليه فإن أضيف له تعالى كلام لفظي كـ (القرآن)، فإنه كلام الله، بمعنى: أنه خلقه في اللوح المحفوظ، فدل التزامًا على أن له تعالى كلامًا نفسيًا.. وهذا هو المراد بقولهم: (القرآن حادث ومدلوله قديم)".. هـ.

وذكرنا هنالك أن الأشاعرة لأجل ذلك لم يثبتوا لله من الكلام سوى (النفسي) منه، ولم يدرجوا هذه الصفة ضمن (صفات الأفعال) التي تتعلق بمشيئته سبحانه يفعلها متى وكيف شاء، وأنهم لأجل ذلك أيضًا نفوا كلامه تعالى لكليمه موسى عليه السلام بدعوى "أنه معنى واحد لا يتصور أن - يتبعص أو - يُسمع، وإنما يخلق الله الصوت في الهواء كما قال أبو منصور الماتريدي وغيره" وهو ينصه بـ [شرح الطحاوية ص 114].. ولأجله كذلك - وكما رأينا - لم يعدوا القرآن كلام الله؛ وأحالوا عليه تعالى الكلام اللفظي لمشابهته - باعتقادهم - بالحوادث، ونزهوا كلامه عن الحرف والصوت بحجة أن كلامه ليس ألفاظًا، إذ الألفاظ لا بد فيها من الترتيب فلا يُنطق بالحرف الثاني إلا إذا انقضى الحرف الأول وهكذا، ولا بد فيها من الإعراب والبناء ليفهم المقصود، كما لا بد فيها من السكوت بين بعض الكلمات وبعضها، وكل ذلك منفي عن (الكلام النفسي).. وأن كل ذلك معلوم فسادُه بالاضطرار، ويردُّ عليه:

فإن قال قائل: أليس قد قال الله تعالى في كتابه: **من كان عدوًّا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال** [البقرة: 98].. **قيل له**: نحن نخص القرآن بالإجماع وبالذليل، فلما ذكر الله عز وجل نفسه وملائكته، ولم يُدخل في ذكر الملائكة جبريل وميكائيل وإن كانا من الملائكة، ثم ذكرهما بعد ذلك، كان كأنه قال: الملائكة إلا جبريل وميكائيل، ثم ذكرهم بعد ذكر الملائكة فقال: **وجبريل وميكال** □

أ- دحض الأشعري نفسه لقول أولئك الذي يدعون شرف الانتساب إليه وأنه برئ منهم ومن قولهم.

ب- وإجماع أهل السنة على أن القرآن بمعانيه وألفاظه هو من كلام الله.  
ج- وعلى عدم تفريقهم بين ما إذا قيل ذلك في مقام التعليم أو غيره.  
د - وعلى أن عبارات: (لفظ القرآن من خلق الله)، (الألفاظ المتلوة مخلوقة لله فهي حادثة)، (مخلوقة له سبحانه)، (خلقه في اللوح المحفوظ)، (القرآن حادث)؛ من البدع المنكرة كونها ألفاظ موهمة.. وأضيف هنا أن:  
الأشاعرة - فيما جنحوا إليه - قلدوا المعتزلة في أن القرآن بلفظه مخلوق، ولم يستوعبوا كلام أهل السنة:

ذلك أن صواب أهل السنة في (صفة الكلام) لم يكن متصورًا لدي اللقاني والبيجوري وسائر الأشاعرة، كونهم: نفوا أن يكون كلام الله منزلًا وباللفظ والحرف، واستشهدوا - في نفس الوقت - بما وقع للبخاري وعيسى بن دينار والشعبي وأحمد بسبب فتنة خلق القرآن، على الرغم من أن ما حل بهؤلاء وما قالوه وثبتوا عليه، إنما هو حجة على الأشاعرة لا لهم.. فبينما الأمر بحق من ذكر البيجوري أسماءهم، على: أن القرآن كلام الله أنزله بالحرف واللفظ، بكيفية لا نعلمها، نفى الأشاعرة أن يكون القرآن كلام الله أصلًا وقالوا: "إنما هو عبارة عنه وليس بلفظ ولا بحرف ولا بصوت ولا منزل من الله، لكون هذه الأشياء حادثة وكلام الله يتنزه عنها"، واستلزم قولهم بذلك أن يكون مخلوقًا وإن خافوا التصريح بذلك.. وسيأتي بيان أن كل ذلك يقع على وجه لا يشبهه ما للمخلوقين.

وإن تعجب فعجب قول الأشعرية - فيما يؤكد ويعكس خطورة ما هم عليه وما يدرسونه على أبنائنا بالأزهر-: إن "القرآن له دالتان: دلالة عقلية التزامية تدل على الكلام النفسي القديم، ودلالة وضعية لفظية تدل على الذي يقرأه البشر؛ فالكلام النفسي قديم وأما اللفظي فحادث مخلوق لله".." وأن "الألفاظ المنزلة الدالة على المعنى خلقها الله في اللوح المحفوظ، ثم أنزلها في صحائف إلى سماء الدنيا في بيت العزة، ثم أنزله على النبي مفرقًا بحسب الوقائع" إ.هـ من عبارة حسين المصري في (توضيح التوحيد من تحفة المرید).. وقد مرت بنا عبارة البيجوري.

وعبارة حسن السيد متولي نصها: إن "القرآن: كلام الله اللفظي.. حادث، لكن لا يصح وصفه بالحدوث دفعًا للإيهام، إلا في مقام التعليم".." قال: "وما ورد مما يشعر بأن القرآن مخلوق وحادث مثل: **إنا أنزلناه في ليلة القدر** [القدر: 1]، **إنا نحن نزلنا الذكر** [الحجر: 9]، يجب حمله على الكلام اللفظي المقروء المتلو لا على النفسي القائم بذاته تعالى".." كذا بما يعني صراحة أن



ولما قال: **ألا له الخلق والأمر** [الأعراف: 54]، ولم يخص قوله: (الخلق) دليل، كان قوله: **ألا له الخلق** في جميع الخلق، ثم قال بعد ذكره الخلق: (والأمر)، فأبان وميز الأمر من الخلق وفرق بينهما، وأمر الله: كلامه، وهذا يوجب أن كلام الله غير مخلوق.

وقال - سبحانه -: **الله الأمر من قبل ومن بعد** [الروم: 4] يعني: من قبل أن يخلق الخلق ومن بعد ذلك، وهذا يوجب أن الأمر غير مخلوق<sup>(1)</sup>.

القرآن الذي نقرأه وتتلوه ونكتبه في المصاحف والمنزل من عند الله: هو لدى الأشاعرة مخلوق، وليس هو عين كلام الله، وإنما هو كلام جبريل أو محمد عليهما السلام، وأن حروف القرآن مخلوقة خلقها الله ولم يتكلم بها وليست من كلامه، ذلك أن كلامه تعالى -بنظرهم- يطلق على الكلام النفسي القائم بذاته ومستحيل نزوله، ولا يكون إلا قديمًا كبقية صفات المعاني السبع، وأن إطلاق (اللفظي) على كلام الله إنما هو على سبيل التجوز، ولا يلزم من أدلة وإجماع على أن كلامه تعالى قديم: أن يكون مُتَزَلًّا، بل يدلان على نزول عباراته عن ذلك القديم.

وحجة الأشاعرة في ذلك هي: أن الكلام القائم بالذات إما أن يكون حسيًا أو نفسيًا، والحسي لا ينبغي أن يقوم بذاته تعالى لأنه منتظم من حروف لها أول وآخر، بعضها يسبق بعضًا ويدخلها التعاقب والتأليف، وهذه تقوم بالحادث والله منزه عن أن يقوم به حادث، فتعين أن يكون هو: الكلام النفسي الذي يقوم بالذات من معاني قديمة لا يدخلها التجزؤ والانتظام كالحسي.

وقد أدهم ذلك لأن يحملوا أمثال ما رواه البخاري من حديث: (يحشر الله العباد فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب: أنا الملك أنا الديان) على تأويل "أن يكون الصوت: للسماء، أو للملك الآتي بالوحي، أو لأجنحة الملائكة، أو أن الراوي أراد: (فيناديهم نداء) فعبر عنه بالصوت، وهذا حاصل كلام من ينفي الصوت، ويلزم منه أن الله لم يسمع أحدًا من ملائكته ورسله كلامه، بل ألهمهم إياه، وحاصل احتجاجهم لنفي الصوت: الرجوع إلى القياس على أصوات المخلوقين، لأنها التي عُهد أنها ذات ومخارج" كذا في فتح الباري.

يقول ابن حجر في رد ذلك: "ولا يخفى ما فيه، إذ الصوت قد يكون من غير مخارج كما أن الرؤية قد تكون من غير اتصال أشعة.. وصفات الخالق لا تقاس على صفة المخلوق، وإذا ثبت الصوت بالأحاديث الصحيحة وجب الإيمان به" إ.هـ.

من فتح الباري 13 / 466

الأمر الذي يؤكد أن الأشعرية على أن القرآن ليس هو كلام الله، بل هو عبارة عن المعنى النفسي القائم بالله ودلالة عليه، وأن الذي في المصحف - على ما كشفه بعض من فضحهم من أئمة السلف - مُحدَثٌ وحروفه مخلوقة، خلقها الله في اللوح المحفوظ فأخذها جبريل من اللوح أو ألَّفها بإلهام الله له، ولم يتكلم الله بها وليست من كلامه على الحقيقة، وإنما هي عبارة عنه، وفي عبارة للقاني تعكس مدى اضطرابهم: "أن حقيقة (كلام الله) يطلق على اللفظ أيضًا من باب (الاشتراك اللفظي)، مع المعنى القائم بالنفس".

**دليل آخر:** ومما يدل من كتاب الله على أن كلامه غير مخلوق؛ قوله - سبحانه - : **﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾** [النحل: 40]، فلو كان القرآن مخلوقاً لوجب أن يكون مقولاً له: (كن فيكون).. ولو كان الله عز وجل قائلاً للقول: (كن)، لكان للقول قولاً، وهذا يوجب أحد أمرين: 0 إما أن يؤول الأمر إلى أن قوله تعالى غير مخلوق. 0 أو يكون كل قول واقع بقول لا إلى غاية، وذلك محال، وإذا استحال ذلك صح وثبت أن لله عز وجل قولاً غير مخلوق.

على أن قولهم بأن الله خلق القرآن في اللوح وأن جبريل أخذه وتكلم به، هو - على حد قول الإمام أحمد - من أخبث الأقوال وأشرها.. كما أن ادعاءهم (الاشتراك)؛ هو الآخر من ضيق العطن، لأن (المشترك اللفظي) يطلق على: (اللفظ الواحد له أكثر من معنى على سبيل الحقيقة)، ككلمة (العين) تطلق على: (البئر) وعلى (الباصرة) وعلى (الجاسوس).. إلخ، والقريظة فيه تكون مُعَيَّنَةً، والأمر هنا ليس كذلك.

هذا، ولم يقف مُتَنظِّرو الأشاعرة عند هذا الحد، حتى مالوا إلى أن كلام الله: مجرد معنى واحد وصفة واحدة قامت بالله لا تعدد فيها ولا تجدد، فهو نفس معان الأمر والنهي والاستفهام والنداء والإخبار وغيرها مما يقوم بالذات من معاني قديمة، ولا تختلف هذه المعاني باختلاف العبارات.. كذا أفاده ونسبه إلى أهل السنة: البيجوري في (تحفة المرید)، واللقاني في (هداية المرید). وهو من قبل اللقاني والبيجوري: قول ابن كلاب - وقد تأثر به أبو الحسن الأشعري ثم رجع عنه لمذهب السلف - قالاً: "إنه معنى واحد قائم بذات الله، وهو الأمر والنهي والخير والاستخبار، إن عُبر عنه بالعربية كان قرآناً، وإن عُبر عنه بالعبرية كان توراة"، وعند الماتريدي: "أن كلامه تعالى يتضمن معنى قائماً بذاته لا يُتصور أن يُسمع، هو: ما خلقه في غيره من هواء ونحوه".. كذا ذكره ابن أبي العز في شرحه على الطحاوية ص 107، ضمن تسعة أقوال ساقها في مسألة الكلام.

### موقف أهل السنة من كلام الأشاعرة السالف الذكر:

وتجدر الإشارة إلى أن ما ذكرناه عن (الأشاعرة) مغايرٌ تماماً لمعتقد (أهل السنة)، ذلك أن اعتقاد أهل السنة الذي دل عليه الوحيين وأب إليه أبو الحسن الأشعري: أن الله موصوف بصفة الكلام حقيقة، وأنه متكلم - على نحو لائق به - بكلام، وأنه يتكلم بمشيئته واختياره بما شاء متى شاء كيف شاء، بحرف وصوت مسموع وبكيفية لا نعلمها، إذ لا يُعقل ولا يُتصور أن يكون ثمة كلام على الحقيقة بغيرهما، وقد وصف تعالى كتابه بأنه **﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾** [الشعراء: 195]، فمعنى كلامه معروف ومعلوم، وأما الكيفية: فهي - كذاته وكسائر صفاته - مجهولة لنا، وأن كلامه أحسن الكلام لا يشبه كلام المخلوقين، بل هو صفة أزلية قائمة به سبحانه غير بائنة ولا منفكة عنه، لم يزل ولا يزال يكلم به مَنْ شاء، ويُسمعه على الحقيقة مَنْ شاء بصوت نفسه، لم تتجدد له هذه الصفة، ولم يكن ليُخَدَّث له وصف الكلام بعد إن لم يكن متكلماً، بل كونه متكلماً بمشيئته هو من لوازم ذاته المقدسة، كما كلم موسى وناداه حين أتاه بصوت نفسه فسمعه

**سؤال:**

**فإن قال قائل: معنى قول الله: (أن يقول له كن فيكون):**  
 إنما يكون فيكون.. **قيل:** الظاهر أن يقول له، ولا يجوز أن يكون  
 قول الله للأشياء كلها (كوني)، هو: الأشياء؛ لأن هذا يوجب أن  
 تكون الأشياء كلها كلاماً لله عز وجل، ومن قال ذلك أعظم الفرية؛  
 لأنه يلزمه أن يكون كل شيء في العالم من إنسان وفرس وحمار  
 وغير ذلك كلام الله، وفي هذا ما فيه.  
 فلما استحال ذلك؛ صح أن قول الله للأشياء: (كوني)، غيرها..  
 وإذا كان غير المخلوقات فقد خرج كلام الله عز وجل عن أن يكون

موسى عليه السلام.

وإن كان نوع كلامه تعالى قديمًا فإن آحاده وإحداث فعله، متجددٌ وهو غير  
 مخلوق، فقد كلم الله موسى حين جاء ولم يكن كلمه قبل ذلك.. وفي هذا ردٌّ  
 على من ما زعموه من أن كلامه سبحانه معنيًا واحدٌ قائم بالنفس لا يتصور أن  
 يُسمع، وإنه يخلق الصوت في الهواء، أو أنه يتضمن معنى قائمًا بذاته هو ما خلقه  
 في غيره على ما نص على ذلك الماتريدي.

ويعتقد أهل السنة أن كلامه تعالى صفة له قائمة به، لا ابتداءً لاتصافه بها ولا  
 انتهاءً، فكلماته لا نهاية لها، وأن من كلامه: (القرآن والتوراة والإنجيل)، وكلامه  
 كذاته وكسائر صفاته، نؤمن به ونثبت له ولا نعلم كيفيته ولا نمثله بشيء من  
 صفات خلقه، ليس كمثله شيء إلا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، وقد  
 تواتر على ذلك جميع الأنبياء، فكلمهم على أن نسبة الكلام إلى الله تقتضي أنه  
 متكلم بكلام وبمشيئة، وأن معنى متكلم: (ذاتٌ، قامت بها صفة الكلام)، ومن ثم  
 فأممهم مجمعةٌ كذلك عليه.

وكما أن كلامه تعالى لائق به لا يشبه كلام المخلوقين، فكذا صوته لا يشبه  
 أصواتهم؛ لا صوت القارئ ولا غيره، فهو سبحانه متكلم بصوت كما جاءت به  
 الأحاديث الصحاح، وليس الصوت المعين قديمًا، بل هو من جنس آحاد الكلام غير  
 مخلوق، وكذا هي الحروف: قديمة العين، لازمة الذات، ليست متعاقبة، بل لم  
 تزل قائمة مقترنة بذاته لا تُسبق.. فمن شبه الله بخلقه أو جحد ما وصف به  
 نفسه فقد أهدى في أسمائه وآياته.

### **القرآن بمعتقد أهل السنة - والأشعري بعد تراجعه قد صار واحدًا من أئمتهم:- كلام الله تعالى (وإنه لتنزيل رب العالمين):**

كما يؤمن أهل السنة أن القرآن جميعه الذي يقرأه المسلمون والذي في  
 المصحف هو بمجموع حروفه ومعانيه: كلام الله بالحقيقة وهو غير مخلوق.. وأنه  
 ليس من كلام محمد ولا من كلام جبريل، وإنما هو كلام الله تكلم به، وتلقاه  
 جبريل عن الله وبلغه، وتلقاه عنه النبي وبلغه، فهو كلام الله المنزل من عنده،  
 منه بدأ وإليه ينتهي، فمن قال: إن جبريل أخذ من الهواء أو من اللوح  
 المحفوظ، أو إن الله خلقه في شيء وأخذ جبريل من ذلك الشيء فهو: جهمي  
 معتزلي معطل خارج عن الملة، إذ لو كان مخلوقًا أو من كلام غير الله، لاستطاع  
 أحد من الناس أن يأتوا بمثله أو بمثل سورة منه، فلما عجزوا دل ذلك على أنه  
 من كلام الله.

ويؤمنون أنه "كلام الله حقيقة، في المصاحف مكتوب، وفي القلوب محفوظ،  
 وعلى الألسنة مقروء، وعلى النبي منزل، وتلقظنا بالقرآن وأصواتنا به، من



مخلوقًا، ويلزم مَن يُثبت كلام الله مخلوقًا أن يثبت الله غير متكلم ولا قائل، وذلك فاسد، كما يفسد أن يكون علم الله مخلوقًا، وأن يكون الله غير عالم.

فلما كان الله عز وجل لم يزل عالمًا؛ إذ لم يجز أن يكون لم يزل بخلاف العلم موصوفًا، استحال أن يكون لم يزل بخلاف الكلام موصوفًا؛ لأن خلاف الكلام الذي لا يكون معه كلام، هو: سكوت أو آفة، كما أن خلاف العلم الذي لا يكون معه علم: جهل أو شك أو آفة، ويستحيل أن يوصف ربنا عز وجل بخلاف العلم.

وكذلك يستحيل أن يوصف بخلاف الكلام من السكوت والآفات، فوجب لذلك أن يكون لم يزل متكلمًا، كما وجب أن يكون لم يزل عالمًا.

**دليل آخر:** وقال الله تعالى: **﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي﴾** [الكهف: 109]، فلو كانت البحار مدادًا للكتابة لنفدت البحار وتكسرت الأقلام ولم يلحق الفناء كلمات ربي، كما لا يلحق الفناء

أعمالنا المخلوقة، وكتابتنا وقراءتنا له مخلوقة، والقرآن غير مخلوق.. وما ذكره الله في القرآن حكاية عن موسى وغيره، وعن فرعون وإبليس، فإن ذلك كلام الله إخبارًا عنهم، وكلام موسى وغيره من المخلوقين مخلوق، فلما كلم سبحانه موسى كلمه بكلامه الذي هو من صفاته لم يزل، وصفاته كلها خلاف صفات المخلوقين، يعلم لا كعلمنا ويقدر لا كقدرتنا ويرى لا كرؤيتنا ويتكلم لا ككلامنا، كذا بشرح الطحاوية ص 114.

وعبارة البخاري في (خلق أفعال العباد): "حركاتهم وأصواتهم وأكسابهم وكتابتهم مخلوقة، فأما القرآن المتلو المئين المثبت في المصاحف المسطور المكتوب الموعى في القلوب، فهو كلام الله ليس بخلق.. قال ابن راهويه: فأما الأوعية فمن يشك في خلقها؟!، قال تعالى: **﴿وكتاب مسطور. في رق منشور﴾** [الطور: 2، 3]، وقال: **﴿بل هو قرآن مجيد. في لوح محفوظ﴾** [البروج: 22]، فذكر أنه يُحفظ ويُسطر.. فأما المداد والورق ونحوه فإنه خلق، كما تكتب (الله)، فالله في ذاته هو الخالق، وخطك من فعلك وهو خلق، وكان البخاري قد ساق قبل، حديث حذيفة رفعه: "إن الله يصنع كل صانع وصنعه" معلقًا بقوله: "فأخبر أن الصناعات وأهلها مخلوقة" وموضحًا أن كل شيء دون الله هو بضنعه.. "والمحفوظ عن جمهور السلف - كما جاء بالفتح 13/ -463: ترك الخوض في ذلك والتعمق فيه، والاقتصار على القول بأن القرآن: كلام الله وأنه غير مخلوق، ثم السكوت عما وراء ذلك.. وليتهم - أعني الأشاعرة- فعلوا ذلك، إذن لأصابوا مذهب السلف، ولأراحوا واستراحوا، ولما ضلوا الطريق.. نسأل الله أن يبصرنا بعيوننا وأن يهدنا وشيوخنا سبيل الرشاد، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

<sup>1</sup>(?) وأمر الله: كلامه وقوله للشيء (كن)

<sup>1</sup>(?) يعني: وثبت أن الواو فيها للمغايرة، وليست من قبيل عطف الخاص على العام كما قد يتصور في آية البقرة

علم الله تعالى، ومن قَنِيَّ كلامه لحقته الآفات وجرى عليه  
السكوت، فلما لم يجز ذلك على ربنا - سبحانه - صح أنه لم يزل  
متكلمًا؛ لأنه لو لم يكن متكلمًا لوجب السكوت والآفات، تعالى ربنا  
عن قول الجهمية علوًا كبيرًا.



## فصل:

وزعمت الجهمية - كما زعمت النصارى - أن كلمة الله تعالى جواها بطن مريم رضي الله عنها، وزادت الجهمية عليهم فزعمت أن كلام الله مخلوق حل في شجرة، وكانت الشجرة حاوية له؛ فلزمهم أن تكون الشجرة بذلك الكلام متكلمة، ووجب عليهم أن مخلوقاً من المخلوقين كلم موسى عليه السلام، وأن الشجرة قالت: يا موسى إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني<sup>(1)</sup>.

فلو كان كلام الله مخلوقاً في شجرة لكان المخلوق قال: يا موسى إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني، وقد قال تعالى: **ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين** [السجدة: 13] وكلام الله من الله تعالى، فلا يجوز أن يكون كلامه الذي هو منه مخلوقاً في شجرة مخلوقة، كما لا يجوز أن يكون علمه الذي هو منه مخلوقاً في غيره، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

ويقال لهم:

كما لا يجوز أن يخلق الله إرادته في بعض المخلوقات، كذلك لا يجوز أن يخلق كلامه في بعض المخلوقات، ولو كانت إرادة الله مخلوقة في بعض المخلوقات لكان ذلك المخلوق هو المرید لها، وذلك يستحيل، وكذلك يستحيل أن يخلق الله كلامه في مخلوق؛ لأن هذا يوجب أن ذلك المخلوق متكلم به، ويستحيل أن يكون كلام الله كلاماً للمخلوق.

## دليل آخر:

ومما يُبطل قولهم: أن الله قال مخبراً عن المشركين أنهم قالوا: **إن هذا إلا قول البشر** [المدثر: 25] يعني: القرآن.. فمن زعم أن القرآن مخلوق فقد جعله قولاً للبشر، وهذا ما أنكره الله على المشركين.

وأيضاً فلو لم يكن الله متكلماً حتى خلق الخلق ثم تكلم بعد ذلك لكانت الأشياء قد كانت لا عن أمره ولا عن قوله، ولم يكن

<sup>1</sup>(?) وفيه ردُّ على من نحا من متأخري الأشاعرة منحى الجهمية وقال في هذه المسألة بمثل قولهم، فدعاوى الأشعرية على: نفي كلام الله لموسى عليه السلام بالكلية، بزعم أن كلام الله معنى واحد لا يتصور أن يتبعض أو يُسمع.. ودعاوى الماتريدية على: أن حصول ذلك إنما كان بخلقه تعالى الصوت في الهواء.. كبرت كلمة خرجت من أفواههم إن يقولون إلا كذباً، إذ لازم كلامهم إما تكذيب الله في قرآنه، وإما أن الشجرة التي كلم الله موسى عندها هي التي قالت: **إنني أنا ربك** [طه: 12]. **إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري** [طه: 14]، وهل هذا وذاك إلا من الضلال المبين؟

قائلاً لها (كوني).. وهذا رد للقرآن، والخروج عما عليه جمهور أهل الإسلام.

### فصل:

واعلموا - رحمكم الله - أن قول الجهمية: (إن كلام الله مخلوق)، يلزمهم به أن يكون الله تعالى لم يزل كالأصنام التي لا تنطق ولا تتكلم، لو كان لم يزل غير متكلم؛ لأن الله تعالى يخبر عن إبراهيم عليه السلام أنه قال لقومه لما قالوا له: **أأنت فعلت هذا بالهتنا يا إبراهيم. قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون** [الأنبياء: 62-63]، فاحتج عليهم بأن الأصنام إذا لم تكن ناطقة متكلمة لم تكن آلهة، وأن الإله لا يكون غير ناطق ولا متكلم، فلما كانت الأصنام التي لا يستحيل أن يحييها الله ويتنطقها لا تكون آلهة، فكيف يجوز أن يكون من يستحيل عليه الكلام في قديمه إلهًا؟ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.. وإذا لم يجز أن يكون الله في قديمه بمرتبة دون مرتبة الأصنام التي لا تنطق؛ فقد وجب أن يكون الله لم يزل متكلماً.

### دليل آخر:

وقد قال الله تعالى مخبراً عن نفسه، أنه يقول يوم القيامة: **لمن الملك اليوم** [غافر: 16]، وجاءت الرواية<sup>(1)</sup> أنه يقول هذا القول ولا يردُّ عليه أحدٌ شيئاً، فيقول: **لله الواحد القهار** [غافر: 16]، فإذا كان الله قائلاً مع فناء الأشياء - إذ لا إنسان ولا ملك ولا حي ولا جان ولا شجر ولا مدر - فقد صح أن كلام الله خارج عن الخلق؛ لأنه يوجد ولا شيء من المخلوقات موجود.

**دليل آخر:** وقد قال الله تعالى: **وكلم الله موسى تكليماً** [النساء: 164]، والتكليم هو: المشافهة بالكلام<sup>(2)</sup>، ولا

<sup>1</sup>(?) ونصها: (ينادي مناد بين يدي الصيحة: يا أيها الناس أتكم الساعة، فيسمعها الأحياء والأموات، قال: وينزل الله إلى السماء الدنيا فينادي: لمن الملك اليوم.. الحديث)، وقد أخرجه عبد الله بن أحمد في السنة (220)، والحاكم (2/475) واللالكائي في اعتقاد أهل السنة (366) جميعاً من حديث سليمان التيمي عن أبي نصره عن ابن عباس، ورجاله ثقات وسنده صحيح، وله شواهد أخرى <sup>2</sup>(?) وبصوت وحرف ولفظ تليق بجلاله من غير تكيف ولا تعطيل ولا ما يشبه ما للمخلوقين، وإجماع أهل السنة على ذلك خلافاً للأشعرية.

وممن جاء التصريح منهم بإثبات ما سبق في كلامه تعالى: وائل بن داود التيمي التابعي، قال في قوله تعالى: **وكلم الله موسى تكليماً** [النساء: 164]: "مشافهة.. مراراً"، وبنحو من ذلك جاء عن نوح بن أبي مريم، كذا في (السنة) لعبد الله بن الإمام أحمد (546، 547).. وفيها (533، 534) عن أبيه أحمد قوله - لقوم يقولون: (لما كلم الله موسى لم يتكلم بصوت)-: "بلى إن ربك تكلم بصوت، هذه الأحاديث نروها كما جاءت"، وقوله - بعد استشهاده بحديث ابن مسعود (إذا تكلم الله، سُمع له صوت كجّر السلسلة على الصفوان)

يجوز أن يكون كلام المتكلم حالاً في غيره، مخلوقاً في شيء سواه، كما لا يجوز ذلك في العلم.

**دليل آخر:** وقال الله تعالى: **﴿ قل هو الله أحد. الله الصمد. لم يلد ولم يولد. ولم يكن له كفواً أحد ﴾** [سورة الإخلاص]، فكيف يكون القرآن مخلوقاً وأسماء الله في القرآن؟! هذا يوجب أن تكون أسماء الله مخلوقة، ولو كانت أسماءه مخلوقة لكانت وحدانيته مخلوقة، وكذلك علمه وقدرته، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

-: "وهذا، الجهمية تنكره؛ هؤلاء كفار يريدون أن يمؤهوا على الناس، من زعم أن الله لم يتكلم فهو كافر، ألا إنا نروي هذه الأحاديث كما جاءت"، يعني: إثبات بلا كيف.

يقول ابن الموصلي في مختصر صواعق ابن القيم ص 506 بعد أن ذكر: كلام أحمد في حديث ابن مسعود الفائق، وكلام البخاري في أحاديث تكلم الله بالصوت: "فهذان إماما أهل السنة على الإطلاق، وكل أهل السنة والحديث على قولهما، وقد صرح بذلك وحكاه إجماعاً: حرب بن إسماعيل صاحب أحمد وإسحاق، وصرح به ابن أصرم النسائي، وابن حاتم المصيصي، وأبو داود السجستاني صاحب السنن، وابنه أبو بكر، وقد احتج الإمام أحمد بحديث ابن مسعود وغيره، وأخبر أن المنكرين لذلك هم الجهمية"، وكان ابن القيم قد ساق المزيد من الأحاديث المثبتة للصوت، وذكر إنكار أحمد والبخاري لمن نفي الصوت والحرف، وأنهما قد ساقا في ذلك الأحاديث، كما ذكر تصريح ابن القاسم صاحب مالك في رسالته في السنة: من أن الله يتكلم بصوت، وتصريح ابن سالم شيخ سهل التستري، وابن خزيمة، والسيجزي، والطمنكي.

وعن أحمد من رواية يعقوب بن بختان قوله - وقد سئل عن زعم أن الله لم يتكلم بصوت؟ -: "بلى يتكلم بصوت"، كذا في طبقات الحنابلة 1/ 415.. وأخرج خلال عن المروزي قال: "سمعت أحمد - وقد قيل له: إن عبد الوهاب قد تكلم وقال: (من زعم أن الله كلم موسى بلا صوت فهو جهمي، عدو الله وعدو الإسلام)- فتبسم الإمام أحمد وقال: (ما أحسن ما قال! عافاه الله).. وقال أبو يعلى في (المسائل والرسائل): "وقد نص أحمد في رواية الجماعة على إثبات الصوت".. كما ذكر التميمي في اعتقاد أحمد ص 124 قوله: "وأن الله تكلم بالصوت والحرف".

وممن أثبت الحرف والصوت الحارث المحاسبي ت 243، نقل ذلك عنه الكلاباذي في كتابه (التعرف لمذهب أهل التصوف)، وفيه في الباب العاشر ص 53 تحت عنوان (اختلافهم في الكلام ما هو؟)، ما نصه: "وقالت طائفة منهم: كلام الله حرف وصوت، وأنه لا يُعرف كلامه إلا بذلك، مع إقرارهم أنه صفة لله في ذاته غير مخلوق، وهذا قول الحارث المحاسبي" إ.هـ.

ولالإمام البخاري ت 256 في (خلق أفعال العباد) ما نصه: "ويُذكر عن النبي ﷺ: أن الله ينادي بصوتٍ يسمعه من بُعد كما يسمعه من قُرب، فليس هذا لغير الله"، قال: "وفي هذا دليل أن صوت الله لا يشبه أصوات الخلق، لأن صوت الله يُسمع من بُعد كما يُسمع من قرب، وأن الملائكة يصعقون من صوته، فإذا نادى الملائكة لم يصعقوا، وقال تعالى: **﴿ فلا تجعلوا لله انداداً ﴾** [البقرة: 22]،

**دليل آخر:**

وقد قال الله تعالى: **تبارك اسم ربك** [الرحمن: 78] ولا يقال لمخلوق (تبارك)، فدل هذا على أن أسماء الله غير مخلوقة. وقال: **ويبقى وجه ربك** [الرحمن: 27].. فكما لا يجوز أن يكون وجه ربنا مخلوقًا، فكذلك لا يجوز أن تكون أسماؤه مخلوقة.

**دليل آخر: وقد قال الله تعالى: شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائمًا بالقسط** [آل عمران:

فليس لصفة الله ند ولا مثل، ولا يوجد شيء من صفاته في المخلوقين "إ.هـ. وللإمام ابن سريج ت303 فيما نقله عنه ابن القيم في اجتماع الجيوش ص174، قوله - بعد أن سرد جملة من صفات الله الثابتة له في القرآن والسنة، وذكر (المحيء والإتيان والفوقية) وغيرها-: "وإثبات الكلام بالحرف والصوت وباللغات والكلمات والسور".

ونذكر ممن نص على هذا: البربهاري إمام أهل السنة في عصره ت329، قال في كتابه شرح السنة: "والقرآن كلام الله وتنزله ونوره، وليس بمخلوق، لأن القرآن من الله وما كان من الله فليس بمخلوق، هكذا قال مالك وأحمد والفقهاء قبلهما وبعدهما"، ثم ذكر أن من السنة: "الإيمان بأن الله هو الذي كلم موسى يوم الطور، وموسى يسمع من الله الكلام بصوت وقع في مسامعه منه، لا من غيره، فمن قال غير هذا فقد كفر بالله العظيم".

**أئمة أهل السنة بمختلف العصور المتعاقبة على إثبات الحرف والصوت :**

وللأجري الإمام الحافظ الشافعي ت360 قوله في الشريعة ص288: "من زعم أن الله لم يكلم موسى فقد رد نص القرآن وكفر بالله العظيم، فإن قال منهم قائل: إن الله خلق كلامًا في الشجرة فكلم به موسى، قيل له: هذا هو الكفر، لأنه يزعم أن الكلام مخلوق وأن مخلوقًا يدعى الربوبية، وهذا من أفح القول وأسمجه، وقيل له: يا ملحد، هل يجوز لغير الله أن يقول: (إنني أنا الله)؟، نعوذ بالله أن يكون قائل هذا مسلمًا، هذا كافر يستتاب فإن تاب ورجع عن مذهبه السوء وإلا قتلته الإمام، فإن لم يقتله الإمام ولم يستتبه وعلم منه أن هذا مذهبه، هجر ولم يكلم ولم يستلم عليه، ولم يصل خلفه، ولم تقبل شهادته، ولم يزوجه مسلم كريمة.. ويقول شيخ الإسلام الهروي ت481، في كتابه (ذم الكلام وأهله) 5/ 136 - كالمستنكر على الأشاعرة نفيهم للحرف والصوت:- "ثم قالوا ليس له صوت ولا حروف".

وللأصبهاني إمام الشافعية في وقته ت535، في كتابه (الحجة) 2/ 515 - وبنحوه 2/ 312- وتحت عنوان: (الدليل على أن القرآن منزل وأنه ما يقرؤه القارئ - خلًا لمن يقول: كلام الله ليس بمنزل ولا حرف ولا صوت) -: قوله معلقًا: "إن قيل: (المتكلم بحرف وصوت يحتاج إلى أدوات الكلام)، فقل: (عدم أداة الكلام لا يمنع من ثبوت الكلام، كما أن عدم آلة العلم لا يمنع من ثبوت العلم)".. ثم ذكر "قوله تعالى: **حتى يسمع كلام الله** [التوبة: 6]، والمسموع إنما هو الحرف والصوت، لأن المعنى لا يُسمع، بل يُفهم، يقال في اللغة: (سمعتُ الكلام وفهمتُ

[18] ولا بد أن يكون شهد بهذه الشهادة، وسمعتها من نفسه؛ لأنه إن كان سمعتها من مخلوق فليست شهادة له، وإذا كانت شهادة له وقد شهد بها فلا يخلو أن يكون شهد بها قبل كون المخلوقات؛ أو بعد كون المخلوقات.

فإن كان شهد بها بعد كون المخلوقات؛ فلم يسبق شهادته لنفسه بإلهية الخلق، وكيف يكون ذلك كذلك؟ وهذا يوجب أن التوحيد لم يكن يشهد به شاهد قبل الخلق، ولو استحالت الشهادة بالوحدانية قبل كون الخلق لاستحال إثبات التوحيد ووجوده، وأن يكون واحدًا قبل الخلق؛ لأن ما يستحيل الشهادة عليه فمستحيل..

(المعنى)، فلما قال: (حتى يسمع)، دل على أنه حرف وصوت.. وقوله: **﴿وإذ صرفنا إليك نفرًا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا﴾** [الأحقاف: 29]، وإنما يُنصت إلى الحروف والأصوات.. وقوله: **﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن﴾** [الإسراء: 88]، وهذا عند جميع أهل اللغة إشارة إلى شيء حاضر، وما في النفس لا يصح الإشارة إليه، ولأن الله قد تحدى العرب بأن يأتوا بمثله، ولا يتحداهم إلا بما سمعوه من الحرف والصوت".إ.هـ.

وقد سبق أن ذكرنا له قوله في الحجة 1/ 429: "القرآن كلام الله منزل غير مخلوق، منه بدا وإليه يعود، تكلم به في القدم بحرفٍ وصوت، حرفٌ يُكتب وصوتٌ يُسمع ومعنىٌ يُعلم، وقالت المعتزلة: القرآن مخلوق، وقالت الأشعرية: كلام الله ليس بحرف ولا صوت، وإنما هو معنى قائم في نفسه لم ينزل على نبينا ولا على غيره، وما نقرأه هو عندهم مخلوق، فالدلالة على بطلان قول المعتزلة - وكذا الأشعرية النافين عن كلامه تعالى اللفظ، والمنكرين أن يكون بصوت وحرف -:

قوله تعالى: **﴿إنما أمرنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون﴾** [النحل: 40]، فأخبر تعالى أنه كوّن الأشياء بـ (كن)، فلو كانت (كن) مخلوقة لاحتاجت إلى (كن) أخرى تُخلق بها، وأخرى إلى أخرى إلى مالا نهاية، فيُفْضَى إلى قِدَم المخلوقات.. وقوله: **﴿وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله﴾** [التوبة: 6]، والمسموع إنما هو الحرف والصوت لا المعنى، ولأن الاستجارة إنما حصلت للمشركين بشرط استماع كلام الله، فلو كان ما سمعوه من النبي ليس بكلام الله لم تحصل الاستجارة لهم.. وقوله: **﴿فلما أتاهم نودي من شاطئ الواد الأيمن﴾** [القصص: 30]، والنداء عند جميع أهل اللغة لا يكون إلا بحرف وصوت"، إلى أن قال: "وقد أجمع أهل العربية أن ما عدا الحروف والأصوات ليس بكلام حقيقة".. إلى آخر ما سبق أن نقلناه عنه في مقدمة الكتاب.

وفي قصة حكاها الذهبي في العلو ص 194 عن مناظرة جرت بين الإمام القدوة أبي البيان محمد بن محفوظ اللغوي ت 551 ورجل يُدعى ابن تميم، قال له الشيخ بعد كلام جرى بينهما: "وَيْحَكَ؛ الحنابلة إذا قيل لهم: (ما الدليل على أن القرآن بحرف وصوت؟)، قالوا: (قال الله كذا وقال رسوله كذا.. وسرد الشيخ الآيات والأخبار)، وأنتم إذا قيل لكم: (ما الدليل على أن القرآن معنى قائم في النفس؟)، قلت: (قال الأخطل: إن الكلام لفي الفؤاد)؛ ما هذا الأخطل؟! نصراني خبيث، بنيتم مذهبكم على بيت شعر من قوله وتركتم الكتاب والسنة!".

وإن كانت شهادته لنفسه قبل الخلق بالتوحيد فقد بطل أن يكون كلام الله تعالى مخلوقًا؛ لأن كلام الله شهادته.

### دليل آخر:

ومما يدل عليه بطلان قول الجهمية، وأن القرآن كلام الله غير مخلوق: أن أسماء الله من القرآن، وقد قال الله - سبحانه -:  
 □ **سبح اسم ربك الأعلى. الذي خلق فسوى** □ [الأعلى: 1-2]  
 □ **ولا يجوز أن يكون** □ **سبح اسم ربك العلى. الذي خلق فسوى** □ مخلوقًا، كما لا يجوز أن يكون (جد ربنا) مخلوقًا، قال

علق الذهبي يقول: "نعم.. يكفي المسلم - في مسألة الكلام- أن يؤمن بالقرآن العظيم وأنه كلام الله غير مخلوق، وأنه عين ما تكلم به، فهو منشيه ومبتديه، مع اعترافنا بأن تلاوتنا له وأصواتنا وتلفظنا به مخلوق، وتكلم الرب به صفة من صفاته التي من لوازم ذاته المقدسة، فلا يُعلم كيفية ذلك، وكلمات الله لا تنفذ ولو كان البحر مدادًا لها ويمده من بعده سبعة أبحر، فكلامه من علمه وعلمه لا يتناهى، فلا نحيط بشيء من علمه إلا بما شاء" إ.هـ.

ولأبي محمد عبد القادر الجيلاني ت 561 في كتابه الغنية ص 77 وما بعدها، قوله - بعد حديث مستفيض عن صفة الكلام وأن القرآن غير مخلوق -: "ونعتقد أن القرآن حروف مفهومة وأصوات مسموعة، لأن بها يصير الأخرس والساكت متكلمًا ناطقًا، وكلام الله لا ينفك عن ذلك، فمن جحد ذلك فقد كابر حسه وعميت بصيرته، قال الله تعالى: □ **الم** □، □ **حم** □، □ **طسم تلك آيات الكتاب** □ [الشعراء: 1] فقد ذكر حروفًا وكنى عنها بالكتاب.. إلى أن قال بعد أن ساق الأدلة على كل هذا: "وهذه الآيات والأخبار تدل على أن لكلام الله صوت لا كصوت آدميين.. وكما أن علمه وقدرته وبقيه صفاته لا تشبه صفات الآدميين، فكذلك صوته، وقد نص أحمد على إثبات الصوت في رواية جماعة من الأصحاب خلاف ما قالت الأشعرية من أن كلام الله معنى قائم بنفسه، والله حسيب كل مبتدع ضال، فالله لم يزل متكلمًا وقد أحاط بكلامه بجميع معاني الأمر والنهي والاستخبار".

وممن أثبت الصوت والحرف في كلام الله منزهاً الله عن الشبيه: تقي الدين عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي ت 600، قال في كتابه (الاقتصاد في الاعتقاد): "ونعتقد أن الحروف المكتوبة والأصوات المسموعة: عين كلام الله لا حكاية ولا عبارة.. ومن أنكر أن يكون حروفًا فقد كابر وأتى بالبهتان، وروى الترمذي من طريق ابن مسعود: (من قرأ حرفًا من كتاب الله فله عشر حسنات)".. ثم ساق الأدلة في ذلك إلى أن قال: "وأجمع أئمة السلف والمقتدى بهم من الخلف على أنه غير مخلوق، ومن قال: (مخلوق)، فهو كافر"، قال: "وقول القائل بأن الحرف والصوت لا يكون إلا من مخارج: باطل ومحال، قال تعالى: □ **يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد** □ [ق: 30]، وقال إخبارًا عن السماء والأرض: □ **أتينا طائعين** □ [فصلت: 11]، فحصل القول من غير مخارج ولا أدوات.. وشيخ حنابلة عصره أبو الفرج المقدسي ت 682، قال في (جزء في امتحان السني من البدعي): "أهل السنة والجماعة - السلف الصالح وأئمة المسلمين- يعتقدون: أن الله تكلم بالقرآن بحرف وصوت، سمعه منه جبريل، ومحمد عليهما السلام سمعه من جبريل بصوت جبريل، والصحابة سمعوا القرآن

الله تعالى: قال تعالى: **وأنه تعالى جد ربنا** [الجن: 3]، وكما لا يجوز أن تكون عظمته مخلوقة كذلك لا يجوز أن يكون كلامه مخلوقًا.

**دليل آخر:** وقد قال الله تعالى: **وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء** [الشورى: 51] فلو كان كلام الله لا يوجد إلا مخلوقاً في شيء مخلوق؛ لم يكن لاشتراط هذه الوجوه معنى؛ لأن الكلام قد سمعه جميع الخلق ووجدوه - بزعم الجهمية - مخلوقاً في غير الله تعالى، وهذا يوجب إسقاط مرتبة النبيين صلوات الله عليهم أجمعين.

ويجب عليهم إذا زعموا أن كلام الله لموسى خلقه في شجرة<sup>(1)</sup>؛ أن يكون من سمع كلام الله عز وجل من ملك أو من نبي أتى به من عند الله، أفضل مرتبة من سماع الكلام من موسى؛ لأنهم سمعوه من نبي ولم يسمعه موسى من الله عز وجل، وإنما سمعه من شجرة، وأن يزعموا أن اليهودي إذا سمع كلام الله من النبي أفضل مرتبة في هذا المعنى من موسى عليه السلام؛ لأن اليهودي سمعه من نبي من أنبياء الله، وموسى سمعه مخلوقاً في شجرة، ولو كان مخلوقاً في شجرة لم يكن مكلماً لموسى من وراء حجاب؛ لأن من حضر الشجرة من الجن والإنس

من النبي بصوته، فالكلام المتلو هو كلام الله، وأما الصوت فهو صوت القارئ، لذا قال السلف: (الكلام كلام الباري والصوت صوت القاري)". وكذا الحافظ ابن رجب الحنبلي ت795، قال في رده على من أنكر على الحافظ عبد الغني المقدسي إثباته الصوت لله، وأن هذا مخالف لمعتقد الإمام أحمد: "وأما إنكار إثبات الصوت عن الإمام الذي ينتمي إليه الحافظ، فمن أعجب العجب، وكلامه - أي: أحمد- في إثبات الصوت كثير جدًّا، ثم ذكر الآثار في ذلك، كذا في الذيل على طبقات الحنابلة 2/ 24.. ومن قبله ابن أبي العز الحنفي ت792، قال في شرح الطحاوية ص107 وقد ذكر افتراق الناس في مسألة الكلام على تسعة أقوال، قال:

"وتاسعها: أنه تعالى لم يزل متكلماً إذا شاء ومتى شاء وكيف شاء، وهو متكلم به بصوت يُسمع، وإن نوع الكلام قديم وإن لم يكن صورة المعين قديماً، وهو المأثور عن أئمة الحديث والسنة"، وقد نقله ملا على القاري ولم يُتبعه بشيء. بل إنه "لم يُنقل عن أحد من أئمة السلف أنه قال: إن الله يتكلم بلا صوت أو بلا حرف، ولا أنه أنكر أن يتكلم الله بصوت أو بحرف، كما لم يقل أحد منهم: إن الصوت الذي سمعه موسى قديم، ولا أن ذلك النداء قديم، ولا قال أحد منهم: إن هذه الأصوات المسموعة من القراء هي الصوت الذي تكلم الله به، بل الآثار مستفيضة عنهم بالفرق بين الصوت الذي يتكلم الله به وبين أصوات العباد" كذا نص عليه ابن قزار في رسالته (الأشاعرة في ميزان أهل السنة) ص483

<sup>1</sup>(?) وقد ادعت ذلك تبعاً للجهمية وتبنته: طائفة الماتريدية.

قد سمعوا الكلام من ذلك المكان، وكان سبيل موسى وغيره في ذلك سواء في أنه ليس كلام الله له من وراء حجاب.

### مسألة:

ثم يقال لهم: إذا زعمتم أن معنى أن الله ُ كلم موسى أنه خلق كلامًا كلمه به في الشجرة وقد خلق الله عندكم في الذراع كلامًا؛ لأن الذراع قالت لرسول الله ﷺ: (لا تأكلني فإني مسمومة)<sup>(1)</sup>، فيلزمكم أن ذلك الكلام الذي سمعه النبي ﷺ كلام الله تعالى، فإن استحال أن يكون الله تكلم بذلك الكلام المخلوق، فما أنكرتم من أنه يستحيل أن يخلق الله عز وجل كلامه في شجرة؛ لأن الكلام المخلوق لا يكون كلامًا لله.

فإن كان كلام الله وكان معنى أن الله تكلم عندكم: أنه خلق الكلام؛ فيلزمكم أن يكون الله متكلمًا بالكلام الذي خلقه في الذراع، فإن أجابوا إلى ذلك؛ قيل لهم: فالله تعالى على قولكم هو القائل: (لا تأكلني فإني مسمومة).. تعالى الله عن قولكم وافترائكم عليه علوًا كبيرًا.

**وإن قالوا:** لا يجوز أن يكون كلام الله مخلوقًا في ذراع، **قيل لهم:** وكذلك لا يجوز أن يكون كلام الله مخلوقًا في شجرة.

ثم يُسألون عن الكلام الذي أنطق الله تعالى به الذئب لما أخبر عن نبوة النبي ﷺ.. فيقال لهم: إذا كان الله عز وجل يتكلم بكلام خلقه في غيره، فما أنكرتم أن يكون الكلام الذي سمعه من الذئب كلامًا لله؛ ويكون إعجازه يدل على أنه كلام الله، وفي هذا ما يجب عليهم أن الذئب لم يتكلم به، وأنه كلام الله تعالى؛ لأن كون الكلام من الذئب معجز؛ كما أن كونه من الشجرة معجز؛ فإن كان الذئب متكلمًا بذلك الكلام المنقول، فما أنكرتم أن الشجرة متكلمة بالكلام إن كان خلق في الشجرة، وأن يكون المخلوق فيه قال: (يا موسى إني أنا الله).. تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

**ثم يقال لهم:** إذا كان كلام الله عز وجل مخلوقًا في غيره عندكم، فما يؤمّنكم أن يكون كل كلام تسمعون مخلوقًا في شيء، وهو حق.. أن يكون كلامًا لله - سبحانه -؟ **فإن قالوا:** لا تكون الشجرة متكلمة؛ لأن المتكلم لا يكون إلا حيًا.. **قيل لهم:** ولا يجوز خلق الكلام في شجرة؛ لأن من خلق الكلام فيه لا يكون إلا حيًا، فإن جاز أن يخلق الكلام فيما ليس بحيٍّ فلم لا يجوز أن يتكلم من ليس بحيٍّ.

<sup>1</sup>(?) الحديث رواه البخاري (2617) ومسلم (2190) وأبو داود (4512) وأحمد (305 /1).

**ويقال لهم:** لِمَ لا قلتُم: إنه يقول من ليس بحي؛ لأن الله عز وجل أخبر أن السماوات والأرض: **قالنا أتينا طائعين** [فصلت: 11].

مسألة:

**ثم يقال لهم:** أليس قد قال الله ﷻ لإبليس: **وإن عليك لعنتي إلى يوم الدين** [ص: 78]؟.. فلا بد من نعم.. **قيل لهم:** فإذا كان كلام الله مخلوقاً وكانت المخلوقات فانيات؛ فيلزمكم إذا أفنى الله عز وجل الأشياء أن تكون اللعنة على إبليس قد فنيت، فيكون إبليس غير ملعون، وهذا ترك لدين المسلمين، ورُدُّ لقوله تعالى: **وإن عليك لعنتي إلى يوم الدين** [ص: 78].

وإذا كانت اللعنة باقية على إبليس إلى يوم الدين - وهو يوم الجزاء، وهو يوم القيامة - لأن الله تعالى قال: **مالك يوم الدين** [الفتح: 4] يعني: يوم الجزاء، ثم هي أبداً في النار، واللعنة كلام الله وهو قوله: (عليك لعنتي).. فقد وجب أن يكون الله ﷻ لا يجوز عليه الفناء، وأنه غير مخلوق؛ لأن المخلوقات يجوز عليها العدم، فإذا لم يجز ذلك على كلام الله عز وجل فهو غير مخلوق.

**ثم يقال لهم:** إذا كان (غضب الله) غير مخلوق، وكذلك (رضاه وسخطه)، فلم لا قلتُم إن (كلامه) غير مخلوق؟ ومن زعم أن غضب الله مخلوق لزمه أن غضب الله وسخطه على الكافرين يفنى، وأن رضاه عن الملائكة والنبيين يفنى، حتى لا يكون راضياً عن أوليائه ولا ساخطاً على أعدائه، وهذا هو الخروج عن الإسلام<sup>(1)</sup>.

(1) كل هذا وما سبقه وما سيلحق به، على نحو ما هو رُدُّ مفحم على الجهمية والمعتزلة، هو كذلك رُدُّ مفحم على الأشعرية الذين عطلوا صفة كلامه تعالى اللفظي



**مسألة:**

**ويقال:** خبرونا عن قول الله تعالى: **﴿إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون﴾** [النحل: 40]... أتزعمون أن قوله للشيء: (كن) مخلوق، مرادًا لله؟.. فإن قالوا: لا، قيل لهم: فما أنكرتم أن يكون كلام الله الذي هو القرآن غير مخلوق، كما زعمتم أن قول الله للشيء: (كن) غير مخلوق.

**وإن زعموا** أن قول الله للشيء: (كن) مخلوق.. **قيل لهم:** فإذا زعمتم أنه مخلوق، مرادًا؛ فقد قال الله عز وجل: **﴿إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون﴾** [النحل: 40]؛ فيلزمكم أن قوله تعالى للشيء: (كن) قال له: (كن).. وفي هذا ما يجب أحد أمرين:

إما أن يكون قول الله لغيره: (كن) غير مخلوق، أو يكون لكل قول قول لا إلى غاية وذلك محال.. فإن قالوا: إن لله قولًا غير مخلوق.. قيل لهم: فما أنكرتم أن تكون إرادة الله للإيمان غير مخلوقة.

**ثم يقال لهم:** ما العلة التي إنما قلت إن قول الله للشيء: (كن) غير مخلوق؟.. فإن قالوا: لأن القول لا يقال له: (كن).. فيقال لهم: القرآن غير مخلوق؛ لأنه قول الله، والله لا يقول لقوله: (كن).

**مسألة في الرد على الجهمية:**

**ويقال لهم:** أليس لم يزل الله عالمًا بأوليائه وأعدائه؟.. فلا بد من نعم.

**قيل لهم:** فهل تقولون إنه لم يزل مريدًا للتفرقة بين أوليائه وأعدائه؟ فإن قالوا: (نعم)، قيل لهم: فإذا كانت إرادة الله لم تزل فهي غير مخلوقة، وإذا كانت إرادته غير مخلوقة فلم لا قلت إن كلامه غير مخلوق؟

وإن قالوا: (لا)، نقول: لم يزل مريدًا للتفرقة بين أوليائه وأعدائه، زعموا أن الله لا يريد التفرقة بين أوليائه وأعدائه، ونسبوه - سبحانه - إلى النقص؛ تعالى عن قول القدرة علوًا كبيرًا.

**مسألة:**

**ويقال لهم:** إن الشيء المخلوق إما أن يكون بدئيًا من الأبدان، شخصيًا من الأشخاص؛ أو يكون نعتيًا من نعوت الأشخاص. فلا يجوز أن يكون كلام الله شخصيًا؛ لأن الأشخاص يجوز عليها الأكل والشرب والنكاح، ولا يجوز ذلك على كلام الله تعالى.. ولا يجوز أن يكون كلام الله نعتيًا لشخص مخلوق؛ لأن النعوت لا تبقى



طرفة عين؛ لأنها لا تحتمل البقاء، وهذا يوجب أن يكون كلام الله قد فني ومضى.

فلما لم يجوز أن يكون شخصًا ولا نعتًا لشخص لم يجوز أن يكون مخلوقًا، على أن الأشخاص يجوز أن تموت.. فمن يثبت كلام الله شخصًا مخلوقًا لزمه أن يجوز الموت على كلام الله عز وجل، وذلك ما لا يجوز.

وأيضًا فلا يجوز أن يكون كلام الله مخلوقًا في شخص مخلوق، كما لا يجوز أن يكون نعتًا لشخص مخلوق، ولو كان مخلوقًا في شخص ككلام الإنسان مفعولاً فيه، كان لا يمكن التفريق بين كلام الله وكلام الخلق إذا كانا مخلوقين في شخص مخلوق، كما لا يجوز أن يكون علمه مخلوقًا في شخص مخلوق.

ويقال لهم أيضًا: لو كان كلام الله مخلوقًا لكان جسمًا أو نعتًا لجسم، ولو كان جسمًا لجاز أن يكون متكلمًا، والله قادر على قلبهما، وفي هذا ما يلزمهم، ويجب عليهم أن يجوزوا أن يقلب الله القرآن إنسانًا أو جنيًا أو شيطانًا، تعالى الله عز وجل أن يكون كلامه كذلك.

ولو كان نعتًا لجسم كالنعوت؛ فالله قادر على أن يجعلها أجسامًا، فكان يجب على الجهمية أن يجوزوا أن يجعل الله القرآن جسمًا متجسدًا، يأكل ويشرب، وأن يجعله إنسانًا ويميته، وهذا ما لا يجوز على كلام الله، تعالى عن ذلك.



## الفصل الثاني

### في ذكر الرواية في القرآن

**قال أبو بكر<sup>(1)</sup>**: أتيت أنا والعباس بن عبد العظيم العنبري<sup>(2)</sup>، أبا عبد الله أحمد بن حنبل؛ فسأل العباسُ أبا عبد الله أحمد بن حنبل - رحمه الله - فقال له: قوم هاهنا قد حَدَّثُوا؛ يقولون: (القرآن لا مخلوق ولا غير مخلوق)<sup>(3)</sup>.. فقال: هؤلاء أضر على الناس من الجهمية الذين يقولون: (ويلكم!) فإن لم تقولوا ليس بمخلوق فقولوا: (مخلوق).. قال أبو عبد الله: هؤلاء قوم بسوء.. فقال العباس: ما تقول يا أبا عبد الله؟! فقال: (الذي أعتقد وأذهب إليه ولا أشك فيه: أن القرآن غير مخلوق).

ثم قال: (سبحان الله ومن يشك في هذا؟!). ثم تكلم أبو عبد الله مستعظماً للشك في ذلك، فقال: سبحان الله أفي هذا شك؟! قال الله سبحانه وتعالى: **﴿ألا له الخلق والأمر﴾** [الأعراف: 54]، وقال: **﴿الرحمن. علم القرآن. خلق الإنسان﴾** [الرحمن: 1-3]، ففَرَّقَ بين الإنسان وبين القرآن، فقال: (علم) (خلق).. فجعل يعيدها (علم) (خلق)؛ أي فَرَّقَ بينهما!.

<sup>1</sup>(?) يبدو أنه أبو بكر بن عياش بن سالم الأسدي الكوفي الحنط المقرئ، مولى واصل الأحذب، قيل: اسمه محمد، وقيل: شعبة، وقيل غير ذلك، والصحيح: أن اسمه كنيته.. روى عن: أبيه، وأبي إسحاق السبيعي، وأبي حصين عثمان بن عاصم، وعبد العزيز بن رفيع، وغيرهم.. وروى عنه: سفیان الثوري وأحمد وابن معين وابنا أبي شيبة والوراق وغيرهم.. كان إمامًا كبيرًا عالمًا عاملاً حجة من كبار أهل السنة، وكان يقول: (من زعم أن القرآن مخلوق فهو عندنا كافر زنديق عدو لله لا نجالسه ولا نكلمه).. ت193.

<sup>2</sup>(?) هو من أهل الاتباع وقد عاصر محنة الإمام أحمد في فتنة خلق القرآن، وواضح من كلام الأشعري أنه ممن حرصوا على توضيح كل ما يتعلق بمسألة خلق القرآن وأنه ممن دافعوا عن مذهب السلف في هذه القضية.. ينظر الإبانة د: فوقية توفيق ص292.

<sup>3</sup>(?) هم الواقفة، وهم فرقة ضالة من فرق الجهمية وقفت وشككت في كلام الله وقالت: (لا نقول مخلوق ولا غير مخلوق).. وقد رَدَّ عليهم الإمام أحمد كما في (السنة) من رواية الخلال (1799) بقوله - عندما سُئِلَ عما يعتقدونه -: "هم أشدّ تريبًا -أي: تزيينًا- على الناس من الجهميّة، وهم يشككون الناس، وذاك أنّ الجهميّة قد بان أمرهم، وهؤلاء إذ قالوا عن الله: (لا يتكلم)، استمالوا العامّة، إنما هذا يصير إلى قول الجهميّة".." وبقوله بحق من قال: (القرآن كلام الله) ويسكت: "هذا شاك، لا!؛ حتى يقول: غير مخلوق"، وقوله: "من شك فقد كفر"، وقوله: "فلسنا نشك أن أسماء الله غير مخلوقة، ولسنا نشك أن علم الله غير مخلوق، والقرآن من علم الله وفيه أسماء الله، لا نشك أنه غير مخلوق وهو كلام الله، ولم يزل الله متكلمًا" كذا في الإبانة لابن بطة 3/ 322، وغيره.

**قال أبو عبد الله:** والقرآن علم الله، ألا تراه يقول: (علم القرآن) والقرآن فيه أسماء الله عز وجل، أي شيء يقولون؟ ألا يقولون: (إن أسماء الله غير مخلوقة، لم يزل الله قديراً عليماً عزيزاً حكيمًا سميعًا بصيرًا)؟، لسنا نشك أن أسماء الله عز وجل غير مخلوقة، لسنا نشك أن علم الله عز وجل غير مخلوق، فالقرآن من علم الله وفيه أسماء الله، فلا نشك أنه غير مخلوق، وهو كلام الله عز وجل، ولم يزل به متكلمًا.

**ثم قال:** وأي كافر أكفر من هذا؟ وأي كافر أشر من هذا؟ إذا زعموا أن القرآن مخلوق فقد زعموا أن أسماء الله مخلوقة، وأن علم الله مخلوق، ولكن الناس يتهاونون بهذا ويقولون، إنما يقولون: القرآن مخلوق ويتهاونون به ويظنون أنه هين، ولا يدرون ما فيه وهو الكفر، وأنا أكره أن أبوح بهذا لكل أحد، وهم يسألون وأنا أكره الكلام في هذا، فبلغني أنهم يدعونني أني أمسك.

**فقلت له:** فمن قال القرآن مخلوق ولا يقول إن أسماء الله مخلوقة ولا علمه ولم يزد على هذا، أقول: هو كافر؟.. فقال أحمد: هكذا هو عندنا.

**ثم قال أبو عبد الله:** نحن لا<sup>(1)</sup> نحتاج أن نشك في هذا القرآن، عندنا فيه أسماء الله وهو من علم الله، فمن قال: إنه مخلوق فهو عندنا كافر.

فجعلت أردد عليه، فقال لي العباس - وهو يسمع - سبحان الله أما يكفيك دون هذا.. فقال أبو عبد الله: بلى.

وذكر الحسين بن عبد الأول، قال: سمعت وكيعًا يقول: من قال: القرآن مخلوق فهو مرتد يستتاب، فإن تاب وإلا قتل.

وذكر محمد بن الصباح البزار<sup>(2)</sup>، قال: حدثنا علي بن الحسين بن شعبان، قال: سمعت ابن المبارك يقول: إنا نستطيع أن نحكي كلام اليهود والنصارى، ولا نستطيع أن نحكي كلام الجهمية.

قال محمد: نقول: نخاف أن نكفر ولا نعلم.

وذكر هارون بن إسحاق الهمداني<sup>(3)</sup> عن أبي نعيم، عن سليمان بن عيسى القاري<sup>(4)</sup>، عن سفيان الثوري رحمه الله قال: قال لي حماد بن أبي سليمان: أبلغ أبا حنيفة أني منه بريء؟ قال سليمان: ثم قال سفيان؛ لأنه كان يقول القرآن مخلوق.. وحاشي

<sup>1</sup>(?) ورد في بعض مخطوطات الكتاب بدون ذكر (لا) هذه.. فيكون الكلام على الاستفهام الذي يفيد النفي

<sup>2</sup>(?) الدولابي، ويكنى بأبي جعفر وكان قد نزل باب الكرخ ومات سنة 227 ينظر طبقات ابن سعد 7 / 342 والتاريخ الكبير للبخاري 10 / 118.

<sup>3</sup>(?) روى عن محمد بن عبد الوهاب أخي فضيل بن عبد الوهاب.. ينظر الطبقات الكبرى لابن سعد 7 / 249.

<sup>4</sup>(?) من المحدثين ورد ذكره في التاريخ الكبير للبخاري 4 / 30، وينظر الإبانة بتحقيق د. فوقية 2/294، وينظر هنالك بقية تراجم من ذكرهم الأشعري.

الإمام الأعظم أبو حنيفة - رحمه الله - من هذا القول، بل هو زور وباطل، فإن أبا حنيفة من أفضل أهل السنة<sup>(1)</sup>.  
 وذكّر سفيان بن وكيع قال: سمعت عمر بن حماد بن أبي سليمان قال: أخبرني أبي قال: الكلام الذي استتاب فيه ابن أبي ليلى أبا حنيفة هو قوله: (القرآن مخلوق)، قال: فتاب منه وطاف به في الخلق، قال أبي: فقلت له كيف صرت إلى هذا؟ قال: خفت والله أن يقدم عليّ فأعطيته التقيّة.

وذكر هارون بن إسحاق قال: سمعت إسماعيل بن أبي الحكم يذكّر عن عمر بن عبيد الطنافسي أن حماد - يعني ابن أبي سليمان - بعث إلى أبي حنيفة: (أني بريء مما تقول، إلا أن تتوب)، وكان عنده ابن أبي عقبة، قال: فقال: أخبرني جارك أن أبا حنيفة دعاه إلى ما استتيب منه بعد ما استتيب.. وهذا كذب محض على أبي حنيفة رحمه الله.. وذكّر عن أبي يوسف قال: ناظرت أبا حنيفة رحمه الله شهرين حتى رجع عن خلق القرآن.

وقال سليمان بن حرب: القرآن غير مخلوق، وأخذته من كتاب الله تعالى، قال الله تعالى: **ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم** [آل عمران: 77] وكلام الله ونظره واحد، يعني غير مخلوق.

وذكر الحسين بن عبد الأول، قال: حدثنا محمد بن الحسن ابن أبي يزيد الهمداني عن عمرو بن قيس الملائي، عن أبي قيس المديني، عن عطية، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: (فضل كلام الله عز وجل على سائر الكلام كفضل الله على خلقه)<sup>(2)</sup>، فهذا يُثبت أن القرآن كلام الله عز وجل وما كان كلاماً لله لم يكن خلقاً لله، وقد بين الله أن القرآن كلامه بقوله عز وجل: **حتى يسمع كلام الله** [التوبة: 6]، ودل على ذلك في

<sup>1</sup>(?) ولعل الذي ساعد على ترويح هذا الكلام هو أن عمر بن حماد بن أبي حنيفة قد قال هذا القول ونسبه إلى أبائه قائلًا: (القرآن مخلوق، وهو رأيي ورأي آبائي) لكن رده بشر بن الوليد وقال: (أما رأيك فنعم، وأما رأي آبائك فلا).. وقد كان المعتزلة الذين اعتنقوا هذا المذهب يروجون لذلك بأن ينحلوه رجالاً ذوي مكانة وعلم وفقه كأبي حنيفة، وهو في حقيقة الأمر لا أساس له من الصحة.. ولا تستبعد د. فوقية أن يكون اسمه اختلط بمشابه له في الاسم واللقب.. ينظر: (أبو حنيفة) لمحمد أبو زهرة ص201 وما بعدها، والرد على الجهمية ص372 والعقيدة الطحاوية ص114، وينظر ص163، 278 وهامش (الإبانة) 2/ 984 بتحقيق أبي عمرو محمد ربحان، وبتحقيق د فوقية ص294.

<sup>2</sup>(?) ضعيف مرسل.. أخرجه الترمذي (2927) والدارمي (3356) وهو في الضعيفة (1335) وضعيف الجامع، ولعل الصواب وقفه على شهر بن حوشب، أو أبي عبد الله السلمي.

مواضع من كتابه العزيز، وقد قال الله تعالى مخبرًا أن الله كلم موسى تكليمًا.

وروى وكيع عن الأعمش عن خيثمة، عن عدي بن حاتم، قال: قال رسول الله ﷺ: (ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان)<sup>(1)</sup>.

**ومما يبين أن الله عز وجل متكلم، وأن له كلامًا: ما رواه عفان، قال: ثنا حماد بن سلمة عن الأشعب الحداني عن شهر بن حوشب قال: (فضل كلام الله عز وجل على سائر الكلام كفضل الله على خلقه).**

وروى يعلى بن المنهال السعدي، قال: حدثنا إسحاق بن سليمان الرازي، قال: ثنا الجراح بن الضحاك الكندي، عن علقمة بن مرثد، عن أبي عبد الرحمن السلمي، عن عثمان بن عفان قال، قال رسول الله ﷺ: (أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه)<sup>(2)</sup>، وقال: (إن فضل القرآن على سائر الكلام كفضل الله على خلقه).. وذلك أنه منه.

وروى سعيد بن داود، قال: حدثنا أبو سفيان، عن معمر، عن قتادة: قوله تعالى: قال تعالى: **ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم** [لقمان: 27].

وذكر هارون بن معروف قال: حدثنا جرير، عن منصور، عن هلال بن أساف، عن فروة بن نوفل وقال: كنت جاريًا لخباب بن الأرت، فقال لي: يا هذا تقرب إلى الله عز وجل بما استطعت فإنك لن تتقرب إلى الله بشيء أحب إليه من كلامه.

وروى عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى: **قرآنًا عربيًا غير ذي عوج** [الزمر: 28] قال: (غير مخلوق).. وروى الليث بن يحيى، قال: حدثني إبراهيم بن أبي الأشعث، قال: سمعت مؤمل ابن إسماعيل يحدث عن الثوري، قال: (من زعم أن القرآن مخلوق فقد كفر).. وصحت الرواية عن جعفر بن محمد أن القرآن لا خالق ولا مخلوق.. وروي ذلك عن عمه زيد بن علي، وعن جده علي بن الحسين رضي الله عنهم أجمعين.

ومن قال: (إن القرآن غير مخلوق وإن من قال بخلقه كافر) - من العلماء، وحملة الآثار، ونقله الأخبار - لا يحصون كثرة، ومنهم:

<sup>1</sup>(?) متفق عليه.. رواه البخاري (6537، 6539)، ومسلم (1016، 2876)  
<sup>2</sup>(?) صحيح.. أخرجه البخاري (5028) وأحمد (1/ 57، 69) وأبو داود (1452) والترمذي (2908) وابن ماجه (211، 212).

الحمّادان<sup>(3)</sup> والثوري وعبد العزيز بن أبي سلّمة، ومالك بن أنس رحمه الله، والشافعي رحمه الله وأصحابه، وأبو حنيفة، وأحمد بن حنبل، والليث بن سعد، وسفيان بن عيينة، وهشام الدستوائي، وعيسى بن يونس، وحفص بن غياث، وسعيد بن عامر، وعبد الرحمن بن مهدي، وأبو بكر بن عياش، ووكيع، وأبو عاصم النبيل، ويعلى بن عبيد، ومحمد بن يوسف، وبشر بن الفضل، وعبد الله بن داود، وسلام بن أبي مطيع، وابن المبارك، وعلي بن عاصم، وأحمد بن يونس، وأبو نعيم، وقبيصة بن عقبة، وسليمان بن داود، وأبو عبيد القاسم بن سلام، ويزيد بن هارون، وغيرهم.

ولو تتبعنا ذكر من يقول بذلك لطال الكلام بذكرهم، وفيما ذكرنا من ذلك مَقنع، والحمد لله رب العالمين.

وقد احتجنا لصحة قولنا: (إن القرآن غير مخلوق) من كتاب الله عز وجل، وما تضمنه من البرهان وأوضحه من البيان، ولم نجد أحداً ممن تُحمل عنه الآثار، وتُنقل عنه الأخبار، ويأتى به المؤتمنون من أهل العلم يقول بخلق القرآن، وإنما قال ذلك رعاغ الناس، وجهال من جهالهم، لا موقع لهم.

والججاج الذي قدمناه في ذلك يأتي على كثير من قولهم، ودفع باطلهم، والحمد لله على قوة الحق حمداً كثيراً.



<sup>3</sup>(?) حماد بن زيد من أئمة أهل زمانه ت99، وحماد بن سلمه بن دينار، وكان دائماً مشغولاً بنفسه إما أن يحدث أو يصلي أو يقرأ أو يسبح ت167.. وفي فضلها قال عبيد الله بن الحسن: "إذا طلبتم العلم فاطلبوه من الحمّادين"



### الفصل الثالث

## الكلام على من توقف في القرآن، وقال: (لا أقول إنه مخلوق ولا أنه غير مخلوق)

**جواب:** يقال لهم<sup>(1)</sup>: لِمَ زعمتم ذلك وقتموه؟ فإن قالوا: قلنا ذلك؛ لأن الله لم يقل في كتابه إنه مخلوق، ولا قاله رسول الله ﷺ، ولا أجمع المسلمون عليه، ولم يقل في كتابه إنه غير مخلوق، ولا قال ذلك رسول الله ﷺ، ولا أجمع عليه المسلمون، فتوقفنا لذلك، ولم نقل إنه مخلوق، ولا إنه غير مخلوق.

**يقال لهم:** فهل قال الله تعالى لكم في كتابه توقفوا فيه ولا تقولوا: إنه غير مخلوق، وقال لكم رسول الله ﷺ توقفوا عن أن تقولوا: إنه غير مخلوق؟، وهل أجمع المسلمون على التوقف عن القول إنه غير مخلوق؟!

فإن قالوا: نعم، فقد بُهتوا.. وإن قالوا: لا، قيل لهم: فلا توقفوا عن أن تقولوا غير مخلوق بمثل الحجة التي بها ألزمت أنفسكم التوقف.

**ثم يقال لهم:** ولمَ أبيتم أن يكون في كتاب الله ما يدل على أن القرآن غير مخلوق؟! فإن قالوا: لم نجد، قيل لهم: ولم زعمتم أنكم إذا لم تجدوه في القرآن فليس بموجود فيه؟ ثم إننا نوجدكم ذلك، وتتلو عليهم الآيات التي احتجنا بها في كتابنا هذا، وأستدللنا بها على أن القرآن غير مخلوق، كقوله تعالى: **﴿ألا له الخلق والأمر﴾** [الأعراف: 54]، وكقوله: **﴿إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون﴾** [النحل: 40]، وكقوله: **﴿قل لو كان البحر مدادًا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددًا﴾** [الكهف: 109]، وسائر ما احتجنا في ذلك من أي القرآن.

**ويقال لهم:** يلزمكم أن تتوقفوا في كل ما اختلف الناس فيه، ولا تُقدموا في ذلك على قول، فإن جاز لكم أن تقولوا ببعض تأويل المسلمين إذا دل على صحتها دليل؛ فلم لا قلت: إن القرآن غير مخلوق بالحجج التي ذكرناها في كتابنا هذا قبل هذا الموضوع؟!

**فإن قال قائل:** حدِّثونا، أتقولون: إن كلام الله في اللوح المحفوظ؟.

**قيل له:** كذلك نقول؛ لأن الله تعالى قال: **﴿بل هو قرآن مجيد، في لوح محفوظ﴾** [البروج: 21-22]، فالقرآن في اللوح المحفوظ.. وهو في صدور الذين أوتوا العلم، قال الله

<sup>1</sup>(?) أي: الواقفة الذين سبق الحديث عنهم بالباب الفائت.

تعالى: **بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم** [العنكبوت: 49].. وهو متلو بالألسنة، قال الله سبحانه وتعالى: **لا تحرك به لسانك لتعجل به** [القيامة: 16].  
والقرآن مكتوبٌ في مصاحفنا في الحقيقة، محفوظٌ في صدورنا في الحقيقة، متلوٌّ بالسنتنا في الحقيقة، مسموعٌ لنا في الحقيقة، كما قال تعالى: **فأجره حتى يسمع كلام الله** [التوبة: 6].

### مسألة:

**فإن قال قائل:** حدّثونا عن اللفظ بالقرآن كيف تقولون فيه؟ قيل له: القرآن يُقرأ في الحقيقة، ويُتلى، ولا يجوز أن يقال: (يُلفظ به)؛ لأن القائل لا يجوز له أن يقول: (إن كلام الله ملفوظ به)؛ لأن العرب إذا قال قائلهم: (لفظتُ باللقمة من فمي) فمعناه: رميتُ بها، وكلام الله تعالى لا يقال: (يُلفظ به)، وإنما يقال: (يُقرأ، ويُتلى، ويُكتب، ويُحفظ).

وإنما قال قوم<sup>(1)</sup>: (لفظنا بالقرآن) لثبتوا أنه مخلوق، ويزينوا بدعتهم وقولهم بخلقه، ويُدلسوا كفرهم على من لم يقف على معناهم، فلما وقفنا على معناهم أنكرنا قولهم، وكذا لا يجوز أن يقال: (إن شيئاً من القرآن مخلوق)؛ لأن القرآن بكماله غير مخلوق.

### مسألة:

**فإن قال قائل: أليس قد قال الله تعالى: ﴿ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون﴾ [الأنبياء]:**

<sup>1</sup>(?) الكلام هنا عن: (اللفظية)؛ وهم أيضاً فرقة ضالة من فرق الجهمية يقولون: (إن لفظهم بالقرآن مخلوق) ومبتغاهم أن القرآن مخلوق، "وهذا عند أحمد بن حنبل ومن كان على طريقته: منكر عظيم، وقائل هذا مبتدع خبيث لا يكلم ولا يجالس، ويحدّث منه الناس، لا يعرف العلماء غير ما تقدم ذكرنا له، وهو أن: (القرآن كلام الله غير مخلوق)، ومن قال: (مخلوق)، فقد كفر، ومن قال: (القرآن كلام الله) ووقف فهو جهمي، ومن قال: (لفظي بالقرآن مخلوق) فهو جهمي أيضاً، كذا قال أحمد بن حنبل وغلظ فيه القول جدّاً، وكذا من قال: (إن هذا القرآن الذي يقرأه الناس، وهو في المصحف، حكاية لما في اللوح المحفوظ) - ويعني بهم: الأشعرية والماتريدية - فهذا قولٌ منكر ينكره العلماء" كذا ذكره الأجرى في الشريعة ص 89 وجعل يسوق له نصوص الآي والأحاديث والآثار والمناظرات.. وكان اللالكائي قد أورد في (شرح أصول السنة) 1/ 149 لأحمد بن حنبل قوله: "والقرآن كلام الله وليس بمخلوق، ولا تصعّف أن تقول: ليس بمخلوق، فإن كلام الله منه وليس ببائن منه، وليس منه شيء مخلوق، وإياك ومناظرة من أحدث فيه، ومن قال باللفظ ومن وقف فيه فقال: (لا أدري، مخلوق أو غير مخلوق)"، أو قال: (القرآن كلام الله ولا نقول غير مخلوق).. كونهم يضمرون القول بخلق القرآن.

وفي بيان ما يجب اعتقاده في هذه القضية وما يجب الحذر منه يقول أبو نعيم الأصبهاني ت 430: "طريقتنا طريقة السلف المتبعين للكتاب والسنة وإجماع الأمة، ومما اعتقدوه: أن الله لم يزل كاملاً بجميع صفاته القديمة، لا يزول ولا يحول، لم يزل عالماً بعلم، بصيراً ببصر، سميعاً بسمع، متكلماً بكلام.. وأن القرآن كلام الله، وكذلك سائر كتبه المنزلة، كلامه غير مخلوق، وأن القرآن في جميع الجهات: (مقروءة) و(متلوًا) و(محفوظًا) و(مسموعًا) و(مكتوبًا) و(ملفوظًا) كلام الله حقيقة، لا حكاية ولا ترجمة، وأنه بألفاظنا كلام الله غير مخلوق، وأن (الواقفية) و(اللفظية) من (الجهمية)، وأن من قصد القرآن بوجه من الوجوه يريد به خلق كلام الله، فهو عندهم من الجهمية، وأن الجهمي عندهم كافر"، قال الذهبي في العلو ص 176 معلقاً:

"قد نقل هذا الإمام الإجماع على هذا القول ولله الحمد، وكان أبو نعيم حافظاً العجم في زمانه بلا نزاع، جمع بين علو الرواية وتحقيق الدراية" إ.هـ.. وبنحو مما ذكره أبو نعيم، تكلم الإمام علي بن مهدي الطبري تلميذ أبي الحسن الأشعري ونقله عنه الصابوني في (عقيدة السلف) ص 23 واستحسنه.

وكان أبو يعلى قد ذكر في كتابه (إبطال التأويل) ص 267 ما نصه: "الجهمية على ثلاث ضروب: فرقة قالت: (القرآن مخلوق)، وفرقة قالوا: (كلام الله،

[2]؟؛ قيل له: الذِّكْر - المحدث - الذي عِنَاهُ اللهُ عز وجل هنا ليس هو القرآن، بل هو كلام الرسول ﷺ ووعظُهُ إياهم<sup>(1)</sup>.

وقد قال الله تعالى لنبيه: **﴿وذكر فإن الذكري تنفع المؤمنين﴾** [الذاريات: 55]، وقال تعالى: **﴿قد أنزل الله إليكم ذكراً﴾** [الطلاق: 10-11] فسمى الرسول ذكراً، والرسول مُحدِّث.

وأيضاً فإن الله تعالى قال: **﴿ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا أستمعوه وهم يلعبون﴾** [الأنبياء: 2]، يخبر أنه لا

ونقف)، وفرقة قالوا: (ألفاظنا بالقرآن مخلوقة)، فهم عندي في المقالة واحد، كونهم يريدون رأي جهم وقد استتروا بهذه الأقوال.

<sup>1</sup>(?) **﴿وعليه فمن أرجع الإحداث في الآية إلى كلامه تعالى، سعياً لنفي أن يكون ما بالمصحف كلام الله اللفظي وتعطيل تلك الصفة ومن ورائها سائر صفاته تعالى الفعلية، وأنه لا يتكلم ولا يفعل ما يشاء بإرادته. فجوابه: "أن هذا قول بعض المعتزلة - وقد تأثر بهم الأشاعرة - وهو خطأ، لأن الذكر الموصوف في الآية بالإحداث ليس هو نفس كلامه، لقيام الدليل على أن الذكر الموصوف في الآية بأنه محدث، هو: (الرسول) بدليل قوله تعالى: ﴿قد أنزل الله إليكم ذكراً﴾ [الطلاق: 10، 11] فيكون المعنى: ما يأتيهم من رسول مُحدِّثٍ.. وقال بعضهم: إن مرجع الإحداث: إلى (الإتيان) الوارد في قوله: (وما يأتيهم)، لأن نزول القرآن على الرسول ﷺ كان شيئاً بعد شيء، فكان نزوله يحدث ويأتيه حيناً بعد حين، كما أن العالم يعلم ما لا يعلمه الجاهل فإذا علمه حدث عنده العلم، وهذا هو الأقرب لما ترجم له البخاري في هذا الباب، فإذا تقرر هذا فالإنزال حادث والمُنزَّل قديم.**

وقال ابن المُتَبِّر: ويحتمل أن يُحمل لفظ (محدث) على: (الحديث)، فيكون معني (ذكر محدث) أي: متحدثٍ به.. وعن نعيم بن حماد - وكان من أوعية العلم، أخذ في محنة خلق القرآن فسُجِن حتى مات في القيد سنة 228 - (كلام الله ليس بمحدث، لأنه لم يزل متكلماً لا أنه كان لا يتكلم حتى أحدث كلاماً لنفسه، فمن زعم ذلك فقد شبه الله بخلقه، لأن الخلق كانوا لا يتكلمون حتى أحدث لهم كلاماً فتكلموا به)، ولابن راهويه في آية الأنبياء قوله: (قديم من رب العزة، محدث إلى الأرض)، وظاهر كلام البخاري (أن حَدَّثَهُ لا يشبه حدث المخلوقين) "كذا في فتح الباري لابن حجر 13/ 506، 507، قال:

"الذي يظهر أن مراد الداودي أن القرآن هو الكلام القديم الذي هو من صفات الله وهو غير محدث، وإنما يطلق الحدث بالنسبة إلى: إنزاله إلى المكلفين وبالنسبة إلى قراءتهم له وإقراءهم غيرهم ونحو ذلك، قال ابن التين بحق عائشة حيث أنزل الله براءتها: (المراد بأنزل: أن الإنزال هو المحدث ليس أن الكلام القديم نزل الآن، ولا أن يكون الله متكلماً بكلام حادث فتحل فيه الحوادث)، وهذا مراد البخاري "إ.هـ بتصرف.

وممن أفاض في رد شبه الأشاعرة: اللالكائي، وذلك في كتابه (شرح أصول السنة) 1/ 272، فقد أورد الأدلة على أن القرآن تكلم الله به على الحقيقة وليس حكاية عنه ولا عبارة له، وأنه تعالى لم يزل متكلماً، وأن الكلام من صفات ذاته، وساق في ذلك الإجماع.

يأتيهم ذكر محدث إلا استمعوه وهم يلعبون، ولم يقل لا يأتيهم ذكر إلا كان محدثًا، وإذا لم يقل هذا لم يوجب أن يكون القرآن محدثًا.

**ولو قال قائل:** ما يأتيهم رجل من التميميين يدعوهم إلى الحق إلا أعرضوا عنه، لم يوجب هذا القول أنه لا يأتيهم رجل إلا كان تميميًا، فكذلك الحكم فيما سألونا عنه.

فإن سألونا عن قول الله تعالى: **﴿قرنا عربيًا﴾** [الزمر: 28].. قيل لهم: الله عز وجل أنزله وليس بمخلوق.

**فإن قالوا:** فقد قال الله تعالى: **﴿وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد﴾** [الحديد: 25] والحديد مخلوق.. **قيل لهم:** الحديد جسم موات، وليس يجب إذا كان القرآن منزلًا أن يكون جسمًا مواتًا، فكذلك لا يجب إذا كان القرآن منزلًا أن يكون مخلوقًا، وإن كان الحديد مخلوقًا.

**ويقال لهم:** قد أمرنا الله تعالى أن نستعيذ به وهو غير مخلوق، وأمر أن نستعيذ بكلمات الله التامات، وإذا لم تُؤمر أن نستعيذ بمخلوق من المخلوقات، وأمرنا أن نستعيذ بكلام الله، فقد وجب أن كلام الله غير مخلوق<sup>(1)</sup>.

<sup>1</sup>(?) كل هذا يعدُّ من أبي الحسن ردًّا مباشرًا على ترهات الأشعرية الذين أثاروا - ولا يزالون - الشبهات حول صفة (كلامه تعالى اللفظي) ليشغبوا على معتقد أهل السنة، وليثبتوا أن القرآن باعتبار لفظه مخلوق وليحيلوا وينفوا أن يكون المنزل على محمد ﷺ هو كلام الله، بحجة أن القرآن نفسه قد صرح بالحدوث، وبزعم أن نزوله أيضًا من الحدوث الذي يجب تنزيه الله وكلامه عنه.

وكان الأشعري قد ساق في (رسالة أهل الثغر) - ص 213 وما بعدها، وتحديدًا في الإجماع الثالث وما بعده - الإجماع على إثبات (صفة الكلام اللفظي) له تعالى على الوجه اللائق بجلاله، ليقطع أمامهم الطريق ويقيم - حتى على من لا تعترف بكتابه (الإبانة) - حجة الله البالغة، فقال ما نصه:

"وأجمعوا أنه تعالى لم يزل موجودًا حيًّا قادرًا عالمًا مريدًا متكلمًا.. على ما وصف به نفسه وتسمّى به في كتابه وأخبرهم به رسوله ودلت عليه أفعاله، وأن وصفه بذلك لا يوجب شَبَهه لمن وُصف من خلقه بذلك.. وأجمعوا على إثبات حياة لله لم يزل بها حيًّا وعلمًا لم يزل به عالمًا وقدرة لم يزل به قادرًا وكلامًا لم يزل به متكلمًا.. وأجمعوا على أن صفته لا تشبه صفات المحدثين كما أن نفسه لا تشبه أنفس المخلوقين، واستدلوا على ذلك بأنه لو لم تكن له هذه الصفات لم يكن موصوفًا بشيء منها في الحقيقة.. وأنه إذا كان وصف الباري بسائر ما ذكرنا في الحقيقة دون المجاز والتقليب، وجب إثبات هذه الصفات التي اشْتُقَّ له الأوصاف من أخص أسمائها.. ولا يجب إذا أثبتنا هذه الصفات له على ما دلت عليه العقول واللغة والقرآن والإجماع أن تكون محدثة، لأنه تعالى لم يزل موصوفًا بها، ولا يجب أن تكون أعراضًا لأنه ليس بجسم وإنما توجد الأعراض في الأجسام، ويُبدل بأعراضها فيها وتعقبها عليها على حدثها".

يقول: "وأجمعوا على أن أمره وقوله غير محدث ولا مخلوق، وقد دل على صحة ذلك بقوله: **﴿ألا له الخلق والأمر﴾** [الأعراف: 54]، ففرق تعالى بين خلقه



## الباب الرابع ذكر الاستواء على العرش

**إن قال قائل: ما تقولون في الاستواء؟**  
**قيل له: نقول: إن الله يستوي على عرشه استواء يليق به**  
**من غير طول استقرار، كما قال: [الرحمن على العرش**  
**استوى] [طه: 5]، قد قال تعالى: [إليه يصعد الكلام الطيب**  
**والعمل الصالح يرفعه] [فاطر: 10]، وقال تعالى: [بل رفعه**  
**الله إليه] [النساء: 158]، وقال تعالى: [يدبر الأمر من**

وأمره، وقال: [إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون] [يس: 82]، فبين بذلك أن الأشياء المخلوقة تكون شيئاً بعد أن تكن بقوله وإرادته، وأن قوله، غير الأشياء المخلوقة من قبل أن أمره تعالى للأشياء وقوله لها: (كوني)، لو كان مخلوقاً لوجب أن يكون قد خلقه بأمر آخر، وذلك القول لو كان مخلوقاً لكان مخلوقاً إلى ما لا نهاية، وهذا قول أهل الدهر بعينه، أو يكون ذلك القول حادثاً بغير أمره عز وجل له، فبطل معنى الامتداح بذلك، وقد نص على هذا عليّ بحضرة أوليائه من الصحابة وأعدائه من الخوارج لما أنكروا عليه التحكيم فقال: (والله ما حكمتُ مخلوقاً وإنما حكمتُ كلام الله).. وأجمعوا على وصف الله بجميع ما وصف به نفسه ووصفه به نبيه من غير اعتراض فيه ولا تكييف له، وأن الإيمان به واجب وترك التكييف له لازم" اهـ.

هذا، ولم يفتُ الأشعري - بعد أن ذكر أقوال الجهمية والرافضة والمعتزلة في صفة كلامه تعالى - أن يحكي ما كان عليه شيخه عبد الله بن كلاب الذي يمثل همزة الوصل بين ما كان عليه الأشعري في مرحلته الوسطى التي لا يزال يتبعه فيها كثيرون ممن ينتسبون إليه، وبين ما آل إليه أمره.. ففي حكاية ما كان عليه ابن كلاب في مسألة اتصافه تعالى بصفة الكلام يقول الأشعري في المقالات ص 584 - وبنحوه ص 169، 298، 517 -:

"قال ابن كلاب: إن كلامه تعالى صفة له قائمة به وأنه قديم بكلامه، وأن كلامه قائم به.. وأن الكلام ليس بحروف ولا صوت، ولا ينقسم ولا يتجزأ ولا يتبعض ولا يتغاير، وأنه معنى واحد بالله، وأن الرسم هو الحروف المتغايرة وهو قراءة القرآن.. وأن العبارات عن كلام الله تختلف وتتغاير وكلام الله ليس بمختلف ولا متغاير.. وإنما سُمِّي كلام الله عربياً لأن الرسم - الذي هو العبارة عنه وهو قراءته - عربي، وكذلك سمي عبرانياً لأن الرسم الذي هو عبارة عنه عبراني، وكذلك سُمي أمراً لعلة وسُمي نهياً لعلة وخبراً لعلة.. وزعم ابن كلاب أن ما نسمع التاليين يتلونه هو عبارة عن كلام الله وليس هو، وأن موسى سمع الله متكلماً بكلامه، وأن معنى قوله [فأجره حتى يسمع كلام الله] [التوبة: 6]: حتى يفهم كلام الله، ويحتمل على مذهبه أن يكون معناه: حتى يسمع التاليين يتلونه".

كذا بما يعني نفي أن يكون ما في المصحف كلام الله، وأنه إنما هو عبارة عنه وحكاية له.. إلى غير ذلك مما يقول به الأشاعرة، وبما يعني أن من يدينون بذلك من الأشاعرة هم على مذهب ابن كلاب، لا الأشعري الذي برئ إلى الله منه ورجع مؤخرًا عن معتقده.

**السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه** [السجدة: 5]، وقال تعالى حاكياً عن فرعون لعنه الله: **يا هامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب. أسباب السماوات فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذباً** [غافر: 36-37]، فكذب موسى عليه السلام في قوله: إن الله - سبحانه - فوق السماوات. وقال تعالى: **أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض** [الملك: 16] فالسماوات فوقها العرش، فلما كان العرش فوق السماوات قال: **أأمنتم من في السماء**؛ لأنه مستو على العرش الذي فوق السماوات، وكل ما علا فهو سماء،

ولا أدل على صحة ما ذكرنا من اعتراف الأشعري نفسه بمغايرة ما عليه الكلابية لما عليه أهل السنة، وذلك قوله فيما سبق: "وزعم ابن كلاب.. إلخ"، وكذا قوله في (المقالات) ص 298: "فأما أصحاب ابن كلاب فإنهم يقولون بأكثر ما ذكرناه عن أهل السنة.. ويشتون العلم والقدرة والحياة والسمع والبصر والعظمة والكلام صفات لله، ويقولون: إن أسماء الله وصفاته (لا يقال لها: هي غيره ولا يقال إن علمه غيره) كما قالت الجهمية و(لا يقال: إن علمه هو هو) كما قال بعض المعتزلة، وكذلك قولهم في سائر الصفات".

على أن قول الأشعري عن أصحاب ابن كلاب: (إنهم يقولون بأكثر ما ذكرناه عن أهل السنة)، إنما يعني به ما وافق الكلابية فيه أهل السنة من إثبات ما نفاه المعتزلة من أسماء الله وصفات المعاني، غير أن الأشعري زاد على ذلك: ما أقره السلف من إثبات مفصل ونفي مجمل، وهو ما استقر عليه أمره بعد تراجعه عن مذهب شيوخه ابن كلاب من أن "أهل السنة وأصحاب الحديث.. لم يقولوا شيئاً إلا ما وجدوه في الكتاب أو جاءت به الرواية عن رسول الله"، كذا في (مقالات الإسلاميين) ص 211، وينحوه في ص 217.

وكما هو ملاحظ فإن هذا جاء من الأشعري على وجه الإجمال، أما تفصيل ذلك، فهو ما حكاه هنا في (الإبانة) وفي (المقالات) ص 290 وما بعدها، من (جملة قول أصحاب الحديث وأهل السنة)، وفيها بعد إثبات جميع ما أثبته تعالى لنفسه وأثبته له رسوله: "أن القرآن كلام الله غير مخلوق، وأن من قال باللفظ والوقف فهو مبتدع، لا يقال: اللفظ بالقرآن مخلوق ولا يقال غير مخلوق" اهـ.

والحق أن كلام الأشعري في (الإبانة) لإثبات (صفة الكلام) لله والرد على من تأولوها - ممن لزموا مرحلته الوسطي وقد تبعهم فيها متأخرو الأشاعرة - بـ (الكلام النفسي) وادعوا أنه ليس منزلاً ولا هو كلام الله، وأن ما في المصحف إنما هو قول جبريل أو محمد عليهما السلام يكثر بشكل لافت، فقد طفق - كما رأينا - يستنطق الآيات ويعمل العقل في إثبات صفة الكلام على حقيقتها ويطيل النَّقَس في رد عادية من يعطلها أو يتأولها، ومن ذلك: قوله تعالى **قالوا أنت فعلت هذا بالهتنا يا إبراهيم. قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون** [الأنبياء: 62، 63]، وقوله: **لمن الملك اليوم لله الواحد القهار** [غافر: 16]، **وكلم الله موسى تكليماً** [النساء: 164]، وآيات سورة الإخلاص، وقوله تعالى: **تبارك اسم ربك** [الرحمن: 78]، وقوله: **سبح اسم ربك الأعلى. الذي خلق فسوى** [الأعلى: 1، 2]، وقوله لإبليس: **وغن عليك لعنتي إلى يوم الدين** [ص: 78]، وقوله: **إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون** [النحل: 40]،

والعرش أعلى السماوات، وليس إذا قال: **أأنتم من في السماء** يعني جميع السماوات، وإنما أراد العرش الذي هو أعلى السماوات، ألا ترى الله تعالى ذكر السماوات، فقال: **وجعل القمر فيهم نورًا** [نوح: 16]، ولم يرد أن القمر يملأهن جميعاً، وأنه فيهن جميعاً، ورأينا المسلمين جميعاً يرفعون أيديهم إذا دعوا نحو السماء؛ لأن الله تعالى مستو على العرش الذي هو فوق السماوات، فلولا أن الله عز وجل على العرش لم يرفعوا أيديهم نحو العرش، كما لا يحطونها إذا دعوا إلى الأرض.

وقوله: **الرحمن. علم القرآن. خلق الإنسان** [الرحمن: 1-3]، وقوله: **ولا يكلمهم الله يوم القيامة** [آل عمران: 77]، وقوله: **قرآناً عربياً** [الزمر: 28].. إلخ.

إذ خُص من كل ذلك - وكما لاحظنا - إلى: أن العقل يعارض النقل في إثبات "أن الأصنام - في آية الأنبياء- إذا لم تكن ناطقة متكلمة لم تكن آلهة، وأن الإله لا يكون غير ناطق ولا متكلم" .. وأنه "إذا كان الله قائلاً مع فناء الأشياء - كما في آية غافر- فقد صح أن كلام الله خارج عن الخلق، لأنه يوجد ولا شيء من المخلوقات موجود".  
وأن "التكليم - كما أفادته آية النساء- هو المشافهة بالكلام، ولا يجوز أن يكون كلام المتكلم حالاً في غيره، مخلوقاً في شيء سواه" .. وأنه "كيف يكون القرآن مخلوقاً وأسماء الله -على ما دلت عليه آيات سور الرحمن والأعلى والإخلاص- في القرآن؟" .. وأنه "لا يُقال لمخلوق: (تبارك)".  
وأنه "لا يجوز أن يكون (اسم ربك الأعلى الذي خلق فسوى) مخلوقاً، كما لا يجوز أن يكون **جذربنا** [الجن: 3] مخلوقاً، وكما لا يجوز أن تكون عظمتة مخلوقة كذلك لا يجوز أن يكون كلامه مخلوقاً".  
وأنه "إذا كان كلام الله مخلوقاً وكانت المخلوقات فانيات، فيلزم إذا أفنى الله الأشياء أن تكون اللعنة على إبليس قد فنيت، فيكون إبليس غير ملعون، وهذا ترك لدين المسلمين وردُّ لقوله تعالى: **وإن عليك لعنتي إلى يوم الدين** [ص: 78]".

"وأن الزعم بأن قول الله للشيء (كن) مخلوق، يلزمه أن قوله للشيء: (كن) قد قال له: (كن)، والله لا يقول لقوله: (كن) .." وأن الله في صدر سورة الرحمن "فَرَّقَ بين الإنسان وبين القرآن، فقال: (علم)، (خلق)، والقرآن من القرآن: علم الله، والقرآن فيه أسماء الله، وكما أنه سبحانه لم يزل (قديراً عليماً عزيزاً حكيمًا سميعًا بصيرًا) فهو لم يزل (متكلمًا)".

وأن قوله: **ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم** [آل عمران: 77] دال على أن "كلامه ونظره واحد، يعني: غير مخلوق"، وأن أثر ابن عباس على أن قوله: **قرآناً عربياً غير ذي عوج** [الزمر: 28] يعني: "غير مخلوق" هو حجة في حد ذاته.

تلك باختصار هي عقيدة أبي الحسن الأشعري لمن أراد أن يصدق من الأشعرية في نسبة نفسه إليه وقد ساق لها الإجماع.. ولكن هيهات للأشعرية أن يفعلوا ذلك، لأنهم - إلا من رحم الله - عقدوا قلوبهم على فساد المعتقد وصدق فيهم



**فصل:**

وقد قال قائلون من المعتزلة والجهمية والحرورية: إن معنى قول الله تعالى: **الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى** [طه: 5] أنه: استولى وملك وقهر<sup>(1)</sup>، وأن الله تعالى في كل مكان، ووجدوا أن يكون الله عز وجل مستو على عرشه، كما قال أهل الحق، وذهبوا في الاستواء إلى القدرة.

ولو كان هذا كما ذكره كان لا فرق بين العرش والأرض السابعة؛ لأن الله تعالى قادر على كل شيء، والأرض لله - سبحانه - قادر عليها، وعلى الحشوش، وعلى كل ما في العالم، فلو كان الله مستويًا على العرش بمعنى: الاستيلاء وهو تعالى مستو على الأشياء كلها لكان مستويًا على العرش، وعلى الأرض، وعلى السماء، وعلى الحشوش، والأقدار؛ لأنه قادر على الأشياء مستوٍ عليها.

وإذا كان قادرًا على الأشياء كلها ولم يجز عند أحد من المسلمين أن يقول: (إن الله تعالى مستو على الحشوش والأخلية)، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا، لم يجز أن يكون الاستواء على العرش: الاستيلاء الذي هو عام في الأشياء كلها، ووجب أن يكون معنى الاستواء يختص بالعرش دون الأشياء كلها.

قوله تعالى: **فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور** [الحج: 46].

<sup>1</sup>(?) وبنحوه قال متأخرو الأشاعرة، وعليه فردُّ الأشعري على من ذكر من الفرق الضالة، ردُّ عليهم كذلك، كما ينظر في تفاصيل الأدلة والإجماع على ثبوت استوائه تعالى وفي دحض تأويلات الأشاعرة، كتابنا: (قرائن اللغة والنقل والعقل في حمل صفات الله على ظاهرها دون المجاز)



وزعمت المعتزلة والحرورية والجهمية أن الله تعالى في كل مكان<sup>(1)</sup>، فلزمهم أنه في بطن مريم وفي الحشوش والأخية، وهذا خلاف الدين.. تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً.

**ويقال لهم:** إذا لم يكن مستتباً على العرش بمعنى يختص العرش دون غيره، كما قال ذلك أهل العلم، ونقله الأخيار، وحملة الآثار، وكان الله عز وجل في كل مكان؛ فهو تحت الأرض التي السماء فوقها، وإذا كان تحت الأرض والأرض فوقه، والسماء فوق الأرض؛ ففي هذا ما يلزمكم أن تقولوا إن الله تحت التحت، والأشياء فوقه، وأنه فوق الفوق والأشياء تحته، وفي هذا ما يجب

<sup>1</sup>(?) وقد شابههم فيه الحلوية الذين يزعمون أن معبودهم في كل مكان بذاته، فينزهونه عن استوائه على عرشه وعلوه على خلقه ولا يصونونه عن أقبح الأماكن وأقذرهما.. وأسوأ منهم: الأشعرية والماتريدية الذين شبهوه بالعدم، وجعلوا يقولون: إنه تعالى ليس داخل العالم ولا خارجه، وهو قول خلاف العقل والشرع؛ لأنه رفع للنقيضين، فما من موجود حقيقي إلا كان داخل العالم أو خارجه، وهذا القول أيضاً: خلاف النصوص وما أجمع عليه السلف، ولا دليل عليه من كتاب أو سنة أو إجماع، بل ولا هو قول معروف عن إمام من أئمة السلف.. قال الذهبي رحمه الله: "والله فوق عرشه كما أجمع عليه الصدر الأول ونقله عنهم الأئمة، وقالوا ذلك رادين على الجهمية القائلين بأنه في كل مكان محتجين بقوله تعالى: **وهو معكم** [الحديد: 4]."

ووضح من خلال ما سبق تأثر من ذكرنا من الحلوية والأشعرية والماتريدية، بكلام الجهمية الذين صرح من تولى كبره منهم لما ناظره السُّمّنية في ربه وحرار في ذلك وفكر وقدر، فقال: (هو هذا الهواء الذي في كل مكان)، وإنما كانوا يتوسلون إلى ذلك بالسلب المحض والتعطيل الصرف كما فهمه منهم أئمة الإسلام.. وهؤلاء لا يزال بلاؤهم حتى الآن يشيع في أذهان بعض الخاصة وفي أوساط العامة من الناس فما تكاد تجلس في مجلس خير إلا وتسمع من يقولون: (الله موجود في كل مكان)، ومن يقولون: (الله موجود في كل الوجود)، وما درى هؤلاء وأولئك أنهم يقولون بقول جهم وأتباعه الذين ما فهموا من صفات الرب تعالى إلا ما يليق بالمخلوقين.

"وكلام السلف في رد ذلك وفي إثبات صفة العلو كثير جداً، فمنه: ما روى شيخ الإسلام أبو إسماعيل الأنصاري في كتابه: (الفاروق) بسنده إلى مطيع البلخي أنه سأل أبا حنيفة عن قال: لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض؟؛ فقال: (قد كفر؛ لأن الله يقول: **الرحمن على العرش استوى** [طه: 5] وعرشه فوق سبع سماوات)، قلت: فإن قال: إنه على العرش، ولكن يقول: لا أدري العرش في السماء أم في الأرض؟؛ قال: (هو كافر؛ لأنه أنكر أنه في السماء، فمن أنكر أنه في السماء فقد كفر)، وزاد غيره: (لأن الله في أعلى عليين، وهو سبحانه يُدعى من أعلى لا من أسفل)" إ.هـ.

قال ابن أبي العز في شرحه على الطحاوية ص 232 معلقاً: "ولا يُلتفت إلى من أنكر ذلك ممن ينتسب إلى مذهب أبي حنيفة، فقد انتسب إليه طوائفٌ - معتزلة وغيرهم - مخالفون له في كثير من اعتقاداته، وقد ينتسب إلى مالك والشافعي وأحمد من يخالفهم في بعض اعتقاداتهم، وقصة أبي يوسف في استنابته لبشر المريسي لما أنكر أن يكون الله فوق العرش مشهورة، رواها عبد الرحمن بن

أنه تحت ما هو فوقه، وفوق ما هو تحته، وهذا هو المحال المتناقض، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

### دليل آخر:

ومما يؤكد أن الله عز وجل مستو على عرشه دون الأشياء كلها، ما نقله أهل الرواية عن رسول الله ﷺ.. روى عفان، قال: ثنا حماد بن سلمة، قال: حدثنا عمرو بن دينار، عن نافع، عن جبير، عن أبيه رضي الله عنهم أجمعين، أن النبي ﷺ قال: (ينزل ربنا عز وجل كل ليلة إلى السماء الدنيا فيقول: هل من سائل فأعطيته؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ حتى يطلع الفجر)<sup>(1)</sup>.. وروى عبيد الله بن بكر قال: ثنا هشام بن أبي عبد الله، عن يحيى بن كثير، عن أبي جعفر، أنه سمع أبا حفص يحدث أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا بقى ثلث الليل ينزل الله تبارك وتعالى فيقول: من ذا الذي يدعوني فأستجيب له؟ من ذا الذي يستكشف الضر فأكشفه عنه؟ من ذا الذي يسترزقني فأرزقه؟ حتى ينفجر الفجر)<sup>(2)</sup>.

وروى عبد الله بن بكر السهمي، قال: ثنا هشام بن أبي عبد الله عن يحيى بن كثير، عن هلال بن أبي ميمونة، قال: ثنا عطاء بن يسار أن رفاعة الجهني حدثه قال: فكنا مع رسول الله ﷺ حتى إذا كنا بالكديد - أو قال: بقديد - حمد الله وأثنى عليه، ثم قال: (إذا مضى ثلث الليل - أو قال: ثلثا الليل - نزل الله إلى السماء، فيقول: من ذا الذي يدعوني أستجيب له؟ من ذا الذي يستغفرني أغفر له؟ من ذا الذي يسألني أعطيته؟ حتى ينفجر الفجر)<sup>(3)</sup>، نزولاً يليق بذاته من غير حركة وانتقال، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

### دليل آخر:

قال الله تعالى: **﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾** [النحل: 50]، وقال تعالى: **﴿تعرج الملائكة والروح إليه﴾** [المعارج: 4]، وقال تعالى: **﴿ثم استوى إلى السماء وهي دخان﴾** [فصلت: 17].

أبي حاتم وغيره "إهـ".

<sup>1</sup>(?) صحيح.. رواه أحمد (4/ 81) من حديث حماد بن سلمة، ورجاله ثقات.. وينظر في تفاصيل الأدلة والإجماع على ثبوت نزوله تعالى على الوجه اللائق بجلاله وفي دحض تأويلات الأشاعرة، كتابنا: (قرائن اللغة والنقل والعقل في حمل صفات الله على ظاهر دون المجاز)

<sup>2</sup>(?) صحيح.. أخرجه أحمد (2/ 258) والنسائي في الكبرى (10310) من حديث يحيى بن أبي كثير ورجاله رجال الصحيح

<sup>3</sup>(?) صحيح أخرجه أحمد 4/ 16 والطبراني 5/ 50 (4557) وابن حبان (212) من حديث هلال بن أبي ميمون

[11]، وقال تعالى: **ثم استنوى على العرش الرحمن فاسئل به خبيرًا** [الفرقان: 59]، وقال تعالى: **ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع** [السجدة: 4]، فكل ذلك يدل على أنه تعالى في السماء مستو على عرشه، والسماء بإجماع الناس ليست الأرض، فدل على أنه تعالى منفرد بوحدانيته، مستوٍ على عرشه استواءً منزهاً عن الحلول والاتحاد.

### دليل آخر:

قال الله تعالى: **وجاء ربك والملك صفاً صفاً** [الفجر: 22]، وقال تعالى: **هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة** [البقرة: 210]، وقال: **ثم دنا فتدلى، فكان قاب قوسين أو أدنى، فأوحى إلى عبده ما أوحى، ما كذب الفؤاد ما رأى، أفتمارونه على ما يرى، ولقد رآه نزلة أخرى** [النجم: 8-13]، إلى قوله: **لقد رأى من آيات ربه الكبرى** [النجم: 18].

وقال تعالى لعيسى ابن مريم عليه السلام: **إني متوفيك ورافعك إلي** [آل عمران: 55]، وقال تعالى: **وما قتلوه يقينًا، بل رفعه الله إليه** [النساء: 157-158].

وأجمعت الأمة على أن الله - سبحانه - رفع عيسى عليه السلام إلى السماء، ومن دعاء أهل الإسلام جميعاً إذا هم رغبوا إلى الله تعالى في الأمر النازل بهم يقولون جميعاً: (يا ساكن السماء)<sup>(1)</sup>، ومن حلفهم جميعاً: (لا والذي احتجب بسبع سماوات).

### دليل آخر:

قال الله عز وجل: **وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء** [الشورى: 51]، وقد حَصَّت الآية الشريفة البشر دون غيرهم ممن ليس من جنس البشر، ولو كانت الآية عامة للبشر وغيرهم، كان أبعد من الشبهة وإدخال الشك على من يسمع الآية أن يقول: (ما كان لأحد أن يكلمه الله إلا وحياً، أو من وراء حجاب، أو يرسل رسولاً)، فيرتفع الشك والحيرة من أن يقول: (ما كان لجنس من الأجناس أن أكلمه إلا وحياً، أو من وراء حجاب، أو

<sup>1</sup>(?) بيد أن الشيخ الألباني - استنكر هذا الأثر في مختصر العلو ص 240 قائلاً ومعللاً: بـ "أنه لم يرد في خبر صحيح فيما علمت"

أرسل رسولاً)، وننزل أجناسًا لم يعمهم بالآية فدل ما ذكرنا على أنه خصّ البشير دون غيرهم.  
**دليل آخر:**

قال الله تعالى: **ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق** [الأنعام: 62]، وقال: **ولو ترى إذ وقفوا على ربهم** [الأنعام: 30]، وقال: **ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم** [السجدة: 12]، وقال عز وجل: **وعرضوا على ربك صفاً** [الكهف: 48]، كل ذلك يدل على أنه تعالى ليس في خلقه ولا خلقه فيه، وأنه مستو على عرشه - سبحانه - بلا كيف ولا استقرار، تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً، فلم يُثبتوا له في وصفهم حقيقة، ولا أوجبوا له بذكرهم إياه وحدانية؛ إذ كل كلامهم يؤول إلى التعطيل، وجميع أوصافهم تدل على النفي، يريدون بذلك التنزيه ونفي التشبيه على زعمهم، فنعوذ بالله من تنزيهه يوجب النفي والتعطيل<sup>(1)</sup>.

### دليل آخر:

قال الله تعالى: **الله نور السماوات والأرض** [النور: 35]، فسمى نفسه نوراً، والنور عند الأمة لا يخلو من أن يكون أحد معنيين: إما أن يكون نوراً يُسمَع، أو نوراً يُرى.

فمن زعم أن الله يُسمَع ولا يُرى، فقد أخطأ في نفيه رؤية ربه وتكذيبه بكتابه وقول نبيه .. فقد وروت العلماء عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال: (تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله عز وجل، فإن بين كرسيه إلى السماء ألف عام، والله عز وجل فوق ذلك)<sup>(2)</sup>.

### دليل آخر:

وروت العلماء رحمهم الله عن النبي ﷺ أنه قال: (إن العبد لا تزول قدماه من بين يدي الله عز وجل حتى يسأله عن علمه)<sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup>(?) وصدق الأشعري والله!.. والسؤال: أين الأزهر وشيوخه وكل من يدّعي شرف الانتساب إليه من ك لهذا ونحن نرى أن بينهم وبينه بعد المشرقين، علماً بأن هذا الكلام من قبيل الأشعري موجّه لهم في المقام الأول قبل غيرهم، كونهم أسّ النفي والتعطيل؟.

<sup>2</sup>(?) أخرجه أبو الشيخ في العظمة (1، 2، 4، 21) والطبراني في الوسط (6319) وحسنه الألباني في الصحيحة (1788).

وروت العلماء أن رجلاً<sup>(1)</sup> أتى النبي ﷺ بأمة سوداء فقال: يا رسول الله إنني أريد أن أعتقها في كفارة، فهل يجوز عتقها؟ فقال لها النبي ﷺ: أين الله؟ قالت: في السماء، قال فمن أنا؟ قالت: أنت رسول الله، فقال ﷺ: أعتقها فإنها مؤمنة<sup>(2)</sup>.. وهذا يدل على أن الله تعالى على عرشه فوق السماء فوقية لا تزيده قُرباً من العرش.



<sup>3</sup>(?) صحيح.. أخرجه الترمذي (2417) من حديث أبي بكر بن عياش عن أبي برزة الأسلمي مرفوعاً، لكن بلفظ: (وعن علمه فيم فعل).  
<sup>1</sup>(?) هو معاوية بن الحكم بن مالك بن خالد بن صخر بن الشريد السلمى، صاحب مقولة: (بأبي هو وأمي ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه، فوالله ما كهرني ولا ضربني ولا شتمني)، وذلك حين قال لرجل عطس: (يرحمك الله)، فما كان منه عليه السلام إلا أن قال له: (إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن).. يقول ﷺ: كانت لي جارية ترعى غنماً لي قبيل أجدٍ والجوانية فاطلعت ذات يوم فإذا الذئب قد ذهب بشاة من غنمها - وأنا رجل من بني آدم أسف كما بأسفون - لكنني صككتها صكة، فأتيت رسول الله فعظم ذلك علي، قلت: يا رسول الله أفلا أعتقها؟ قال: (أنتني بها)، فأتيته بها، فقال لها: (أين الله؟) قالت: في السماء.  
<sup>2</sup>(?) صحيح.. رواه مسلم (537).



## الباب الخامس الكلام في الوجه والعينين والبصر واليدين

قال الله سبحانه وتعالى: **كل شيء هالك إلا وجهه** [القصص: 88]، وقال تعالى: **ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام** [الرحمن: 27]، فأخبر أن له - سبحانه - وجهًا لا يفنى، ولا يلحقه الهلاك<sup>(1)</sup>، وقال تعالى: **تجري بأعيننا** [القمر

<sup>1</sup>(?) والأشاعرة قد عمدوا إلى تعطيل (صفة الوجه) في الآيتين بزعم تنزيه الله عن الحوادث وعن إيهام الجوارح، مستدلين على صحة تأويل (الوجه) بـ (الذات) بقول ابن عباس: "الوجه: عبارة عنه" .. كما عضدوا مذهبهم بأن مجاهدًا والضحاك والشافعي أولوا صفة (الوجه) في قول الله تعالى: **فأينما تولوا فثم وجه الله** [البقرة: 115] بـ "قبلة الله" أو على معنى: "فثم الوجه الذي وجهكم الله إليه".

وجوابه: أن (الوجه) في الآية الأخيرة: مما اختلف السلف في كونها من آيات الصفات، وأن أكثرهم على أنها ليست من آياته ففسروها بما ذكر، لاسيما أن (الوجه) قد يراد به في لغة العرب: (الجهة)، وعليه فإن مثل هذا لا يسمى تأويلًا، إنما التأويل: صرف الآية عن مدلولها ومفهومها ومعناها المعروف. أما هذا الذي نقله - في آية الرحمن عن ابن عباس - غير واحد من المفسرين: فليس له أصل، والثابت عنه إثبات الوجه لله تعالى بلا تكيف ولا تجسيم ولا تشبيه، فقد قال في قوله تعالى: **للذين أحسنوا الحسنى وزيادة** [يونس: 26]: "الزيادة: النظر إلى وجه الله" وقد رواه عنه البيهقي في (الأسماء والصفات) ص 150، وكذا اللالكائي في (شرح أصول السنة) 1/ 378. كما رواه اللالكائي عن كعب بن عجرة وسعيد بن المسيب والحسن البصري وعبد الرحمن بن أبي ليلى وعامر بن سعد وأبي إسحاق وابن سابط وعكرمة وقتادة وغيرهم.. ورواه الدارقطني في كتاب (الرؤية) عن الضحاك.

كما قال اللالكائي في (شرح أصول السنة) 1/ 373 وتحت عنوان: (سياق ما فُسر من الآيات في كتاب الله على أن المؤمنين يرون الله يوم القيامة بأبصارهم): قد "رُوي عن النبي في ما صح عنه من تفسيره، أن (الزيادة): (النظر إلى الله عز وجل).. وروى ذلك من الصحابة: أبو بكر الصديق وحذيفة بن اليمان وأبو موسى الأشعري وابن مسعود.. ومن التابعين: عبد الرحمن بن أبي ليلى وسعيد بن المسيب والحسن وعكرمة وعامر بن سعد البجلي وأبو إسحاق السبيعي ومجاهد وعبد الرحمن بن سابط وقتادة والضحاك وأبو سنان".

إدًا فهما - النظر إلى الله أو إلى وجهه تعالى - روايتان غير متعارضتين ولا يمكن التغاضي عن إحداهما على حساب الأخرى.. ويؤكد هذا أن مجاهدًا وجميع من نُقل عنهم تفسير الآية من سورة الرحمن، لم ينف (صفة الوجه) عن الله.. وكذا فعل البخاري عندما عقد بابًا في (كتاب التوحيد) من صحيحه، في إثبات (الوجه) لله مستدلًا بالآية ذاتها، وساق من الأحاديث ما يوضح أن تفسير (الوجه) بـ (الذات) لا ينافي إثبات صفة الوجه، وبما يعني: أن الذي يُنكر في هذا المقام، هو: تعطيل (صفة الوجه) لله تعالى، أما تفسير هذه الصفة بـ (الذات) فلا

[14]: وقال تعالى: **واصنع الفلك بأعيننا ووحينا** [هود: 37]، فأخبر تعالى أن له وجهًا وعينًا لا تكيف ولا تحدُّ، وقال تعالى: **واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا** [الطور: 48]، وقال تعالى: **ولتصنع على عيني** [طه: 39]<sup>(1)</sup>، وقال تعالى: **وكان الله سميعًا بصيرًا** [النساء: 134]، وقال لموسى وهارون -عليهما أفضل الصلاة والسلام-: **إنني معكما أسمع وأرى** [طه: 46].. فأخبر تعالى عن سمعه وبصره ورؤيته.

غضاضة فيه، فالشيء قد يُعبر عنه ببعض صفاته.. وعليه فقوله: **كل شيء هالك إلا وجهه** [القصص: 88] وبموجب السياق، المراد به: ذاته تعالى المتصفة بالصفات العلى ومنها (الوجه)، وهذا ظاهر لا خفاء فيه، إذ لا يفنى منه شيء تعالى عن ذلك، وإنما عبر القرآن عن ذلك بذكر صفة من صفاته تعالى، وهي: وجهه.

قال الحافظ ابن كثير - في تفسيره لآية الرحمن بعد أن ساق قول مجاهد بأن المراد من الآية: "إلا ما أريد به وجهه" -: "وهذا القول، لا ينافي القول الأول - يعني: تفسيره (الوجه) بـ (الذات) - فإن هذا إخبار عن كل الأعمال بأنها باطلة إلا ما أريد بها وجه الله من الأعمال الصالحة المطابقة للشريعة، والقول الأول مقتضاه: أن كل الذوات فانية وهالكة إلا ذاته تعالى، فإنه الأول الآخر، الذي هو قبل كل شيء وبعد كل شيء".

وكان الأشعري أبو الحسن قد ساق حكاية أهل السنة وأصحاب الحديث في إثبات (صفة الوجه) لله تعالى وسيأتي نص عبارته.. كما ينظر للمزيد من الأدلة على إثباتها كتابنا: (قرائن اللغة والنقل والعقل على حمل صفات الله على ظاهرها دون المجاز)، وعلى رد تأويل (صفة الوجه) دون ما قرينة مانعة: كتابنا (موقف السلف من المجاز في الصفات) صفحات 72، 110، 116، 132 وما بعدها

<sup>1</sup>(?) أما عن الأربع آيات الأخيرة التي استشهد الأشعري بها بشأن (صفة العينين) لله تعالى، فهي لبيان وجوب إثباتهما بحقه تعالى والإخبار بذلك على حدِّ قوله، وإلا فلا إثبات هذه الصفة لله أدلة أكثر صراحة وأوضح استدلالاً عليها.. وإنما نقول ذلك لأنه لم يجزُ لدى سلفنا إغفال سياقات الكلام ومقتضيات الأحوال في معالجة مثل هذه الأمور، فائمة السلف لم يمنعوا تفسير الصفة بلازمها بمعونة السياق، شريطة إثباتها له تعالى على الوجه اللائق به من غير تكيف ولا تشبيه ولا تجسيم ولا تأويل ولا تفويض.

وعليه فقد وجب التنبيه على أن من لم ينكر ثبوت هذه الصفة لله تعالى من أئمة أهل السنة وذهب إلي تفسيرها في نحو آيتي: (القمر) و(هود) بلازمها - حيث الحديث عما كان من أمر نوح عليه السلام وكيد قومه له، وباعتبار أن نوحًا ولا فُلْكه لم يكونا في نفس عين الله، لكون ذاته تعالى ليست محلًا للمخلوقات كما هو معلوم لدى كل عاقل - فإن ذلك لا يُعدُّ في حقه تأويلًا، لكون ثبوت اللازم فرعًا من ثبوت الملزوم، وبخاصة مع ما ورد عن ابن عباس من أنه في آية القمر: (أشار إلى عينيه).. وينحى من ذلك يقال بحق نبي الله موسى ومحمد عليهما السلام الوارد ذكرهما في آيتي (الطور) و(طه)

**فصل:**

ونفى الجهمية أن يكون لله تعالى (وجهٌ) كما قال، وأبطلوا أن يكون له (سمع وبصر وعين)، ووافقوا النصارى؛ لأن النصارى لم تثبت الله (سميعاً بصيراً) إلا على معنى: أنه (عالم)، وكذلك قالت الجهمية، ففي حقيقة قولهم أنهم قالوا: نقول إن الله عالم، ولا نقول سميع بصير على غير معنى عالم، وذلك قول النصارى.

قالت الجهمية: إن الله لا علم له، ولا قدرة، ولا سميع له، ولا بصر، وإنما قصدوا إلى تعطيل التوحيد، والتكذيب بأسماء الله

وكذا لو قال قائل في قوله تعالى بحق موسى وهارون وكيد فرعون لهما: **﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمِعُ وَأَرَى﴾** [طه: 46]، (أي: أنتم في حظي ورعايتي)، وكذا الآية 39 من نفس السورة؛ لكان صحيحاً وليس هذا من قبيل التأويل للرؤية أو السماع، لكون إثباتهما حاصل بثبوت لازمهما.. وينظر للمزيد في ذلك (الأشاعرة في ميزان أهل السنة) ص 559: 561 كما ينظر في رد تأويل صفة العين لله فيما سوى ذلك كتابنا: (موقف السلف من المجاز في الصفات) صفحات 81، 114، 116، 132 وما بعدها.

على أن ما سبق لا يمنع بل يستوجب ذكر (قرائن النقل أو الشرع أو السمع) على حمل (صفة العينين) على ظاهرها دون ما تأويل ولا تمثيل ولا تكيف ولا تجسيم ولا تفويض، ونذكر منها - من غير ما أورده الأشعري -:

ما أخرجه الشيخان - البخاري (7407) وبنحوه (3439) ومسلم (2932) - عن نافع من أن ابن عمر أخبره أن الدجال ذكر بين ظهرائي الناس، فقال رسول الله **﴿: إن الله لا يخفى عليكم، إن الله ليس بأعور - وأشار بيده إلى عينه - وإن المسيح الدجال أعور عين اليمنى، كان عينه عنبة طافية﴾**.

وهي فيما جعله البخاري تحت باب: (حجة الوداع) - 4402 وبنحوه 7132 - عن ابن عمر، بلفظ: (ما بعث الله من نبي إلا أنذر أمته، أنذره نوح والنيون من بعده، وإنه يخرج فيكم، فما خفي عليهم من شأنه فليس يخفى عليكم.. إن ربكم ليس بأعور، وإنه أعور عين اليمنى، كان عينه عنبة طافية).. وكذا فيما جعله تحت باب (قول الرجل: أخساً) - (6175) وبنحوه: (3057، 3337، 7127) ومسلم (2931) - عنه، بلفظ: (قام رسول الله **﴿: في الناس، فأثنى على الله بما هو أهله، ثم ذكر الدجال فقال: (إني أنذركموه، وما من نبي إلا وقد أنذره قومَه، ولقد أنذر نوح قومَه، ولكني سأقول لكم فيه قولاً لم يقله نبي لقومه، تعلمون أنه أعور، وأن الله ليس بأعور).. وفيما أخرجه البخاري أيضاً - (7408، 7131 ومسلم 2933) - من رواية أنس عنه **﴿: بلفظ: (ما بعث الله من نبي إلا وقد أنذر أمته الأعور الكذاب، ألا إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور، مكتوب بين عينيه كافر). ووجه الاستدلال في جملة هذه الأحاديث - على اختلاف ألفاظها وتنوع عباراتها وتعدد طرقها ورواياتها، وهي قليلة من كثير، وعلى نحو ما نص عليه ابن المنير ونقله عنه ابن حجر في الفتح 13/ 401 -: "إثبات العين لله من جهة أن العور عرفاً: عدم العين، وضد العور: ثبوت العين، فلما نُزعت هذه النقيصة، لزم ثبوت الكمال بضدها، وهو: وجود العين"، يقول الدارمي أبو سعيد كما في (عقائد السلف) للنشار ص 315: "قول رسول الله **﴿: (إن الله ليس بأعور)، بيان أنه تعالى بصير ذو عينين، خلاف الأعور.. فهذا بضميمة قوله عز من قائل: **﴿ليس********

تعالى، فأعطوا ذلك له لفظاً، ولم يحصلوا قولهم في المعنى، ولولا أنهم خافوا السَّيف؛ لأفصحوا بأن الله غير سميع ولا بصير ولا عالم، ولكن خوف السيف منعهم من إظهار زندقتهم.

وزعم شيخ منهم نحسُّ مقدّم فيهم أن علم الله هو الله، وأن الله - سبحانه - علم، فنفي العلم من حيث أوهم أنه يثبتته حتى ألزم أن يقول: يا علم اغفر لي؛ إذ كان علم الله عنده هو الله، وكان الله - على قياسه الفاسد - علماً وقدرَةً.. تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

**كمثله شيء** [الشورى: 11] دال على أنها ليست بحدقة ولا مما يُظن فيه التشبيه.

وعليه فلا يُلتفت لما جنح إليه المتكلمة من تأويل تلك الصفة، أو حملها على التمثيل أو التشبيه أو التجسيم، لأن شيئاً من ذلك لا يتأتى إلا بعد تكييف، وهو مجهول! ولأن أحداً - ممن أثبتها من أهل السنة وأصحاب الحديث على النحو اللائق به سبحانه وتعالى - ما قال إنها على معنى: إثبات الجارحة له تعالى، وقد ساق ابن حجر بالفتح 13/ 402 في ذلك كلام الشيخ شهاب الدين السهروردي ت 632 في كتاب (العقيدة) له، قال:

"أخبر الله في كتابه وثبت عن رسوله: (الاستواء) و(النزول) و(النفس) و(اليد) و(العين)، فلا يُتصرف فيها بتشبيه ولا تعطيل، إذ لولا إخبار الله ورسوله ما تجاسر عقل أن يحوم حول هذا الحمى.. قال الطيبي: هذا هو المذهب المعتمد وبه يقول السلف الصالح، وقال غيره: لم يُنقل عن النبي ﷺ ولا عن أحد من أصحابه من طريق صحيح، التصريح بوجوب تأويل شيء من ذلك ولا المنع من ذكره، ومن المحال أن يأمر الله نبيه بتبليغ ما أنزل إليه من ربه، ويُنزل عليه **اليوم أكملت لكم دينكم** [المائدة: 3]، ثم يترك هذا الباب فلا يُميز ما يجوز نسبته إليه مما لا يجوز، مع حضه على التبليغ عنه بقوله ﷺ: (يلبغ الشاهد الغائب)، حتى نقلوا أقواله وأفعاله وأحواله وصفاته وما كان بحضرته، فدل على أنهم اتفقوا على الإيمان بهذه الصفة على الوجه الذي أراده الله منها، ووجب تنزيهه عن مشابهة المخلوقات بقوله تعالى: **ليس كمثل شيء** [الشورى: 11]، فمن أوجب خلاف ذلك بعدهم، فقد خالف سبيلهم" أ.هـ.

وهو إنما اقتصر في وصف السدجال على ذكر العور مع أن أدلة الحدوث فيه ظاهرة، لكون العور أمر محسوس، يدركه العالم والعامي ومن لا يهتدي إلى الأدلة العقلية، فإذا ادّعى الربوبية وهو ناقص الخلقة - والإله يتعالى عن النقص - عُلم أنه كاذب، وأن الله تعالى متصف بضده ومنزه عن النقص، كذا أفاده صاحب الفتح 13/ 103.

**ومن الأدلة الشرعية على إثبات تلك الصفة من غير ما ذكر:**

1) حديث أبي هريرة - الذي صحح إسناده الألباني في (صحيح أبي داود) - وفيه يقول أبو هريرة: رأيت رسول الله ﷺ يقرأ قوله تعالى: **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَوَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا**، إلى قوله تعالى: **إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا** [النساء: 58]، ويضع - أبو هريرة - إبهامه على أذنه والتي تليها على عينه، ويقول: (رأيت رسول الله ﷺ يقرأها ويضع أصبعيه).. وإنما فعلاه تحقيقاً لمعنى الصفة وبيان أنها حقيقة وليست مجازاً، وحاشاهما أن يكونا قد فعلا ذلك

قال الشيخ أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري رحمه الله ورضي عنه: بالله نستهدي، وإياه نستكفي، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وهو المستعان.. أما بعد: فمن سألنا فقال: أتقولون إن لله - سبحانه - وجهًا؟ قيل له: نقول ذلك، خلًا لما قاله المبتدعون، وقد دل على ذلك قوله تعالى: **ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام** [الرحمن: 27].

تشبيهًا بعين المخلوق.

(2) وما ذكره ابن حجر في الفتح 13/ 385 كشاهد لحديث أبي هريرة السالف الذكر، من حديث عقبة بن عامر وسنده حسن، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول على المنبر: (إن ربنا سميع بصير) وأشار إلى عينيه صلوات الله عليه.

(3) وكذا ما أورده اللالكائي في شرح أصول السنة 1/ 337 تحت باب: (ما دل من كتاب الله تعالى وسنة رسول الله بأن الله سميع بسمع بصير ببصر)، فقد ذكر فيه ضمن ما ذكر: ما أخرجه أبو داود بسند صحيح من أن النبي ﷺ قرأ آية: **سميعًا بصيرًا** [النساء: 58]، فوضع إصبعه وإبهامه على عينه وأذنه.. وما أورده هو بسنده عن ابن عباس في قوله تعالى: **تجري بأعيننا** [القمر: 14]، قال: أشار بيده إلى عينيه.. وفيهما وما قبلهما ما في السابق من تحقيق معنى الصفة وعدم صرفها إلى المجاز.

(4) ومن أدلة ثبوتها كذلك: ما ذكره البخاري في باب: **وكان الله سميعًا بصيرًا**، من نحو حديث أبي موسى 7386، قال: كنا مع النبي ﷺ في سفر، فكنا إذا علونا كبرنا، فقال: (أربعوا على أنفسكم، فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبًا، إنما تدعون سميعًا بصيرًا قريبًا)، وقد علق عليه ابن حجر في الفتح 13/ 385 بقول ابن بطال:

"غرض البخاري في هذا الباب: الرد على من قال: (إن معنى سميع بصير: عليم) - ويعني بذلك: أهل الاعتزال - قال: (ويلزم من قال ذلك أن يسويه بالأعمى الذي يعلم أن السماء زرقاء ولا يراها، والأصم الذي يعلم أن في الناس أصواتًا ولا يسمعها، ولا شك أن من سمع وأبصر أدخل في صفة الكمال ممن انفرد بأحدهما دون الآخر، فصح أن كونه سميعًا بصيرًا يفيد قدرًا زائدًا على كونه عليمًا، وكونه سميعًا بصيرًا يتضمن أنه يسمع بسمع ويبصر ببصر، كما تضمن كونه عليمًا أنه يعلم بعلم، ولا فرق بين إثبات كونه سميعًا بصيرًا وبين كونه ذا سمع وبصر)، قال: (وهذا قول أهل السنة قاطبة)".

لكن الغريب في الأمر أن ابن حجر وكل من حبل بقيده من متكلمة الأشاعرة؛ يردون على المعتزلة إنكارهم لصفتي السمع والبصر على هذا النحو المفحم، وهم من يخالفون أهل السنة ويتأولون (صفة العين) وينفونها بزعم تنزيه الله عن مشابهة الحوادث، فعطلوا بعد أن شبهوا وكيفوا، والأغرب أنهم يشاركون المعتزلة في تعطيل غير صفات المعاني وفي تحريف نصوصها، بل ويعتمدون نفس تأويلاتهم الباطلة في سائر صفات الله الخيرية والفعلية، ويتبعون سننهم في هذا حذو القُذَّة بالقُذَّة، والحق أنه ليس ثمة تناقض أفحش من هذا، بل هو التناقض عينه.

**مسألة:**

قد سئنا أتقولون إن لله يدين؟، قيل: نقول ذلك بلا كيف، وقد دل عليه قوله تعالى: **يد الله فوق أيديهم** [الفتح: 10]، وقوله تعالى: **خلقت بيدي** [ص: 75].. ورُوي عن النبي ﷺ أنه قال: (إن الله مسح ظهر آدم بيده فاستخرج منه ذريته)<sup>(1)</sup>، فثبتت اليد بلا كيف.

وجاء في الخبر المأثور عن النبي ﷺ (أن الله تعالى خلق آدم بيده، وخلق جنة عدن بيده، وكتب التوراة بيده، وغرس شجرة

5) ومن أدلة الشرع على ما نحن بصدده من إثبات صفة العينين لله تعالى: ما أخرجه مسلم وغيره من حديث أبي هريرة: (إن الله لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يُرفع إليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل، وحجابه النور، لو كشفه لأحرقت سُبحات وجهه كل شيء أدركه بصره)، وفي رواية له عن أبي ذر: (لأحرقت سُبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه).. فقوله: "(لو كشفه: يعني: لو رفع الحجاب عن أعينهم ولم يُثبتهم لرؤيته؛ لاحترقوا وما استطاعوا"، انتهى من كلام البيهقي، وكان أن نقل في معنى (السُّبحات) قوله أبي عبيدة: "إنها جلال وجه الله، ومنها قيل: (سبحان الله)، وهو تعظيم له تعالى وتنزيهه".

6) و(ما جاء في إثبات صفة البصر والرؤية لله تعالى): وهذا عنوان جعله البيهقي ص 252 - ومن علي شاكلته من أهل الاعتقاد - بابًا أدرج تحته ما ورد من ذلك من نصوص القرآن، من نحو قوله تعالى: **فسيرى الله عملكم** [التوبة: 105]، وقوله تعالى: **إنه كان بعباده خبيرًا بصيرًا** [الإسراء: 30]، وقوله: **إن الله بعباده لخبير بصير** [فاطر: 31] وقوله: **ألم تعلم بأن الله يري** [العلق: 14].

7) وكذا ما استشهد به ابن حجر في الفتح لنصوص الباب، من نحو قوله تعالى: **ولا ينظر إليهم** [آل عمران: 77]، وحديث: (لا ينظر الله إلى من جر ثوبه خيلاء).. إلى آخر ذلك مما يدل بطريق المخالفة على إثبات صفة العين، ولا يوجد معه دليل يصرفها عن ظاهرها.. بل العكس على ما أفاده قوله ﷺ فيما رواه مسلم عن أبي هريرة رفعه: (.. ولكن ينظر إلى قلوبكم)، وحديث: (إن رجلاً ممن كان قبلكم لبس بردتين يتبختر فيهما، فنظر الله إليه فمقته).. وهل ثمة نظر إلا بالعين؟!

وقد تبين مما سبق أن له تعالى عينين يحيط بهما خلقه ويحرم بعض عباده من النظر إليه تعالى مجازاة، خلًا للأشاعة الذين يثبتون لله البصر ولا يثبتون العين، ويقولون: (إن الله يرى لكن لا بعين) ويقفون عند هذا الحد.. وإنما قال أهل السنة: (إن الرؤية شيء والعين شيء آخر، وإنه لا يلزم من إثبات البصر إثبات العين) مع سلامة الاعتقاد في إثبات صفة العينين له تعالى على النحو السالف الذكر، لأن ذلك ممكن عقلاً، فهذا هو القرآن يتحدث عما يكون عليه حال الأرض يوم القيامة فيقول: **يومئذ تحدث أخبارها** [الزلزلة: 4]، فأخبر أنها تُحدَّث بما كان يعمل عليها الناس، وما كانت تسمعه منهم: بلا أذن، وما كانت تراه لهم: بلا عين، وخالقها سبحانه قادر على كل شيء، ويقال للمجسمة الذين ذهبوا إلى الجارحة وكذا للمتأولة: "لا نقول إن لها مثيلاً حتى تلزمونا بذلك، وأنتم

طوبى بيده<sup>(1)</sup>، وقال تعالى: **بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ** [المائدة: 64].. وجاء عن النبي ﷺ أنه قال: (كلتا يديه يمين)<sup>(2)</sup>.. وقال تعالى: **لَأَخْذُنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ** [الحاقة: 45].

وليس يجوز في لسان العرب، ولا في عادة أهل الخطاب، أن يقول القائل: (عملت كذا بيدي)، ويعني به: (النعمة).. وإذا كان الله عز وجل إنما خاطب العرب بلغتها وما يجري مفهوماً في كلامها، ومعقولاً في خطابها، وكان لا يجوز في خطاب أهل اللسان أن يقول القائل: (فعلت بيدي)، ويعني: (النعمة).. بطل أن يكون معنى قوله تعالى: **خَلَقْتَ بِيَدِي** [ص: 75]: (النعمة)..

إذا ألزمتونا بذلك ألزمتناكم بذلك في ذاته تعالى.. إذ للخلق ذوات وهي أجسام، ولكن ذاته تعالى لا تشبه ذواتهم، كذا في شرح العقيدة السفارينية ص 149، 210.

**وأما دلالة اللغة على إثبات صفة العين له تعالى وإبطال صرفها من ثم إلى المجاز، فمن وجوه عدة، أهمها:**

1- إشارة النبي ﷺ إلى عينيه عند ذكر صفة البصر أو العين، وكذا من روى عنه من الصحابة على نحو ما ذكرنا فيما سبق، وفي ذلك يقول البيهقي في (الأسماء والصفات) ص 254 وقد نقله عنه ابن حجر في الفتح 13/ 385: "المراد بالإشارة المروية في الخبر - يعني خبر أبي هريرة الفأنت - تحقيق الوصف لله بالسمع والبصر، فأشار إلى محلي السمع والبصر منا، لإثبات صفتها له تعالى، كما يقال: (قبض فلان على مال فلان)، وبشار باليد، على معنى: أنه حاز ماله"، قال: "وأفاد هذا الخبر أنه سميع بصير، له سمع وبصر لا على معنى أنه عليم، إذ لو كان بمعنى العلم لأشار في تحقيقه إلى القلب لأنه محل العلوم منا، وليس في الخبر إثبات الجارحة، تعالى الله عن شبه المخلوقين علواً كبيراً".

2- أن فيما ذكرناه لابن بطال، الرد القاطع على من أخرج الصفة إلى المجاز وتأولها.. وفي المزيد من رد ما فاه به أهل الاعتزال - وقد تبعهم فيه أهل الكلام - يقول ابن حجر في الفتح 13/ 385: "واحتج المعتزلي بأن السمع ينشأ عن وصول الهواء المسموع إلى العصب المفروش في أصل الصماخ والله منزّه عن الجوارح.. وأجيب: بأنها عادة أجزاها الله تعالى فيمن يكون حياً فيخلقه الله عند وصول الهواء إلى المحل المذكور، والله سبحانه يسمع المسموعات بدون الوسائط، وكذا يرى المرئيات بدون المقابلة وخروج الشعاع، فذات الباري مع كونه حياً موجوداً لا تشبه الذوات، وكذلك صفات ذاته لا تشبه الصفات" إ.هـ.

3- أن إثبات هذه الصفة إنما يأتي قياساً على سائر صفاته تعالى الذاتية الثابتة في حقه تعالى من سمع وقدرة وإرادة وعلم وحياة، على الوجه اللائق به من غير تكيف ولا تشبيه ولا تمثيل ولا تجسيم، لأن دلالة العقل والسمع على أنه (رحمن رحيم سميع بصير)، كدلالتهما على أن له تعالى (عينين ويد ووجه ومجيء ويمين وإتيان وأصابع) تليق بذاته، ودلالتهما على إثبات ذلك لا تتنافى مع دلالة اللغة بل تتلاقى معها تماماً، لكون المعنى المفهوم في حقنا - على ما تقضي به اللغة - يمتنع على الله، فكما أن (إرادته) ليست من جنس إرادته خلقه (فرحمته) كذلك، وكذا (محبتة واستواؤه ووجهه ويداه وعيناه)، وكل ذلك معلوم بالبدية على ما أفاده شيخ الإسلام في (الإكليل) ص 23: 36.

وذلك أنه لا يجوز أن يقول القائل: (لي عليه يدي)، بمعنى: (لي عليه نعمتي)، ومن دافعنا عن استعمال اللغة ولم يرجع إلى أهل اللسان فيها، دوفع عن أن تكون (اليدي) بمعنى: (النعمة)؛ إذ كان لا يمكنه أن يتعلق في أن (اليدي: النعمة) إلا من جهة اللغة، فإذا دَفَع اللغة لزمه أن لا يفسر القرآن من جهتها، وأن لا يُثبت (اليدي نعمة) من قبلها.

لأنه إن روجع في تفسير قوله تعالى: **بِيَدِي**: (نعمتي) إلى الإجماع، فليس المسلمون على ما ادّعى متفقين، وإن روجع إلى

4-مجيئها مثناة، على ما هو مفاد من قوله في وصف الدجال: (إنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور)، وكذا لفظ: (أعور العين اليمنى).. ذلك أنه لا عور إلا لذي عينين، كما لا يقال في لغة العرب: (أعور) إلا لعور العين، خلًا لِمَا لو قيل: (عور) أو (عوار) فإنه ربما يراد به مطلق العيب.

على أن ورودها في نحو قوله تعالى: **ولتصنع على عيني** [طه: 39]، وقوله: **واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا** [الطور: 48]، وقوله: **تجري بأعيننا** [القمر: 14]، كذا بصيغة الإفراد تارة وبصيغة الجمع أخرى، يعدُّ قرينة دالة كذلك على أن المراد منها الحقيقة والحمل على الظاهر المسوّغ لجعل المعنى: (ولتربي وتُحبب إلى الخلق وتُغذي على عيني)، فهو "كقولك: (أفعل هذا على عيني) و(أحبك على عيني)، ولا يريد أن له عينًا واحدة، أما إذا أضيفت العين إلى اسم الجمع ظاهرًا ومضمرًا فالأحسن - على حد ما جاء في مختصر الصواعق ص 27 - جمعها مشاكلة للفظ"، والمعنى في آية الطور: (اصبر على أذاهم ولا تباليهم فإنك بمرأى منا)، وفي آية القمر: (تجري بأمرنا وبمرأى منا وتحت حفظنا وكلاءتنا)، وتلك عبارات الحافظ ابن كثير وقهم الأشعري إمام المذهب، فهما وسواهما من أهل الحق لم يفهموا من (الأعين) أعينًا كثيرة على نحو ما يتراءى لأهل الزيغ والضلال.

والقول بأن هذا تأويل، يرد عليه: أن دلالة السياق على ذلك، وعلى منع أن يكون الظاهر: أن كلم الله موسى وحببه محمد أو سفينة نوح تجري في نفس العين، فإن هذا لا تقتضيه اللغة العربية.. لكن ذلك مشروط - كما سبق أن أشرنا - بأن يتأتى ممن يُقَرُّ بالصفة، فيكون من باب التفسير باللازم مع إثبات الأصل وإلا عُذُّ ذلك منه تحريفًا، لكون هذه المعاني لا تستعمل أصلًا إلا لمن له عين حقيقية.. ولا يبعد أن تحمل صيغ الجمع في مثل هذا: على ما دون الثلاثة وأن أقله اثنان، وأنه إنما لم يُرد به مدلوله التعددي وإنما المعنوي وهو التعظيم، تمامًا كما هو الحال في قوله تعالى: **أو لم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعامًا** [يس: 71]، ولغة العرب تتسع لذلك أيضًا، فقد يعبر فيها عن الاثنين بلفظ الجمع، وقد يقوم فيها الواحد مقام الاثنين، والقرآن إنما نزل بلغة العرب.

5- أن العين مما يتنوع فيه المضاف بتنوع المضاف إليه.. فإذا قيل: (بصر الله) و(سمعته) و(وجهه) و(يده) و(علمه) و(قدرته) و(مشيئته) و(إتيانه).. كان ذلك حقيقة، وكان المضاف فيه بحسب المضاف إليه، فإذا لم يكن المضاف إليه مماثلًا لغيره لزم بالضرورة أن يكون المضاف كذلك غير مماثلٍ لغيره، فدعوى لزوم التشبيه والتمثيل التي تكررت كثيرًا في كلام من نفى الصفة، دعوى باطلة، لأنه متى لزم من إثبات العين لله حقيقة التمثيل والتشبيه، لزم ذلك في إثبات

اللغة فليس في اللغة أن يقول القائل: (بيدي)، يعني: (نعمتي)، وإن لجأ إلى وجه ثالث سألتناه عنه، ولن يجد له سبيلاً<sup>(1)</sup>.

### مسألة:

**ويقال لأهل البدع:** ولم زعمتم أن معنى قوله: (بيدي): (نعمتي)؟!؛ أزعمتم ذلك إجماعاً أو لغة؟.. فلا يجدون ذلك إجماعاً ولا في اللغة.

**وإن قالوا:** قلنا ذلك من القياس؛ قيل لهم: ومن أين وجدتم في القياس أن قوله تعالى: ﴿يَبِي﴾ لا يكون معناه إلا

سائر الصفات التي أثبتوها، وإذا أشبهت الصفة القديمة صفات المخلوقين لزم وقوع التشبيه بين الذاتين، وهذا - بالطبع - باطل فبطل ما أدى إليه. 6- أن العقل حاكم بكون صفة العين صفة كمال ونفيها نقص، وكل كمال في المخلوق فالله تعالى أولى به، وعليه فتأويلها بـ (الحفظ والرعاية) وما أشبه بدون دلالة السياق، مما يدخل في إطار النفي لهذه الصفة أو التعطيل، ولا تساعده اللغة ولا تدل عليه، بل يعد اتهاماً للخالق بالنقص وهو سبحانه منزّه عنه. 7- يدل على أن نفي العين في حق الله نقص - ومن ثم تكون ثابتة له تعالى على الوجه اللائق به ويكون إثباتها له صفة كمال -؛ أقواله ' المتضافرة في نفي نقص العور عنه تعالى كما في أحاديث الدجال التي مرت بنا.. وفي تأكيد ما سبق - ومن غير ما جاء في كلام الأشعري في الإبانة - يقول البيهقي والطبي: "عَرَفْنَا بقوله تعالى: ﴿ليس كمثله شيء﴾ [الشورى: 11] أنها ليست بحدقة ولا مما يُظن فيه التشبيه أو التجسيم، وكان إثبات أهل السنة وأصحاب الحديث للصفة على النحو الذي نقله عنهم أبو الحسن الأشعري وعدم نفيها كما نفته المعتزلة والجهمية والخوارج"، كذا أفاده البيهقي في الاعتقاد ص 70 والأسماء والصفات ص 446 كما نقله ابن حجر عن الطبي في الفتح 13 / 402.

8- قول منتطعي الإثبات من الحشوية بأن (ما سبق أن ذكرناه مما اقتضته السياقات: تعطيل أو تحريف للكلم عن مواضعه أو مخالفة لأوضاع اللغة)، يرد عليه: أن هذا - وعلى ما تقتضيه اللغة - غير صحيح بالمرّة، لكونه من قبيل التفسير باللازم المتفرع والمستلزم لثبوت الملزوم، وهو فضلاً عن كونه ليس بالغريب عن لغة العرب، هو مما يسيغه السياق، إذ من المعلوم ما كان يكيدته أقوام نوح وموسى ومحمد لأنبيائهم عليهم السلام، فكانت التسلية من الله لهم: أنكم بمسراى منا وتحت نظرنا وحفظنا، وهو - مع ذلك - إنما يُقبل فقط مما البشروط في قائله أن يكون ممن يثبت الصفة لا ممن ينكرها ولا يثبتها، ولا ممن يتأولها بدون دليل فيكون ممن يحرفون الكلم عن مواضعه.

على أن أبا الحسن الأشعري إمام المذهب لم يكتف بما ذكره هنا في (الإبانة)، حتى جعل يؤكد في (مقالات الإسلاميين) ص 211 إبان رده أيضاً عادية المعتزلة والمجسمة ومن تبعهما أو كان علي شاكلتهما، في تأويلاتهم صفة العين لله تعالى.. وليعلن أنه ضد الأشعرية وأنه يدين الله تعالى بمذهب أهل السنة وأصحاب الحديث.

وذلك قوله: "وقال أهل السنة وأصحاب الحديث: ليس بجسم ولا يشبه الأشياء.. وأن له عينين كما قال: ﴿تجري بأعيننا﴾ [القمر: 14].. وقوله رحمه الله في موضع آخر بنفس المصدر ص 217 في سياق الاختلاف في العين والوجه واليد

(نعمتي؟)؛ ومن أين يمكن أن يُعلم بالعقل أن تفسير كذا وكذا مع أنّ رأينا الله عز وجل قد قال في كتابه العزيز، الناطق على لسان نبيه الصادق: **﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه﴾** [إبراهيم: 4]، وقال تعالى: **﴿لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين﴾** [النحل: 103]، وقال تعالى: **﴿إنا جعلناه قرآناً عربياً﴾** [الزخرف: 3]، وقال تعالى: **﴿أفلا يتدبرون القرآن﴾** [محمد: 24]، ولو كان القرآن بلسان غير العرب لما أمكن أن نتدبره، ولا أن نعرف معانيه إذا سمعناه، فلما كان من لا يحسن لسان العرب لا يحسنه، وإنما يعرفه العرب إذا

ونحوها: "وقال أصحاب الحديث: لسنا نقول في ذلك إلا ما قاله الله، أو جاءت به الرواية عن رسول الله ﷺ، فنقول: (وجه بلا كيف، وبدان وعينان بلا كيف).." وأشار في موضع ثالث بنفس المصدر ص 290 إلى أن: "جملة ما عليه أهل الحديث والسنة: الإقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله وما جاء من عند الله وما رواه الثقات عن رسول الله ﷺ، لا يردُّون من ذلك شيئاً.. وأن الله على العرش كما قال.. وأن له عينين بلا كيف كما قال: **﴿تجري بأعيننا﴾** [القمر: 14].." إلى أن قال: "فهذه جملة ما يأمر به ويستعملونه ويرونه (وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول وإليه نذهب)" إ.هـ.

وكان - قد ساق في (رسالته إلى أهل الثغر) الإجماع على إثبات جميع ما أثبتته تعالى لنفسه وأثبتته له رسوله ﷺ، فذكر في (الإجماع الرابع) أن أهل السنة "أجمعوا على إثبات حياة لله لم يزل بها حياً.. وسمعاً وبصراً لم يزل به سمياً بصيراً، وعلى أن شيئاً من هذه الصفات لا يصح أن يكون محدثاً، إذ لو كان شيئاً منها محدثاً لكن تعالى قبل حدثها موصوفاً بضعدها، ولو كان ذلك لخرج عن الإلهية".

إلى أن قال في (الإجماع الخامس): "ولا يجب إذا أثبتنا هذه الصفات له ﷻ على ما دلت العقول واللغة والقرآن والإجماع عليها - أن تكون محدثة، لأنه تعالى لم يزل موصوفاً بها، ولا يجب أن تكون أعراضاً لأنه ﷻ ليس بجسم، وإنما توجد الأعراض في الأجسام، ويُدلُّ بأعراضها فيها وتعاقبها عليها على حدثها.. فلذلك لا يجوز على صفاته ما يجوز على صفاتنا.." وقال في (الإجماع السابع): "وأجمعوا على أنه ﷻ (يسمع ويرى)، وأن له تعالى (يدين مبسوطتين)، وأن الأرض جميعاً (قبضته) يوم القيامة، والسموات مطويات (بيمينه) من غير أن يكون جوارحاً، وأن (يديه) تعالى غير نعمته.." وقال في (الإجماع العاشر): "وأجمعوا على وصف الله تعالى بجميع ما وصف به نفسه ووصفه به نبيه ﷺ من غير اعتراض فيه ولا تكيف له.." وقال في (الإجماع الثالث والأربعين): "وأجمعوا على التصديق بجميع ما جاء به رسول الله ﷺ في كتاب الله وما ثبت به النقل من سائر سننه، ووجوب العمل بمحكمه والإقرار بنص مشكله ومتشابهه" إلخ.

فأبو الحسن - على نحو ما رأينا - يرد قالة السوء التي نطق بها (المتأولة) (والمجسمة) من كل وجه، بل ومن يزعمون أنهم على مذهبه من (الأشاعرة)؛ ولا يخرج عما فاه به (أهل السنة والجماعة)، ولا يكف عن تقرير مذهبهم.. ولا غرو فهو واحدٌ منهم، ومن ثم فقد تسنى له أن يبين أن مذهبهم - الذي هو مذهبه - يتمثل في: إثبات ما أثبتته تعالى لنفسه وأثبتته له رسوله ﷺ من غير تكيف ولا تجسيم ولا تشبيه ولا تمثيل، وأن من ذلك (صفة العين) التي يتنزه سبحانه أن

سمعوه علي أنهم إنما علموه؛ لأنه بلسانهم نزل، وليس في لسانهم ما ادَّعَوْه؟.

تكون جزءاً أو بعضاً من ذاته، فإن الجزء أو البعض: ما جاز أن ينفصل عن الكل وذلك ممتنع عليه تعالى.. ولو أخذنا نسرد ما قاله أئمة أهل السنة من غير الأشعري في إثبات صفة العينين لطال بنا الحديث، ونكتفي هنا بالإشارة لما جاء من نصوص كلامهم في كتابنا: (قرائن اللغة والنقل والعقل في حمل صفات الله الخيرية والفعلية على ظاهرها دون المجاز).

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه ويحق لكل منصف أن يسأله: هل ثمة مختصر لعقيدة المسلمين أفضل مما سقناه للأشعري في كتبه؟ وأين الأزهر من هذا التراث التليد؟ ولما يصر على ألا يقرر كتبه على أبنائه، وهي بعد ومع بساطتها، من أجل كتب التراث التي طالما ينادي الأزهر بعدم التخلي عنها وعدم الخروج عن قواعدها وأصولها؟.. أسئلة تنتظر جواباً لها، ومن قبل: تجرداً لمعتقد أهل السنة والجماعة والله الهادي إلى سواء السبيل.

<sup>1</sup>(?) رواه أبو داود (4703)، والترمذي (3075) وفي سنده إرسال وله شواهد <sup>1</sup>(?) صحيح موقوفاً.. أخرجه وبنحوه الدارقطني في الصفات (28)، وقال الحاكم صحيح الإسناد ووافقه الذهبي، ورجاله ثقات <sup>2</sup>(?) صحيح.. رواه مسلم (1827).

<sup>1</sup>(?) وتحدي الأشعري هذا في عدم إساعة جعل اليد المثناة بمعنى النعمة أو القدرة لا لغة ولا إجماعاً وجوابه وردّه ذلك، إنما هو في الحقيقة تحدّ وجواب وردّه على كل من عطل صفة اليدين لله تعالى فانكرها أو تأولها من الجهمية والمعتزلة والأشعرية، ومن أهم ما لفت الأشعري النظر إليه ثمة، هو تصديه لمن اعتل بقوله تعالى: **والسماء بيناها بأيدي** [الذاريات: 47] فجعل يؤول على إثرها كل ما جاء من نصوص الوحي بشأن (صفة اليد بحقه تعالى)، وفي الأسطر القليلة التالية من (الإبانة) أبلغ ردّ على تلك الشبهة والإشكالية التي لا يزال يتردد صداها في أوساط الأشاعرة، حيث وضعهم الأشعري من خلال رده عليهم في أقماع السماسم، وأوضح أن لفظ (الأيدي) هنا ليس جمع (اليد)، بل هو مصدر: (أد يئد أيدياً) إذا اشتد وقوي، يقال: أيدته، أي: قوّيته، و(التأييد): مصدر.. قال تعالى: **إذ أيدتك بروح القدس** [المائدة: 110]، وقرئ: (إذ أيدتك) أي: قوّيتك، وعليه قوله تعالى: **واذكر عبدنا داود ذا الأيد** [ص: 17]، أي: ذا القوة.. كذا أفاده ابن منظور في لسان العرب.

وقد كشف الأشعري إبان ذلك عن أنه لا يمكن بحال حمل آية **لما خلقت بيدي** [ص: 75] على المجاز - يعني: على العكس مما سبق - لأن الأصل و"حكم كلام الله أن يكون على ظاهره وحقيقته، ولا يخرج الشيء عن ظاهره إلى المجاز إلا بحجة" أي قرينة مانعة من حمل اللفظ على حقيقته، وعليه فإنه

## مسألة:

وإن اعتل معتل بقول الله تعالى: **والسماء بنيناها بأيدي** [الذاريات: 47]، وقال: (الأيد القوة فوجب أن يكون معنى قوله تعالى: **بأيدي** [ص: 75]: بقدرتي)، قيل له: هذا التأويل فاسد<sup>(1)</sup> من وجوه:

**أحدها:** أن الأيد ليس جمع لـ(اليد)؛ لأن جمع (يد) (أيدي)، وجمع (اليد) التي هي: (نعمة) أيادي، وإنما قال تعالى: **لما**

يستحيل أن يكون المعنى في الآية: (لما خلقت بقدرتي أو نعمتي)، لأن القرينة - وهي هنا أن يكون لله قدرتان - مانعة من ذلك، وتلك قاعدة بلاغية غاية في الأهمية في تفهم معاني ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله .

يقول ابن خزيمة في التوحيد ص 87: "وزعم بعض الجهمية - وقد تبعهم فيه الأشعرية-: أن معنى قوله عز وجل: (خلق الله آدم بيديه)، أي: بقوته، فزعم أن اليد هي: القوة، وهذا من التبديل أيضاً، وهو جهل بلغة العرب، والقوة إنما تسمى (الأيد) بلغة العرب، فمن لا يفرق بين (اليد) و(الأيد)، فهو إلى التعليم والتسليم إلى الكتاب أحوج منه إلى التروؤس والمناظرة.

هذا، وقد سبق نص عبارة الأشعري بحق إثبات (صفة اليدين) لله تعالى من كتابه (مقالات الإسلاميين) في حكاية ما كان عليه أهل السنة وأصحاب الحديث، وكذا سوق إجماعهم في (رسالته إلى أهل الثغر)، وكان مما ذكره بشأن صفة اليدين قوله في الإجماع السابع:

"وأجمعوا على أنه عز وجل يسمع ويرى، وأن له تعالى يدين مبسوطتين، وأن الأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه من غير أن يكون جوارحاً، وأن يديه تعالى غير نعمته" إ.هـ.. وينظر لمزيد من الأدلة ونصوص أئمة أهل السنة وإجماعهم على إثبات هذه الصفة: كتابنا (قرائن اللغة والنقل والعقل في حمل صفات الله على ظاهرها دون المجاز).

<sup>1</sup>(?) قوله: "وهذا التأويل فاسد" يقصد به: فساد تأويل قوله تعالى: (بأيدي) لتكون بمعنى: (القوة) قياساً على آية الذاريات، والتحقيق - ولعله مراد أبي الحسن- أن اليد تستعمل فيما تستعمل على الحقيقة، بمعنى: القوة، وهو ما عليه آية الذاريات، ومنه - كما أفاده صاحب لسان العرب -: قولهم: "(فلان أيديه الله) أي: قوّاه، و(ما لي من فلان يدان) أي: طاقة.. وقوله: (المسلمون تتكافأ دماؤهم.. وهم يد على من سواهم)، أي: كلمتهم واحدة فبعضهم يقوّي بعضاً، والجمع: (أيدي).. وفي التنزيل: **أولي الأيدي والأبصار** [ص: 45]، أي: أولي القوة والعقول، والعرب تقول: (ما لي به يد) أي: قوة، (ومالي به يدان، وما لهم بذلك أيدي)، أي: قوة" فهذه التي مفردها في الأصل: (يَدِي) كـ (عَبْدٌ وَعَبْدٌ).. وهي على خلاف ما تكون للأعضاء أو الجوارح فهذه تجمع على (أيادي) ومفردها (يَدِي) كـ (عَصَا وَرَحَا)، وتستعمل على هذا النحو في النعم أيضاً، وبراعى فيما بينهما سياقات الكلام ومقامات الأحوال، وكل في سياقه على سبيل الحقيقة ولا يُعَدُّ تأويلاً.

ويمكن أن يستأنس بما سبق على أن قوله تعالى: (يد الله فوق أيديهم) بمعنى قوته، وإلا لقال: (فوق أيديهم)، ويكون على الحقيقة دون المجاز لوجود القرينة،

**خلقت بيدي** [ص: 75]، فبطل بذلك أن يكون معنى قوله: (بيدي) هو معنى قوله: **بنيناها بأيدي**.

**وأيضًا** فلو كان أراد (القوة) لكان معنى ذلك بـ (قدرتي)، وهذا ناقض لقول مخالفنا، وكاسر لمذهبهم؛ لأنهم لا يثبتون قدرة واحدة<sup>(1)</sup>، فكيف يثبتون قدرتين.

**وأيضًا** فلو كان الله تعالى عنى بقوله: **لما خلقت بيدي**: (القدرة) لم يكن لآدم ' على إبليس مزية في ذلك، والله تعالى أراد أن يرى فضل آدم عليه السلام عليه؛ إذ خلقه بيديه دونه، ولو كان خالقا لإبليس بيده كما خلق آدم عليه السلام بيده لم يكن لتفضيله عليه بذلك وجه، وكان إبليس يقول محتجا على ربه: (فقد خلقتني بيديك كما خلقت آدم بهما)، فلما أراد الله تعالى تفضيله عليه بذلك، وقال الله تعالى موبخًا له على استكباره على آدم عليه السلام أن يسجد له: **ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي أستكبرت؟** [ص: 75]، دل على أنه ليس معنى الآية (القدرة)؛ إذ كان الله تعالى خلق الأشياء جميعًا بقدرته، وإنما أراد: إثبات يدين، ولم يشارك إبليس آدم ' في أن خلق بهما.

### فصل:

وليس يخلو قوله تعالى: **لما خلقت بيدي** [ص: 75] أن يكون معنى ذلك: إثبات يدين نعمتين.. أو يكون معنى ذلك: إثبات يدين جارحتين، تعالى الله عن ذلك.. أو يكون معنى ذلك: إثبات يدين قدرتين.. أو يكون معنى ذلك: إثبات يدين ليستا نعمتين ولا جارحتين ولا قدرتين إلا كما وصف الله تعالى.

فلا يجوز أن يكون معنى ذلك: نعمتين؛ لأنه لا يجوز عند أهل اللسان أن يقول القائل: (عملت بيدي) وهو نعمتي، ولا يجوز عندنا ولا عند خصومنا أن يعني: جارحتين، ولا يجوز عند خصومنا أن يعني: قدرتين.. وإذا فسدت الأقسام الثلاثة صح القسم الرابع؛ وهو أن معنى قوله تعالى: **بيدي**: إثبات يدين ليستا جارحتين، ولا قدرتين، ولا نعمتين لا يوصفان إلا بأن يقال: إنهما يدان ليستا كالأيدي، خارجتان عن سائر الوجوه الثلاثة التي سلفت.

وأن التثنية في آية (ص) إنما هي على الحقيقة الشرعية.  
<sup>(1)</sup> (?) وسياقي بيان أن الجهمية لا تثبت لله قدرة ولا سواها وان المعتزلة قصرُوا صفات الله على ثلاثة، هي: (القدرة والعلم والحياة)، ثم اختزلوها في (صفة العلم) بعد أن نفوا حقيقة هذه الصفات جميعًا واكتفوا بمسماها، بزعم أن تعدد الصفات مؤذن بتعدد القدماء.

**وأيضًا** فلو كان معنى قوله تعالى: **﴿بيدي﴾**: (نعمتي)؛ لكان لا فضيلة لآدم عليه السلام على إبليس في ذلك على مذهب مخالفينا؛ لأن الله تعالى قد ابتدأ إبليس على قولهم، كما ابتدأ آدم عليه السلام.

وليس تخلو النعمتان أن يكونا هما بدن آدم عليه السلام، أو يكونا عَرَضَيْنِ خَلْقًا في بدن آدم عليه السلام، فلو كان عنى بدن آدم عليه السلام، فالأبدان عند مخالفينا من المعتزلة جنس واحد، وإذا كانت الأبدان عندهم جنسًا واحدًا فقد حصل في جسد إبليس على مذهبهم من النعمة ما حصل في جسد آدم عليه السلام، وكذلك إن عنى عَرَضَيْنِ فليس من عَرَضِ فعله في بدن آدم عليه السلام من لون، أو حياة، أو قوة، أو غير ذلك إلا وقد فعل من جنسه عندهم في بدن إبليس، وهذا يوجب أنه لا فضيلة لآدم عليه السلام على إبليس في ذلك، والله تعالى إنما احتج على إبليس بذلك ليريه أن لآدم في ذلك الفضيلة، فدل ما قلناه على أن الله عز وجل لما قال: (خلقت بيدي) لم يعن: (نعمتي).

**ويقال لهم:** لم أنكرتم أن يكون الله تعالى عنى بقوله: (بيدي)؛ - يدين ليستا نعمتين؟

**فإن قالوا:** لأن اليد إذا لم تكن نعمة في الشاهد<sup>(1)</sup>، لم تكن إلا جارحة، **قيل لهم:** ولم قضيتم أن اليد إذا لم تكن نعمة لم تكن إلا جارحة؟

وإن رجعونا إلى شاهدنا، أو إلى ما نجده فيما بيننا من الخلق فقالوا: اليد إذا لم تكن نعمة في الشاهد لم تكن إلا جارحة.. قيل لهم: إن عملتم على الشاهد وقضيتم به على الله تعالى فكذلك لم نجد حيًّا من الخلق إلا جسمًا لحمًا ودمًا فاقضوا بذلك على الله - تعالى عن ذلك - وإلا كنتم لقولكم تاركين ولاعتلالكم ناقضين.. وإن أثبتتم حيًّا لا كالأحياء منا فلم أنكرتم أن تكون اليدين اللتان أخبر الله تعالى عنهما يدين ليستا نعمتين ولا جارحتين، ولا كالأيدي؟

وكذلك يقال لهم: لم تجدوا مدبرًا حكيماً إلا إنساناً ثم أثبتتم أن للدنيا مدبراً حكيماً ليس كالإنسان، وخالفتم الشاهد ونقضتم إعتلالكم فلا تمنعوا من إثبات يدين ليستا نعمتين ولا جارحتين من أجل أن ذلك خلاف الشاهد.

<sup>(1)</sup> إذ إن من حججهم القوية الداحضة في الغيبات: قياس الغائب على الشاهد.. وهذا باطل إذ هو غيب ومما يستحيل أن يكون له شاهد في دنيانا.

**مسألة (1):**

**فإن قالوا:** إذا أثبتتم لله عز وجل يدين لقوله تعالى: **لما خلقت بيدي** [ص: 75] فلم لا أثبتتم له أيدي لقوله تعالى: **عملت أيدينا** [يس: 71]؟

**قيل لهم:** قد أجمعوا على بطلان قول من أثبت لله أيدي، فلما أجمعوا على بطلان قول من قال ذلك؛ وجب أن يكون الله تعالى ذكر أيدي ورجع إلى إثبات (يدين)؛ لأن الدليل عنده دل على صحة الإجماع، وإذا كان الإجماع صحيحا وجب أن يرجع من قوله: (أيدي) إلى (يدين)؛ لأن القرآن على ظاهره، ولا يزول عن ظاهره إلا بحجة، فوجدنا حجة أزلنا بها ذكر (الأيدي) عن الظاهر إلى ظاهر آخر، ووجب أن يكون الظاهر الآخر على حقيقته لا يزول عنها إلا بحجة.

**فإن قال قائل:** إذا ذكر الله عز وجل (الأيدي) وأراد: (يدين)، فما أنكرتم أن يذكر الأيدي ويريد يداً واحدة؟.. **قيل له:** ذكر تعالى (أيدي) وأراد: (يدين)؛ لأنهم أجمعوا على بطلان قول من قال: أيدي كثيرة، وقول من قال يداً واحدة، فقلنا: (يدان)؛ لأن القرآن على ظاهره (2)، إلا أن تقوم حجة بأن يكون على خلاف الظاهر.

**فإن قال قائل:** ما أنكرتم أن يكون قوله تعالى: **لما خلقت بيدي** [ص: 75] على المجاز؟

**قيل له:** حُكِّمُ كلام الله تعالى أن يكون على ظاهره وحقيقته، ولا يخرج الشيء عن ظاهره إلى المجاز إلا بحجة (3).. ألا ترون أنه إذا كان ظاهر الكلام العموم، فإذا ورد بلفظ العموم والمراد به الخصوص فليس هو على حقيقة الظاهر، وليس يجوز أن يُعدل بما ظاهره العموم عن العموم بغير حجة.

كذلك قوله تعالى: **لما خلقت بيدي** [ص: 75] هو على ظاهره أو حقيقته من إثبات اليدين، ولا يجوز أن يُعدل به عن ظاهر اليدين إلى ما ادَّعاه خصومنا إلا بحجة.. ولو جاز ذلك لجاز لمدع أن يدَّعي أن ما ظاهره العموم فهو على الخصوص، وما ظاهره الخصوص فهو على العموم بغير حجة، وإذا لم يجز هذا

<sup>1</sup>(?) في دفع إشكالية ما جاء من (اليدي) في آي التنزيل على سبيل الأفراد أو الجمع

<sup>2</sup>(?) من إثبات اليدين على الحقيقة يعني كما في قوله تعالى: (لما خلقت بيدي) [ص: 75] وقوله: (بل يدها مبسوطتان) [المائدة: 64].

<sup>3</sup>(?) أو - كما في بعض مخطوطات الكتاب - (لحجة)

لمدعيه بغير برهان لم يجز لكم ما ادعيتموه أنه مجاز أن يكون مجازًا بغير حجة، بل واجب أن يكون قوله تعالى: ﴿لما خلقت بيدي﴾ [ص: 75] إثبات يدين لله تعالى في الحقيقة غير نعمتين، إذا كانت النعمتان لا يجوز عند أهل اللسان أن يقول قائلهم: (فعلت بيدي)، وهو يعني: (النعمتين).



## الباب السادس الرد على الجهمية في نفيهم علم الله تعالى وقدرته وجميع صفاته

قال الله تعالى: **﴿أنزله بعلمه﴾** [النساء: 166]، وقال تعالى: **﴿وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه﴾** [فاطر: 11]، وذكر (العِلْم) في خمسة مواضع من كتابه العزيز.

وقال تعالى: **﴿فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله﴾** [هود: 14]، وقال تعالى: **﴿ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء﴾** [البقرة: 255].

وذكر (القوة) فقال: قال تعالى: **﴿أو لم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة﴾** [فصلت: 15]، وقال تعالى: **﴿ذو القوة المتين﴾** [الذاريات: 58]، وقال تعالى: **﴿والسمااء بنيناها بأيدي﴾** [الذاريات: 47].

### فصل:

وزعمت الجهمية أن الله تعالى لا عِلْم له، ولا قدرة، ولا حياة، ولا سمع، ولا بصر له، وأرادوا أن ينفوا أن الله تعالى عالم، قادر، حي، سميع، بصير، فمنعهم خوف السيف من إظهارهم نفي ذلك، فأتوا بمعناه؛ لأنهم إذا قالوا لا علم لله ولا قدرة له، فقد قالوا: إنه ليس بعالم ولا قادر، ووجب ذلك عليهم، وهذا إنما أخذوه عن أهل الزندقة والتعطيل؛ لأن الزنادقة قد قال كثير منهم: إن الله تعالى ليس بعالم، ولا قادر، ولا حي، ولا سميع، ولا بصير، فلم تقدر المعتزلة أن تُفصح بذلك فأتت بمعناه، وقالت: إن الله عالم، قادر، حي، سميع، بصير من طريق التسمية من غير أن يثبتوا له حقيقة العلم، والقدرة، والسمع، والبصر.

وقد قال رئيس من رؤسائهم - وهو أبو الهذيل العلاف - إن (علم الله) هو (الله)، فجعل الله تعالى عِلْمًا.. وألزم، ف قيل له: إذا قلت: إن علم الله هو الله، فقل: (يا علم الله اغفر لي وارحمني)، فأبى ذلك فلزمه المناقضة.

واعلموا رحمكم الله أن من قال: (عالم ولا علم)؛ كان مناقضًا، كما أن من قال: (علم الله ولا عالم) كان مناقضًا، وكذلك القول في القادر والقدرة، والحياة والحي، والسمع والبصر والسميع والبصير.



**مسألة:**

ويقال لهم: خَبَرْنَا عَمَّنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ مُتَكَلِّمٌ، قَائِلٌ، أَمْرٌ، نَاهٍ.. لا قول له، ولا كلام، ولا أمر له، ولا نهى، أليس هو مناقض خارج عن جملة المسلمين؟ فلا بد من نعم.

**يقال لهم:** فكذلك من قال: إن الله تعالى عالم ولا علم له، كان ذلك مناقضًا خارجًا عن جملة المسلمين.

وقد أجمع المسلمون قبل حدوث الجهمية والمعتزلة والحرورية على أن لله علمًا لم يزل، وقد قالوا: علم الله لم يزل، وعلم الله سابق في الأشياء، ولا يمتنعون أن يقولوا في كل حادثة تحدث ونازلة تنزل: (كل هذا سابق في علم الله)، فمن جحد أن لله علمًا فقد خالف المسلمين وخرج عن اتفاقهم.

**ويقال لهم:** إذا كان الله مريدًا فله إرادة؟؛ فإن قالوا: لا، قيل لهم: فإذا أثبتتم مريدًا لا إرادة له فأثبتوا أن قائلًا لا قول له، وإن أثبتوا الإرادة؛ قيل لهم: فإذا كان المرید لا يكون مريدًا إلا بإرادة، فما أنكرتم أن لا يكون العالم عالمًا إلا بعلم، وأن يكون لله علم كما أثبتتم له الإرادة.

**مسألة:**

وقد فرقوا بين العلم والكلام فقيلوا: إن الله تعالى علمٌ موسى وفرعون، وكلم موسى ولم يكلم فرعون، فكذلك قد يقال: علم موسى الحكمة وفصل الخطاب، وآتاه النبوة، ولم يعلم ذلك فرعون فإن كان لله كلام؛ لأنه كلم موسى ولم يكلم فرعون، فكذلك لله علم؛ لأنه علم موسى ولم يعلم فرعون.

**ثم يقال لهم:** إذا وجب أن لله كلامًا به كلم موسى دون فرعون؛ إذ كلم موسى دونه، فما أنكرتم إذا علمهما جميعًا أن يكون له علم، به علمهما جميعًا.

**ثم يقال:** قد كلم الله الأشياء بأن قال لها: (كوني)، وقد أثبتتم لله قولًا، فكذلك علم الأشياء كلها فله علم.

**ثم يقال لهم:** إذا أوجبتم أن لله كلامًا وليس له علم؛ لأن الكلام أخص من العلم، والعلم أعم منه، فقولوا: (إن لله قدرة)؛ لأن العلم أعم عندكم من القدرة؛ لأن مذهب القدرية أنهم لا يقولون: إن الله يقدر أن يخلق الكفر<sup>(1)</sup>، فقد أثبتوا القدرة أخص من العلم، فينبغي لهم أن يقولوا على اعتلالهم إن لله قدرة.

(1) وحثهم في ذلك: أنه لا يفعل الكفر إلا كافر وهو سبحانه لا يريد له.. وسيأتي رد الأشعري على كل هذه الشبه.

**ثم يقال لهم:** أليس الله عالمًا، والوصف له بأنه عالم أعم من الوصف له بأنه متكلم مكلّم؟ ثم لم يجب؛ لأن الكلام أخص من أن يكون الله تعالى متكلمًا غير عالم؟ فلم لا قلت: إن الكلام - وإن كان أخص من العلم - أن ذلك لا ينفي أن يكون لله علم، كما لم ينف بخصوص الكلام أن يكون الله عالمًا؟.

**ويقال لهم:** من أين علمتم أن الله عالم<sup>(1)</sup>؟.. فإن قالوا: بقوله تعالى: **إنه بكل شيء عليم** [الشورى: 12]، قيل لهم: وكذلك فقولوا: إن لله (علمًا) بقوله: **أنزله بعلمه** [النساء: 166]، وبقوله: **وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه** [فاطر: 11]، وكذلك فقولوا إن له (قوة) لقوله تعالى: **أولم يروا أن الله الذي خلقهم ه أشد منهم قوة** [فصلت: 15].

**فإن قالوا:** قلنا: إن الله عالم؛ لأنه صنع العالم على ما فيه من آثار الحكمة واتساق التدبير.. **قيل لهم:** فلم لا قلت إن لله علمًا بما ظهر في العالم من حكمة وآثار تدبيره؟؛ لأن الصنائع الحكيمة لا تظهر إلا من ذي علم، كما لا يظهر إلا من عالم، وكذلك لا تظهر إلا من ذي قوة كما لا تظهر إلا من قادر.

### مسألة:

**ويقال لهم:** إذا نفيتم علم الله فلم لا نفيتم أسماءه؟؛ فإن قالوا: كيف نفى أسماءه وقد ذكرها في كتابه؟؛ **قيل لهم:** فلا تنفوا العلم والقوة؛ لأنه تعالى ذكر ذلك في كتابه العزيز.

### ويقال لهم:

قد علم الله تعالى نبيه الشرائع والأحكام، والحلال والحرام، ولا يجوز أن يعلمه ما لا يعلمه، فكذلك لا يجوز أن يُعلم الله نبيه ما لا يعلم لله به، تعالى الله عن قول الجهمية علوًا كبيرًا.

**ويقال لهم:** أليس إذا لعن الله الكافرين، فلغنه لهم معنى، ولعن النبي لهم معنى؟ فمن قولهم نعم.. يقال لهم: فما أنكرتم من أن الله تعالى إذا علم نبيه شيئًا فكان للنبي علم، ولله تعالى علم، وإذا كنا متى أثبتناه غضبًا على الكافرين فلا بد من إثبات غضب، وكذلك إذا أثبتناه راضيًا عن المؤمنين فلا بد من إثبات

(1) يعني: على طريقتكم في التسمية وقولكم: إن (سميع بصير) بمعنى: (عليم)؛ من غير أن تثبتوا له حقيقة العلم.

رضا<sup>(2)</sup>، وكذلك إذا أثبتناه حياً سميعاً بصيراً فلا بد من إثبات حياة وسمع وبصر.

### ويقال لهم:

وجدنا اسم (عالم) اشتق من (علم)، واسم (قادر) اشتق من (قدرة)، وكذلك اسم (حي) اشتق من (حياة)، واسم (سميع) اشتق من (سمع)، واسم (بصير) اشتق من (بصر)، ولا تخلو أسماء الله عز وجل من أن تكون مشتقة إما لإفادة معنى، أو على طريق التلقين، فلا يجوز أن يسمى الله تعالى على طريق التلقين باسم ليس فيه إفادة معنى، وليس مشتقاً من صفة.

**فإذا قلنا:** إن الله تعالى (عالم قادر) فليس تلقياً، كقولنا: (زيد وعمر)، وعلى هذا إجماع المسلمين.. وإذا لم يكن كذلك تلقياً، كان مشتقاً من (علم)، فقد وجب إثبات العلم، وإن كان ذلك لإفادة معنى، فلا يختلف ما هو لإفادة معنى واجب إذا كان معنى العالم منا، أن له علماً أن يكون كل عالم فهو ذو علم، كما إذا كان قولي: (موجود) مفيداً فينا الإثبات؛ كان الباري تعالى واجباً إثباته؛ لأنه موجود.

### مسألة:

**ويقال للمعتزلة والجهمية والحرورية:** أتقولون إن لله علماً بالأشياء سابقاً فيها، وبوضع كل حامل، وحمل كل أنثى، وبإنزال كل ما أنزله؟ فإن قالوا: نعم، أثبتوا العلم ووافقوا.. وإن قالوا: لا، قيل لهم: هذا جحدٌ منكم لقوله تعالى: **﴿أنزله بعلمه﴾** [النساء: 166]، ولقوله: **﴿وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه﴾** [فاطر: 11]، ولقوله: **﴿فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله﴾** [الرعد: 11].

وإذا كان قول الله تعالى: **﴿بكل شيء عليم﴾** [الشورى: 12]، وقوله: **﴿وما تسقط من ورقة إلا يعلمها﴾** [الأنعام:

<sup>(2)</sup>) وفي كلامه هذا، وكذا في قوله من قبل ردًّا على المخالفين: "ومن زعم أن غضب الله مخلوق!! لزمه أن غضب الله وسخطه على الكافرين يفني، وأن رضاه عن الملائكة والنبين يفنى، حتى لا يكون راضياً عن أوليائه ولا ساخطاً على أعدائه، وهذا هو الخروج عن الإسلام.. دالة واضحة على إثباته صفات (الرضا والغضب والمحبة والكراهة في نحو قوله تعالى: **﴿كره الله انبعاثهم﴾**، إلى آخر ذلك)، لله تعالى على الوجه اللائق بجلاله.

وعليه يحمل ما أوهم خلاف ذلك في مثل قوله في (رسالة أهل الثغر) بالإجماع التاسع: "وأجمعوا على أنه عز وجل يرضى عن الطائعين له، وأن رضاه عنهم: إرادته لنعيمهم.. إلخ"، إن كان قصده فيها التأويل أو عدم ذكر شيء من لوازم هذه الصفات.

وإلا فلا يبعد - وقد صح أن الإبانة كانت آخر ما ألفه - أن يكون قد رجع في هذه المسألة عما ذكره في الرسالة أو عما سبق أن تأثر به بعبد الله بن كلاب الذي كان يرى ذلك

[59] يوجب أنه عليم يعلم الأشياء، فكذلك؛ فما أنكرتم أن تكون هذه الآيات توجب أن لله علمًا بالأشياء - سبحانه - وبحمده.

### مسألة:

**ويقال لهم:** هل لله عز وجل علم بالتفرقة بين أوليائه وأعدائه؟ وهل هو مرید لذلك؟ وهل له إرادة للإيمان إذا أراد الإيمان؟ فإن قالوا: نعم، وافقوا.

**وإن قالوا:** إذا أراد الإيمان فله إرادة.. **قيل لهم:** وكذلك إذا فرق بين أوليائه وأعدائه، فلا بد من أن يكون له علم بذلك، وكيف يجوز أن يكون للخلق علم بذلك، وليس للخالق علم بذلك؟! وهذا يوجب أن للخلق مزية في العلم وفضلًا على الخالق؛ تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

**وقيل لهم:** إذا كان من له علم من الخلق أولى بالمنزلة الرفيعة ممن لا علم له، فإذا زعمتم أن الله تعالى لا علم له لزمكم أن الخلق أعلى مرتبة من الخالق؛ تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

**ويقال لهم:** إذا كان من لا علم له من الخلق يلحقه الجهل والنقصان، فما أنكرتم من أنه لا بد من إثبات علم الله؛ وإلا ألحقتم به النقصان - جل عن قولكم وعلا - ألا ترون أن من لا يعلم من الخلق يلحقه الجهل والنقصان؟، ومن قال ذلك في الله عز وجل وصف الله تعالى بما لا يليق به، فكذلك إذا كان من قيل له من الخلق لا علم له لحقه الجهل والنقصان، وجب أن لا يُنفى ذلك عن الله تعالى؛ لأنه لا يلحقه جهل ولا نقصان.

**ويقال لهم:** هل يجوز أن تنسق الصنائع الحكيمة ممن ليس بعالم؟.. **فإن قالوا:** ذلك محال، ولا يجوز في وجود الصنائع التي تجري على ترتيب ونظام إلا من عالم قادر حي.. **قيل لهم:** وكذلك لا يجوز وجود الصنائع الحكيمة التي تجري على ترتيب ونظام إلا من ذي علم وقدرة وحياة، فإن جاز ظهورها لا من ذي علم فما أنكرتم من جواز ظهورها لا من عالم قادر حي.. وكل مسألة سألناهم عنها في (العلم) فهي داخلة عليهم في (القدرة) و(الحياة) و(السمع) و(البصر).

**وزعمت المعتزلة** أن قول الله تعالى: **﴿سمع بصير﴾** [الحج: 61] إن معناه عليم.. **قيل لهم:** فإذا قال الله تعالى: **﴿إنني معكما أسمع وأرى﴾** [طه: 46]، وقال: **﴿قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها﴾** [المجادلة: 1] فهل معنى ذلك عندكم علم.



فإن قالوا: نعم؛ قيل لهم: فقد وجب عليكم أن تقولوا: معني قوله: **إنني معكما أسمع وأرى** [طه : 46]: أعلم وأعلم، إذا كان معني ذلك العلم.



## فصل:

ونفت المعتزلة صفات رب العالمين، وزعمت أن معنى: **سميع بصير** [الحج: 61] راءٍ بمعنى: عليم<sup>(1)</sup>، كما زعمت النصارى أن سمع الله هو بصره، وهو رؤيته، وهو كلامه، وهو علمه، وهو ابنه؛ تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

**فيقال للمعتزلة:** إذا زعمتم أن معنى: (سميع وبصير)، معنى: (عالم)، فهلا زعمتم أن معنى: (قادر)، معنى: (عالم).. وإذا زعمتم أن معنى: (سميع وبصير)، معنى: (قادر)، فهلا زعمتم أن معنى: (قادر)، معنى: (عالم).. وإذا زعمتم أن معنى: (حي)، معنى: (قادر)، فلم لا زعمتم أن معنى: (قادر)، معنى: (عالم).

<sup>1</sup>(?) وكانوا قبل ذلك قد قصرُوا إيمانهم في الصفات على ثلاث فقط هي: (العلم والقدرة والحياة)، ونفوا ما عداها من نحو: (السمع والبصر) لكونهما - على حد ما ذكروا - من عوارض الأجسام، وزعموا "أن معنى **سميع بصير** [لقمان: 28] راء، بمعنى عليم، كما زعمت النصارى أن سمع الله هو بصره وهو رؤيته وهو كلامه وهو ابنه"، وقد بنا المعتزلة أساس مذهبهم هذا في التوحيد - الذي هو عندهم أحد الأصول الخمسة - على حجج داحضة مستقاة من الفلسفة الهندية واليونانية ومؤداها: القول بنفي الكثرة والتركيب وبوحدة الذات الإلهية وبساطتها من كل وجه، وأن هذه الثلاث المثبتة - على ما يقتضيه العقل بزعمهم - هي عين الذات، وأن ما عداها زائد عن الذات ومؤذن - على حد زعمهم أيضًا - بتعدد القدماء لكونها غير الذات.. والحق أنه حتى هذه الثلاث، تأثروا في نفيها بالجهمية والزنادقة، وأرجعوها إلى العلم الذي هو عين الذات، لكن "لم تقدر المعتزلة أن تفصح بذلك، فأتت بمعناه وقالت: إن الله عالم قادر حي.. من طريق التسمية، من غير أن يثبتوا له حقيقة العلم والقدرة.. وقد قال أبو الهذيل العلاف: إن علم الله هو الله، فجعل الله تعالى علمًا وألزم، ف قيل له: إذا قلت إن علم لله هو الله فقل: يا علم الله اغفر لي وارحمني، فأبى ذلك فلزمه المناقضة".

وتلك هي عبارة الأشعري الذي كثيرًا ما يربط بين حقيقة موقف المعتزلة والجهمية في نفيهم صفات الله تعالى.. ولا ننسى أن الأشعري كان في إحدى مراحل حياته معتزليًا بل ظل كذلك أربعين عامًا، فهو - من ثم - أدري وأعلم بما كان عليه القوم.

وقد أدهم الحديث عن علاقة الصفات بالذات على هذا النحو المفضي إلى الكيف، أدهم إلى التفصيل في نعوت السلب.. ومما ذكره في هذا ونقله عنهم الإمام الأشعري في المقالات ص 155 قولهم: "أن الله واحد.. ليس بجسم ولا شبح ولا جثة ولا صورة ولا لحم ولا دم ولا شخص ولا جوهر ولا عرض ولا بذي لون ولا طعم ولا رائحة ولا محسة ولا بذي حرارة ولا برودة.. ولا يوصف بشيء من صفات الخلق الدالة على حدثهم.. لا تراه العيون ولا تدركه الأبصار.. عالم قادر حي لا كالعلماء القادرين الأحياء.. إلخ"، فعطلوا بنفيهم المُفصّل هذا، رؤية الله وسائر صفاته وأسمائه وأفعاله، وعلى ما سبق عقب الأشعري بقوله: "فهذه جملة قولهم في التوحيد وقد شاركهم في هذه الجملة الخوارج وطوائف من المرجئة وطوائف من الشيعة وإن كانوا للملة التي يظهرونها ناقضين ولها تاركين".

**فإن قالوا:** هذا يوجب أن يكون كلُّ معلوم مقدورًا.. **قيل لهم:** ولو كان معنى: (سميع وبصير) معنى: (عالم) لكان كل معلوم مسموعًا، وإذا لم يجز ذلك بطل قولكم.

### الباب السابع الكلام في الإرادة والرد على المعتزلة في ذلك

#### مسألة:

**يقال لهم:** ألسنتم تزعمون أن الله تعالى لم يزل عالمًا؟ **فمن قولهم:** نعم.. **قيل لهم:** فلم لا قلتم: إنَّ مَنْ لم يزل عالمًا أنه يكون في وقت من الأوقات، لم يزل مريدًا أن يكون في ذلك الوقت، وما لم يزل عالمًا أنه لا يكون فلم يزل مريدًا أن لا يكون، وأنه لم يزل مريدًا أن يكون ما علم كما علم؟.

**فإن قالوا:** لا نقول إن الله لم يزل مريدًا؛ لأن الله تعالى مريدٌ بإرادة مخلوقة.. **قيل لهم:** فلم زعمتم أن الله عز وجل مريد بإرادة مخلوقة، وما الفصل بينكم وبين الجهمية في زعمهم أن الله عالم بعلم مخلوق؟، وإذا لم يجز أن يكون علم الله مخلوقًا، فما أنكرتم أن لا تكون إرادة الله مخلوقة؟.

**فإن قالوا:** لا يجوز أن يكون علم الله محدثًا؛ لأن ذلك يقضي أن يكون حدّث بعلم آخر كذلك لا إلى غاية.. **قيل لهم:** ما أنكرتم أن لا تكون إرادة الله محدثة مخلوقة؛ لأن ذلك يقتضي أن تكون حدثت عن إرادة أخرى، ثم كذلك لا إلى غاية.

**فإن قالوا:** لا يجوز أن يكون علم الله محدثًا؛ لأن من لم يكن عالمًا ثم علم لحقه النقصان.. **قيل لهم:** ولا يجوز أن تكون إرادة الله محدثة مخلوقة؛ لأن من لم يكن مريدًا ثم أراد؛ لحقه النقصان، وكما لا يجوز أن تكون إرادته تعالى محدثة مخلوقة، كذلك لا يجوز أن يكون كلامه محدثًا مخلوقًا.

#### مسألة أخرى:

**ويقال لهم:** إذا زعمتم أنه قد كان في سلطان الله عز وجل الكفر والعصيان، وهو لا يريده، وأراد أن يؤمن الخلق أجمعون، فلم يؤمنوا فقد وجب على قولكم أن أكثر ما شاء الله أن يكون، لم يكن، وأكثر ما شاء الله أن لا يكون، كان؛ لأن الكفر الذي كان وهو لا يشاؤه عندكم، أكثر من الإيمان الذي كان وهو يشاؤه، وأكثر ما شاء الله أن يكون، لم يكن.. وهذا جحدٌ لما أجمع عليه المسلمون من أن ما شاء الله أن يكون كان، وما لا يشاء لا يكون.

**ويقال لهم:** من قولكم: إن كثيرًا ما شاء أن يكون إبليس، كان؛ لأن الكفر أكثر من الإيمان، وأكثر ما كان هو شاءه، فقد جعلتم مشيئة إبليس أنفذ من مشيئة رب العالمين - جل ثناؤه وتقدست أسماؤه، ولا إله غيره - لأن أكثر ما شاءه<sup>(1)</sup> كان، وأكثر ما كان فقد شاءه.. وفي هذا إيجاب أنكم قد جعلتم لإبليس مرتبة في المشيئة ليست لرب العالمين.. تعالى الله عز وجل عن قول الظالمين علوًّا كبيرًا.

### مسألة أخرى:

**ويقال لهم:** أيهما أولى بصفة الاقتدار: مَنْ إذا شاء أن يكون الشيء كان لا محالة، وإذا لم يردده لم يكن، أو مَنْ يريد أن يكون ما لا يكون، ويكون ما لا يريد؟

**فإن قالوا:** من لا يكون أكثر ما يريده أولى بصفة الاقتدار، كابروا، **وقيل لهم:** إن جاز لكم ما قلتموه جاز لقائل أن يقول: مَنْ يكون ما لا يعلمه، أولى بالعلم ممن لا يكون إلا ما يعلمه.

**وإن رجعوا** عن هذه المكابرة، وزعموا أن مَنْ إذا أراد أمرًا كان وإذا لم يردده لا يكون أولى بصفة الاقتدار، لزمهم على مذاهبهم أن يكون إبليس - لعنه الله - أولى بالاقتدار من الله تعالى؛ لأن أكثر ما أراده كان، وأكثر ما كان، قد أراده.. **وقيل لهم:** إذا كان مَنْ إذا أراد أمرًا كان، وإذا لم يردده لم يكن أولى بصفة الاقتدار، فيلزمكم أن يكون الله تعالى إذا أراد أمرًا كان، وإذا لم يردده لم يكن؛ لأنه أولى بصفة الاقتدار.

**ويقال لهم:** أيهما أولى بالإلهية والسلطان؟ مَنْ لا يكون إلا ما يعلمه ولا يغيب عن علمه شيء ولا يجوز ذلك عليه، أو مَنْ يكون ما لا يعلمه ويعزب عن علمه، أكثر الأشياء؟

**فإن قالوا:** من لا يكون إلا ما يعلمه ولا يعزب عن علمه شيء أولى بصفة الإلهية.. **قيل لهم:** فكذلك من لا يريد كون شيء إلا ما كان، ولا يكون إلا ما يريده، ولا يعزب عن إرادته شيء أولى بصفة الإلهية كما قلتم ذلك في (العلم)، وإذا قالوا ذلك تركوا قولهم ورجعوا عنه، وأثبتوا الله عز وجل مريدًا لكل كائن، وأوجبوا أنه لا يريد أن يكون إلا ما يكون.

**ويقال لهم:** إذا قلتم أنه يكون في سلطانه تعالى ما لا يريد، فقد كان إداً في سلطانه ما كرهه؛ فلا بد من نعم.. **يقال لهم:** فإذا كان في سلطانه ما يكرهه فما أنكرتم أن يكون في سلطانه ما يابى كونه؟

<sup>1</sup>(?) أي: إبليس

**فإن أجابوا إلى ذلك.. قيل لهم:** فقد كانت المعاصي شاء الله أم أبى، وهذه صفة الضعف والفقير.. تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

### مسألة:

**ويقال لهم:** أليس لِمَا فعل العباد ما يسخطه تعالى، وما يغضب عليهم إذا فعلوه فقد أغضبوه وأسخطوه؟! فلا بد من نعم.. يقال لهم: فلو فعل العباد ما لا يريد وما يكرهه لكانوا أكرهوه، وهذه صفة القهر، تعالى عن ذلك علوًا كبيرًا.

**ويقال لهم:** أليس قد قال الله تعالى: **﴿فعال لما يريد﴾** [هود: 107، البروج: 16]؟! فلا بد من نعم.. قيل لهم: فمن زعم أن الله تعالى فعل ما لا يريد، وأراد أن يكون من فعله ما لا يكون، لزمه أن يكون قد وقع ذلك وهو ساهٍ غافلٍ عنه، أو أن الضعف والتقصير عن بلوغ ما يريده لحقه؛ فلا بد من نعم.. قيل لهم: فكذلك من زعم أنه يكون في سلطان الله تعالى ما لا يريده من عبيده؛ لزمه أحد أمرين:

إما أن يزعم أن ذلك كان عن سهو وغفلة.. أو أن يزعم أن الضعف والتقصير عن بلوغ ما يريده، لحقه.

**ويقال لهم:** أليس من زعم أن الله تعالى فعل ما لا يعلمه؛ قد نسب الله - سبحانه - إلى ما لا يليق به من الجهل؟ فلا بد من نعم.. قيل لهم: وكذلك يلزم من زعم أن الله فعل ما لا يريده؛ لزمه أن ينسب الله تعالى إلى السهو والتقصير عن بلوغ ما يريده.

**فإذا قالوا:** نعم.. **قيل لهم:** وكذلك يلزم من زعم أن العباد يفعلون ما لا يعلم الله نسب الله تعالى إلى الجهل.. فلا بد من نعم؛ يقال لهم: فكذلك إذا كان في كون فعل فعله الله، وهو لا يريده؛ إيجاب سهو أو ضعف أو تقصير عن بلوغ ما يريده.

وكذلك إذا كان من غيره ما لا يريده وجب إثبات سهو وغفلة، أو ضعف وتقصير عن بلوغ ما يريد، لا فرق في ذلك بين ما كان منه وما كان من غيره.

**ويقال لهم:** إذا كان في سلطان الله ما لا يريده وهو يعلمه، ولا يلحقه الضعف والتقصير عن بلوغ ما يريده، فما أنكرتم أن يكون في سلطانه ما لا يعلمه ولا يلحقه النقصان؟، فإن لم يجز هذا لم يجز ما قلموه.



**مسألة:**

**إن قال قائل: لِمَ قلتُم: إن الله يريد لكل كائن أن يكون، ولكل ما لا يكون أن لا يكون؟**

**قيل له:** الدليل على ذلك: أن الحجة قد وضحت أن الله تعالى خلق الكفر والمعاصي، وسنبين ذلك بعد هذا الموضع من كتابنا.. وإذا وجب أن الله - سبحانه - خالق لذلك، فقد وجب أنه يريد له؛ لأنه لا يجوز أن يخلق ما لا يريده.

**وجواب آخر:**

إنه لا يجوز أن يكون في سلطان الله تعالى من اكتساب العباد ما لا يريده، كما لا يجوز أن يكون من فعله المجمع على أنه فعل ما لا يريده؛ لأنه لو وقع من فعله ما لا يعلمه، لكان في ذلك إثبات النقصان، وكذلك القصد لو وقع من عباده ما لا يعلمه فكذلك لا يجوز أن يقع من عباده ما لا يريده؛ لأن ذلك يوجب أن يقع عن سهو وغفلة، أو عن ضعف وتقصير عن بلوغ ما يريده، كما يجب ذلك لو وقع من فعله المجمع على أنه فعل ما لا يريده.

وأيضًا فلو كانت المعاصي وهو لا يشاء أن تكون، لكان قد كره أن تكون وأبى أن تكون، وهذا يوجب أن تكون المعاصي كائنة شاء الله أم أبى، وهذا صفة الضعف؛ تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

وقد أوضحنا أن الله - سبحانه - لم ينزل مريدًا على حقيقته التي علمه عليها، فإذا كان الكفر مما يكون، وقد علم ذلك فقد أراد أن يكون.

**يقال لهم:** إذا كان الله يعلم أن الكفر يكون، وأراد أن لا يكون، فقد أراد أن يكون ما علم على خلاف ما علم، وإذا لم يجز ذلك فقد أراد أن يكون ما علم كما علم.

**ويقال لهم:** لم أبيتم أن يريد الله الكفر الذي علم أنه يكون، أن يكون قبيحًا فاسدًا متناقضًا خلافًا للإيمان؟.

**فإن قالوا:** لأن مريد السفه سفیه.. **قيل لهم:** ولم قلتُم ذلك، أو ليس قد أخبر الله تعالى عن ابن آدم أنه قال لأخيه: **لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين. إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين** [المائدة: 28-29]، فأراد أن لا يقتل أخاه لئلا يُعذب، وأن يقتله أخوه حتى يبوء بإثم قتله له، وإثم بسائر آثامه التي كانت عليه؛ فيكون من أصحاب النار، فأراد قتل أخيه الذي هو سفه، ولم يكن

بذلك سفيهاً، فلم زعمتم أن الله تعالى إذا أراد سفه العباد وجب أن ينسب ذلك إليه؟

**ويقال لهم:** قد قال يوسف عليه السلام: **قال رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه** [يوسف: 33]، وكان سجنهم إياه معصية، فأراد المعصية التي هي سجنهم إياه دون فعل ما يدعونه إليه، ولم يكن سفيهاً فيما أنكرتم من أن لا يجب إذا أراد الباري - سبحانه - سفه العباد أن يكون قبيحاً منهم، خلافاً للطاعة: أن يكون سفيهاً.

### مسألة أخرى:

**ويقال لهم:** أليس من يرى منا جرم المسلمين كان سفيهاً، والله تعالى يراهم ولا يُنسب إلى السفه؟.. فلا بد من نعم.

**يقال لهم:** فما أنكرتم أن من أراد السفه منا فكان سفيهاً، والله - سبحانه - يريد سفه السفهاء ولا ينسب إلى الله تعالى سفه؛ تعالى الله عن ذلك.

**ويقال لهم:** السفه منا إنما كان سفيهاً لما أراد السفه؛ لأنه نُهي عن ذلك، ولأنه تحت شريعة من هو فوقه، ومن يحدُّ له الحدود، وتُرسم له الرسوم فلما أتى ما نُهي عنه كان سفيهاً، ورب العالمين - جل ثناؤه وتقدست أسماؤه - ليس تحت شريعة، ولا فوقه من يحدُّ له الحدود ويرسم له الرسوم، ولا فوقه مبيح ولا حاطر، ولا أمر ولا زاجر، فلم يجب إذا أراد ذلك أن يكون قبيحاً أن ينسب إلى السفه .

**ويقال لهم:** أليس من خَلَى بين عبيده وبين إمامه ممّا يزني بعضهم ببعض وهو لا يعجز عن التفريق بينهم يكون سفيهاً؟ ورب العالمين عز وجل قد خلى بين عبيده وإمامه يزني بعضهم ببعض وهو يقدر على التفريق بينهم وليس سفيهاً، وكذلك من أراد السفه منا كان سفيهاً، ورب العالمين عز وجل يريد السفه وليس سفيهاً.

**ويقال لهم:** من أراد طاعة الله منا كان مطيعاً، كما أن من أراد السفه كان سفيهاً، ورب العالمين عز وجل يريد الطاعة وليس مطيعاً، فكذلك يريد السفه وليس سفيهاً.

### مسألة أخرى:

**ويقال لهم:** قال الله تعالى: **ولو شاء الله ما اقتتلوا** [البقرة: 253] فأخبر أنه لو شاء أن لا يقتتلوا ما اقتتلوا. وقال: **ولكن الله يفعل ما يريد** [البقرة: 253] من القتال، فإذا وقع القتال فقد شاءه.. كما أنه قال: **ولو زُددوا لعادوا لِمَا نُهوا عنه** [الأنعام: 28] فأوجب أن الرد لو كان إلى الدنيا لعادوا



إلى الكفر، وأنهم إذا لم يردهم إلى الدنيا لم يعودوا، فكذلك لو شاء الله أن لا يقتتلوا لما اقتتلوا، وإذا اقتتلوا فقد شاء أن يقتتلوا.

**ويقال لهم:** قال الله تعالى: **﴿ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾** [السجدة: 13] وإذا حق القول بذلك فما شاء أن تؤتي كل نفس هداها؛ لأنه إذا لم يؤتها هداها لما حق القول بتعذيب الكافرين، وإذا لم يُرد ذلك فقد شاء ضلالتها.

**فإن قالوا:** معنى ذلك لو شئنا لأجبرناهم على الهدى واضطررناهم إليه.. **قيل لهم:** فإذا أجبرهم على الهدى واضطرهم إليه أكونون مهتدين؟.

**فإن قالوا:** نعم.. **قيل لهم:** فإذا كان إذا فعل الهدى كانوا مهتدين، فما أنكرتم لو فعل كفر الكافرين فكانوا كافرين، وهذا هدم قولهم؛ لأنهم زعموا أنه لا يفعل الكفر إلا كافر.

**ويقال لهم أيضًا:** على أي وجه يؤتيهم الهدى، لو آتاهم إياه وشاء ذلك لهم؟.

**إن قالوا:** على الإلجاء.. **قيل لهم:** وإذا ألجأهم إلى ذلك هل ينفعهم ما يفعلونه علي طريق الإلجاء؟ فمن قولهم: لا.. قيل لهم: فإذا أخبر أنه لو شاء لآتاهم الهدى لولا ما حق منه من القول أنه يملأ جهنم.

وإذا كان لو ألجأهم لم يكن نافعًا لهم ولا مزيلًا للعذاب عنهم، كما لم ينفع فرعون قوله الذي قاله عند الغرق والإلجاء، فلا معنى لقولكم، لأنه لولا ما حق من القول لأوتيت كل نفس هداها، وإتيان الهدى على الوجه الذي قلتموه لا يزيل العذاب.

### مسألة أخرى:

**ويقال لهم:** قال الله تعالى: **﴿ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض﴾** [الشورى: 27]، وقال تعالى: **﴿ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سققا من فضة ومعارج عليها يظهرون﴾** [الزخرف: 32] مخبرًا أنه لولا أن يكون الناس مجتمعين على الكفر لم يبسط لهم الرزق ولم يجعل للكافرين سُققًا من فضة، فما أنكرتم من أنه تعالى لو لم يُرد أن يكفر الكافرين، ما خلقهم مع علمه بأنه إذا خلقهم كانوا كافرين، كما أنه لو أراد أن لا يكون الناس على الكفر مجتمعين لم يجعل للكافرين سُققًا من فضة ومعارج عليها يظهرون؛ لئلا يكونوا جميعًا على الكفر متطابقين، إذا

كان في معلومه أنه لو لم يفعل ذلك لكانوا جميعًا على الكفر  
مُطَبِّقِينَ.



## الباب الثامن الكلام في تقدير أعمال العباد والاستطاعة والتعديل والتجوير

**يقال للقدرية<sup>(1)</sup>:** هل يجوز أن يُعَلِّم الله عز وجل عباده شيئاً لا يعلمه؟.

**فإن قالوا:** لا يُعَلِّم الله عباده شيئاً إلا وهو به عالم.. **قيل لهم:** فكذلك لا يُقَدِّرهم على شيء إلا وهو عليه قادر، فلا بد من الإجابة إلى ذلك.

**قيل لهم:** فإذا أقدرهم على الكفر، فهو قادر أن يخلق الكفر لهم، وإذا قدر على خلق الكفر لهم؛ فلم أيتهم أن يخلق كفرهم فاسداً متناقضاً باطلاً، وقد قال تعالى: **﴿فعال لما يريد﴾** [هود: 107]؟.. وإذا كان الكفر مما أراد فقد فعله وقدره.

ويُردُّ عليهم في اللُّطف.. **يقال لهم:** أليس الله قادرًا أن يفعل بخلقه من بسط الرزق ما لو فعله بهم لبغوا في الأرض؟ وأن يفعل بهم ما لو فعله بالكفار لكفروا؛ كما قال تعالى: **﴿ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض﴾** [الشورى: 27]، وكما قال: **﴿ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سققاً من فضة﴾** [الزخرف: 32]؟.. فلا بد من نعم.

**يقال لهم:** فما أنكرتهم من أنه قادر أن يفعل بهم لطفًا لو فعله بهم لأمنهوا أجمعين، كما أنه قادر أن يفعل بهم أمرًا لو فعله بهم لكفروا كلهم.

### مسألة:

**ويقال لهم:** أليس قد قال الله تعالى: **﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلاً﴾** [النساء: 83]، وقال: **﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدًا﴾** [النور: 21]، وقال: **﴿فاطلع قرآه في سواء الجحيم﴾** [الصافات: 55] يعني: في وسط الجحيم، وقال: **﴿قال تالله لقد كدت لتردين. ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين﴾** [الصافات: 56-57].. فما الفضل الذي فعله

(1) الذين سمووا بذلك لاعتقادهم أن العباد - من دون الله - هم من يَخْلُقون ويُقَدِّرون أفعال أنفسهم ويريدونها، وأن الله لا يعلم الأشياء قبل كونها حتى تقع.. فكان هذا رد الأشعري على ترهاتهم.

بالمؤمنين، الذي لو لم يفعله لاتبعوا الشيطان، ولو لم يفعله ما زكى منهم من أحد أبدًا؟ وما النعمة التي لو لم يفعلها لكانوا من المحضرين؟ وهل ذلك شيء لم يفعله بالكافرين وخص به المؤمنين؟

**فإن قالوا:** نعم.. فقد تركوا قولهم، وأثبتوا لله تعالى نعمةً وفضلًا على المؤمنين ابتدأهم بجميعه، ولم يُنعم بمثله على الكافرين، وصاروا إلى القول بالحق.

**وإن قالوا:** قد فعل الله ذلك أجمع بالكافرين كما فعله بالمؤمنين، فقل لهم: فإذا كان الله تعالى قد فعل ذلك أجمع بالكافرين فلمَ لم يكونوا زاكين، وكانوا للشيطان متبعين، وفي النار محضرين؟

وهل يجوز أن يقول للمؤمنين: لولا أني خلقت لكم أيدي وأرجل لكنتم للشيطان متبعين، وهو قد خلق الأيدي والأرجل للكافرين وكانوا للشيطان متبعين؟

**فإن قالوا:** لا يجوز ذلك.. **قيل لهم:** وكذلك لا يجوز ما قلموه.

وهذا يبين أن الله تعالى اختص المؤمنين من النعم والتوفيق والتسديد بما لم يعط الكافرين، وفضل عليهم المؤمنين<sup>(1)</sup>.

<sup>1</sup>(?) مسألة الهداية والضلال مما اختلف فيها ميزان الحق بعض الشيء لدى الأشاعرة، وعنهما لدى أهل السنة يقول ابن القيم في شفاء العليل 2/ 449: "قد اتفقت رسلُ الله من أولهم إلى آخرهم، وكتبته المنزلة عليهم، أنه سبحانه يضل من يشاء ويهدي من يشاء، وأنه من يهده الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له، وأن الهدى والإضلال بيده لا بيد العبد، وأن العبد هو الضال أو المهتدي، فالهداية أو الإضلال فعله سبحانه وقدره، والاهتداء والضلال فعل العبد وكسبه".

والتوفيق عند أهل السنة مرتبة من مراتب الهداية، لأن الهداية عندهم نوعان: (هداية دلالة وإرشاد) يتم بموجبها معرفة ما ينفع العبد في الدنيا والآخرة، وهذه يؤتيها الله من يشاء من رسله وعباده فيهدون الناس لطريق الحق، و(هداية توفيق وإلهام) يوفق الله العبد بموجبها لفعل الطاعة وصرف السوء عنه، والهدايتان لهما تعلق بالقضاء والقدر وأفعال العباد، والأشاعرة على أن الله يخلق قدرة في العبد للطاعة لا يستطيع معها فعل المعصية، وكذا العكس، فيكون التوفيق هو: إقدار الله للعبد على الطاعة، والخذلان: عدم إقدار الله العبد على الطاعة، والأشاعرة بهذا الكلام يردون على المعتزلة الذين يقولون بخلق الله للطف في العبد يؤمن عنده، وذلك بإلزامهم ألا يتَّصف الله سبحانه بقدرة على توفيق جميع العباد على قولهم [ينظر الإرشاد لأبي المعالي ابن الجويني ص 105].

بيد أن رد أهل السنة على المعتزلة - الذين يرون أن الهداية هي فقط هداية (دلالة وإرشاد) بناء على أصلهم الذي أصلوه في وجوب فعل (الصلاح والأصلح) على الله تعالى - مبني على أن القدرة تأتي على قسمين:



**مسألة في الاستطاعة:**

**ويقال لهم:** أليست استطاعة الإيمان نعمة من الله تعالى وفضلًا وإحسانًا؟

**فإذا قالوا:** نعم.. **قيل لهم:** فما أنكرتم أن يكون توفيقًا وتسديدًا؟.. فلا بد من الإجابة إلى ذلك.

**يقال لهم:** فإذا كان الكافرون قادرين على الإيمان، فما أنكرتم من أن يكونوا موفقين للإيمان؟، ولو كانوا موفقين مسددين لكانوا ممدوحين؛ وإذ لم يجز ذلك لم يجز أن يكونوا على

الأولى: قدرة واستطاعة بمعنى الصحة والسلامة من الآفات، وهذه تكون قبل الفعل، ومنها قوله تعالى: **﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً﴾** [آل عمران: 97]، فلو لم تكن هذه الاستطاعة إلا مع الفعل، لما وجب الحج إلا على من حج، ولا عَصَى أَحَدٌ بترك الحج دون عذر، وهذه هي القدرة الشرعية التي هي مناط الأمر والنهي، والمعلومة في عرف الناس وكلام الفقهاء، فلو أن الأشاعرة أرادوا بالقدرة على الطاعة هذا المعنى فهذا غير صحيح.

والثانية: قدرة واستطاعة مقرونة للفعل موجبة له، ومنها قوله تعالى: **﴿ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون﴾** [هود: 20]، وهذه هي القدرة الكونية التي هي مناط القضاء والقدر وبها يتحقق وجود الفعل، فلو كان الأشاعرة يريدون بالقدرة هذا المعنى فهو صحيح موافق لما دلت عليه الأدلة [على ما أفاده ابن تيمية بمجموع الفتاوى 8/ 129 ودرء التعارض 1/ 61]. وعليه: فالمعنى الصحيح للتوفيق لدى أهل السنة هو: إعانة خاصة من الله للعبد، بها يَصْغَفُ أثر النفس والشیطان وتَقْوَى الرغبة في العبادة، والخذلان: هو سلب العبد الإعانة التي تُقَوِّيه على نفسه والشیطان، فالله تعالى قد هيا للعبد أسباب التوفيق وأسباب الخذلان، فإن هو أخذ بأسباب التوفيق هُدِيَ، وإن أخذ بأسباب الخذلان خُذِل، فهو تعالى جعل في العبد قدرة على الأخذ بهذا أو هذا، وهو معنى زائد على القدرة، لا أن العبد إذا تهيأت له أسباب التوفيق وأخذ بها أنه لا يُتصور معه عصيان هذا الأمر.

فمذهب الأشاعرة في هذا موافق للجبرية، وما سبق هو رد أهل السنة عليه وعلى المعتزلة، ودليهم الواضح في هذا قوله تعالى: **﴿وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى عن الهدى﴾** [فصلت: 17]، وقوله: **﴿وما كان الله ليضل قوماً بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون﴾** [التوبة: 115]، فهؤلاء وأولئك هداهم الله إلى بيان الحق ومعرفته، وهي (هداية الدلالة والإرشاد) التي كان نبيهم يملكها، لكن لم يهتدوا إليها عملاً وأخذاً بها، وقد خلق الله لهم قدرة ومشئنة أن يعملوا بما دُلُّوا عليه من الحق فيزول عن قلوبهم العمى والعناد كما قال تعالى: **﴿وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً﴾** [النمل: 14].

وفي بيان ذلك يقول ابن القيم: "ومما ينبغي أن يُعلم: أنه لا يمتنع مع الطبع والختم والقفل حصول الإيمان، بأن ينفك الذي خُتم على القلب وطبع وصُرب عليه القفل، ذلك الختم والطابع والقفل، ويهديه بعد ضلاله ويُعلمه بعد جهله، ويرشده بعد غيه، ويفتح قلبه بمفاتيح توفيقه التي هي بيده، حتى لو كتب على

الإيمان قادرين، ووجب أن يكون الله تعالى اختص بالقدرة على الإيمان للمؤمنين.

**ويقال لهم:** لو كانت القدرة على الكفر قدرة على الإيمان، فقد رُغب إليه في أن يُقدِّره على الكفر، فلما رأينا المؤمنين يرغبون إلى الله تعالى في قدرة الإيمان، وبزهدون في قدرة الكفر؛ علمنا أن الذي رغبوا فيه غير الذي زهدوا فيه.

### مسألة أخرى:

**ويقال لهم:** أخبرونا عن قوة الإيمان، أليست فضلًا من الله تعالى؟ فلا بد من نعم.

**يقال لهم:** فالتفضل، أليس هو ما للمتفضل أن لا يتفضل به وله أن يتفضل به، فلا بد من الإجابة إلى ذلك؛ لأن ذلك هو الفرق بين الفضل وبين الاستحقاق.

**فيقال لهم:** وللمتفضل إذا أمر بالإيمان أن يرفع التفضل ولا يتفضل به فيأمرهم بإيمان وإن لم يعطهم قدرة الإيمان وخذلهم، وهذا هو قولنا ومذهبنا.

**ويقال لهم:** هل يقدر الله على توفيق يُوَفِّق به الكافرين حتى يكونوا مؤمنين؟

**فإن قالوا:** لا.. نطقوا بتعجيز الله، تعالى عن ذلك علوًّا كبيرًا.. **وإن قالوا:** نعم يقدر على ذلك، ولو فعل بهم التوفيق لأمنوا، تركوا قولهم، وقالوا بالحق.

### مسألة:

وإن سألوا عن قول الله تعالى: **وما الله يريد ظلمًا للعباد** [غافر: 31]، وعن قوله: **وما الله يريد ظلمًا للعالمين** [آل عمران: 108].

**قيل لهم:** معنى ذلك: أنه لا يريد أن يظلمهم؛ لأنه قال: **وما الله يريد ظلمًا لهم**، ولم يقل: (لا يريد ظلم بعضهم لبعض)، فلم يرد أن يظلمهم وإن كان أراد أن يتظالموا.

**وإن سألوا عن قول الله تعالى: ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت** [الملك: 3]، قالوا: والكفر متفاوت، فكيف يكون من خلق الله؟

**والجواب عن ذلك:** أن الله تعالى قال: **الذي خلق سبع سماوات طباقًا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور، ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر وهو حسير** [الملك: 3-4]، فإنما عنى ما

جبينه الشقاوة والكفر لم يمتنع أن يحوها، ويكتب عليه السعادة والإيمان "إ.هـ من شفاء العليل 2/ 614 وينظر عقيدة الأشاعرة للرديعان ص 292-296.

ترى في السماوات من فطور؛ لأنه ذكر خلق السماوات، ولم يذكر الكفر، وإذا كان هذا على ما قلناه بطل ما قالوه، والحمد لله رب العالمين.

**ويقال لهم:** هل تعرفون لله عز وجل نعمة على أبي بكر الصديق رضي الله عنه حُصَّ بها دون أبي جهل ابتداءً؟ فإن قالوا: لا، فحُش قولهم.. وإن قالوا: نعم، تركوا مذاهبهم؛ لأنهم لا يقولون إن الله حَصَّ المؤمنين في الابتداء بما لم يخص به الكافرين.

**وإن سألوا عن قوله تعالى: ﴿ما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا﴾ [ص: 27]**، فقالوا: هذه الآية تدل على أن الله عز وجل لم يخلق الباطل.

والجواب عن ذلك: أن الله عز وجل أراد إكذاب المشركين الذين قالوا: لا حشر ولا نشور ولا إعادة، فكأنه قال تعالى: ما خلقت ذلك، وأنا لا أثيب من أطاعني ولا أعاقب من عصاني، كما ظن الكافرون أنه لا حشر ولا نشر ولا ثواب ولا عقاب، ألا تراه قال: **﴿ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار﴾ [ص: 27]**، ويبيِّن ذلك بقوله: **﴿أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أن نجعل المتقين كالفجار﴾ [ص: 28]**، أي: لا نسيِّوي بينهم في أن نُفنيهم أجمعين ولا نُعيدهم، فيكون سبيلهم سبيلاً واحداً.



**مسألة:**

**وسألوا عن قوله تعالى: ﴿ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك﴾ [النساء: 79].**  
**والجواب عن ذلك:** أن الله تعالى قال: **﴿وإن تصبهم سيئة﴾** يعني: الخصب والخير، **﴿يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة﴾** يعني: الجذب والقحط والمصائب، (قالوا هذه من عندك) أي: بشؤمك، قال الله تعالى: يا محمد **﴿قل كل من عند الله فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً﴾** [النساء: 78]، يعني: في قولهم: **﴿ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك﴾** فحذف قولهم، لأن ما تقدم من الكلام يدل عليه؛ لأن القرآن لا يتناقض، ولا يجوز أن يقول في آية: (إن الكل من عند الله)، ثم يقول في الآية الأخرى التي تليها: (إن الكل ليس من عند الله)، على أن ما أصاب الناس هو غير ما أصابوه، وهذا يبين بطلان تعلقهم بهذه الآية، ويوجب عليهم الحجة.

**مسألة في التكليف:**

**وإن سألوا عن قول الله تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ [الذاريات: 56].**  
**فالجواب عن ذلك:** أن الله تعالى إنما عنى المؤمنين دون الكافرين؛ لأنه أخبرنا أنه ذرأ لجهنم كثيرًا من خلقه، فالذين خلقهم لجهنم، وأحصاهم، وعدّهم، وكتبهم بأسمائهم وأسماء آبائهم وأمهاتهم؛ غير الذين خلقهم لعبادته.  
**ويقال لهم:** أليس قد كلف الله عز وجل الكافرين أن يسمعوا الحق ويقبلوه ويؤمنوا بالله؟.. فلا بد من نعم.  
**فيقال لهم:** فقد قال الله تعالى: **﴿ما كانوا يستطيعون السمع﴾** [هود: 20]، وقال: **﴿وكانوا لا يستطيعون سمعاً﴾** [الكهف: 101]، وقد كلفهم استماع الحق.  
**ويقال لهم:** أليس قد قال الله تعالى: **﴿يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون﴾** [القلم: 42]؟، أليس قد أمرهم الله تعالى بالسجود في الآخرة؟.  
 وجاء في الخبر: (أن المنافقين يجعل في أصلابهم كالصفائح فلا يستطيعون السجود)، وفي هذا تثبيت ما نقوله من أنه لا يجب لهم على الله تعالى إذا أمرهم أن يُقدرهم، وهو بطلان قول القدرية؟.

**مسألة في إيلام الأطفال:**

**ويقال لهم:** أليس قد ألم الله تعالى الأطفال في الدنيا بآلام أوصلها إليهم، كنعو: الجذام الذي يُقَطع أيديهم وأرجلهم وغير ذلك - أعاذنا الله من ذلك - مما يؤلمهم به، وكان ذلك سائغًا جائزًا؟  
**فإذا قالوا:** نعم.. **قيل لهم:** فإذا كان هذا عدلًا، فما أنكرتم أن يؤلمهم في الآخرة، ويكون ذلك منه عدلًا؟

**فإن قالوا:** المهم في الدنيا ليعتبر بهم الآباء.. **قيل لهم:** فإذا فعل بهم ذلك في الدنيا ليعتبر بهم الآباء، وكان ذلك منه عدلًا فلم لا يؤلم أطفال الكافرين في الآخرة ليغيظ بذلك آباءهم، ويكون ذلك منه عدلًا؟.. وقد قيل في الخبر: (إن أطفال المشركين يُوجَّح لهم نار يوم القيامة، ثم يقال لهم: اقتحموها، فمن اقتحمها أدخله الجنة، ومن لم يقتحمها أدخله النار) وقد قيل في الأطفال<sup>(1)</sup>، كما رُوِيَ عن النبي ﷺ قوله: (إن شئت أسمعك ضغاءهم في النار)<sup>(2)</sup>.

**مسألة:**

**ويقال لهم -** قدرية المعتزلة - : أليس قد قال الله سبحانه وتعالى: **تبت يدا أبي لهب وتب. ما أغنى عنه ماله وما كسب. سيصلى نارا ذات لهب** [المسد: 1-3] وأمره مع ذلك بالإيمان، فأوجب عليه أن يعلم أنه لا يؤمن، وأن الله صادق

<sup>1</sup>(?) الأحاديث التي استدلت بها القائلون بدخول أطفال المشركين النار، يشوبها الضعف والوهن ومما لا تقام بها حجة ولا تقطع بحكم، وما صح منها قيل: إن النبي ﷺ قاله قبل أن يُوحى إليه بشأنهم، وما قيل بحق الغلام الذي قتله الخضر وأنه في علم الله المسبق سيكون كافرًا، ليس فيه ما يدل على أن مصيره النار. وتجدر الإشارة إلى أن كلمة أهل السنة وإجماع الأمة على أن الموتى من أطفال المسلمين في الجنة، واختلفوا في أطفال المشركين بين قائل بأن مصيرهم النار، وبين متوقف في مصيرهم، وبين قائل بأن مصيرهم الجنة.. والرأي الأخير هو الراجح وعليه جمهور أهل العلم، حيث إن أولاد أهل الكتاب وغيرهم من أهل الشرك والبلل المختلفة - فضلًا عن أطفال المسلمين - مشمولون بقوله ﷺ: (كل مولود يولد على الفطرة..)، فهم في الجنة إذا ماتوا قبل البلوغ لأنهم ماتوا قبل التكليف الشرعي، وقد قال تعالى: **وما كنا معذبين حتى نبعث رسولًا** [الإسراء: 15]، وقال ﷺ: (رفع القلم عن ثلاث): وذكر: (الصبي حتى يبلغ).

وفي هذا حجة على أن ما قال به الأشعري من أنهم يمتحنون يوم القيامة اتكاء على ما ذكره من أدلة؛ مرجوح ومنافي لما سبق من أدلة صريحة، بل ولصحيح ما جاء في حديثي البخاري (1386، 7047) من أن النبي ﷺ رأى الخليل في الجنة وحوله كل مولود ولد على الفطرة من أولاد الناس، فقيل: يا رسول الله؛ وأولاد المشركين؟؛ فقال: (وأولاد المشركين)

<sup>2</sup>(?) ضعيف.. رواه أحمد (6/208) بلفظ: (أسمعك تضاعيمهم).. وفي سنده ضعيف ومجهولة لا تعرف، وقال عنه الألباني في الضعيفة (3898): موضوع.

في إخباره عنه أنه لا يؤمن، وأمره مع ذلك أن يؤمن، ولا يجتمع الإيمان والعلم بأنه لا يكون ولا يقدر على أن يؤمن، وإن يعلم أنه لا يؤمن.. وإذا كان هذا هكذا، فقد أمر الله - سبحانه - أبا لهب بما لا يقدر عليه؛ لأنه أمره أن يؤمن، وأنه يعلم أنه لا يؤمن.

**ويقال لهم:** أليس أمر الله عز وجل بالإيمان من علم أنه لا يؤمن؟؛ فمن قولهم نعم.. يقال لهم: فأنتم قادرون على الإيمان، وبتأني لكم ذلك.

فإن قالوا: لا، وافقونا.. وإن قالوا: نعم، زعموا أن العباد يقدرون على الخروج من علم الله؛ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

### الرد على المعتزلة:

**ويقال لهم:** أليس المجوس أثبتوا أن الشيطان يقدر على الشر الذي لا يقدر الله عز وجل عليه، فكانوا بقولهم هذا كافرين؟؛ فلا بد من نعم.

**يقال لهم:** فإذا زعمتم أن الكافرين يقدرون على الكفر، والله تعالى لا يقدر عليه فقد زدتم على المجوس في قولكم؛ لأنكم تقولون معهم: إن الشيطان يقدر على الشر، والله لا يقدر عليه، وهذا ما بينه الخبر عن الرسول ﷺ، وأن القدرة مجوس هذه الأمة<sup>(1)</sup>، وإنما صاروا مجوس هذه الأمة؛ لأنهم قالوا بقول المجوس.

### مسألة:

وزعمت القدرة أنا نستحق اسم القدر؛ لأننا نقول إن الله تعالى قدر الشر والكفر، فمن ثبت القدر كان قدرياً دون من لم يثبته.

**يقال لهم:** القدري، هو: من ثبت القدر لنفسه دون ربه عز وجل، وأنه - القدري - يقدر أفعاله دون خالقه، وكذلك هو في اللغة؛ لأن الصائغ: هو من زعم أنه يصوغ دون من يزعم أنه يصاغ له، والنجار: هو من يضيف التجارة إلى نفسه دون من يزعم أنه يُنجر له.

فلما كنتم تزعمون أنكم تقدرون أعمالكم وتفعلونها دون ربكم، وجب أن تكونوا (قدرية)، ولم تكن نحن قدرية؛ لأننا لم نضف الأعمال إلى أنفسنا دون ربنا، ولم نقل إننا نقدرها دونه، وقلنا: إنها تُقدر لنا.

**ويقال لهم:** إذا كان من أثبت التقدير لله عز وجل قدرياً، فيلزمكم إذا زعمتم أن الله تعالى قدر السماوات والأرض، وقدر

<sup>1</sup>(?) سبق تخريجه.



الطاعات أن تكونوا (قدرية)، فإذا لم يلزم هذا فقد بطل قولكم وانتقض كلامكم.

### مسألة في الختم:

**يقال لهم:** أليس قد قال الله تعالى: **﴿ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة﴾** [البقرة: 7]، وقال تعالى: **﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً﴾** [الأنعام: 125]، فخبّرنا عن الذين ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم، أتزعمون أنه هداهم وشرح للإسلام صدورهم وأضلهم؟.

**فإن قالوا:** نعم، تناقض قولهم.. **وقيل لهم:** كيف تكون الصدور مشروحة للإيمان، وهي ضيقة حرجة مختوم عليها، وكيف يجتمع الفعل الذي قال الله عز وجل: **﴿أم على قلوب أفعالها﴾** [محمد: 47] مع الشرح، والضيق مع السعة، والهدى مع الضلال؟.

إن كان هذا، جاز أن يجتمع التوحيد والإلحاد الذي هو ضد التوحيد، والكفر والإيمان معاً في قلب واحد، وإن لم يجر هذا، لم يجر ما قلموه.

**فإن قالوا:** الختم والضيق والضلال لا يجوز أن يجتمع مع شرح الله الصدر.. **قيل لهم:** وكذلك الهدى لا يجتمع مع الضلال، وإذا كان هذا هكذا فما شرح الله صدور الكافرين للإيمان، بل ختم الله على قلوبهم وأقفلها عن الحق، وشدّ عليها، كما دعا نبي الله موسى عليه السلام على قومه فقال: **﴿ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم﴾** [يونس: 88]؛ وقد قال الله تعالى: **﴿قد أجبت دعوتكما﴾** [يونس: 89]، وقال يخبر عن الكافرين إنهم قالوا: **﴿قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب﴾** [فصلت: 5]، فإذا خلق الله الأكنة في قلوبهم والقفل؛ والزيغ لأن الله تعالى قال: **﴿فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم﴾** [الصف: 5] والختم وضيق الصدر، تم أمرهم بالإيمان الذي علم أنه لا يكون، فقد أمرهم بما لا يقدر على، وإذا خلق الله في قلوبهم ما ذكرنا من الضيق عن الإيمان، فهل الضيق عن الإيمان إلا الكفر الذي في قلوبهم؟ وهذا يبين أن الله خلق كفرهم ومعاصيهم.

### مسألة:

**ويقال لهم:** قال الله تعالى لنبيه: **﴿ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً﴾** [الإسراء: 74]، وقال

تعالى يخبر عن يوسف عليه السلام: **ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه** [يوسف: 24]، فحدّثونا عن ذلك التثبيت والبرهان، هل فعله الله عز وجل بالكافرين، أو ما هو مثله؟

**فإن قالوا:** (لا)؛ تركوا القول بالقدر.. **وإن قالوا:** (نعم) قيل لهم: فإذا كان لم يركن إليهم من أجل التثبيت، فيجب لو كان فعل ذلك بالكافرين أن لا يشبوا على الكفر، وإذا لم يكونوا عن الكفر مفترقين فقد بطل أن يكون فعل بهم مثل ما فعله بالنبي [من التثبيت الذي لَمَّا فعله الله به لم يركن إلى الكافرين.

### مسألة في الاستثناء:

**ويقال لهم:** خبرونا عن مطالبة رجل بحق فقال له: (والله لأعطينك ذلك غدا إن شاء الله تعالى)، أليس الله شائئاً أن يعطيه حقه؟

**فمن قولهم:** نعم.. **يقال لهم:** أفرايتم إن جاء الغد فلم يعطه حقه، أليس لا يحنت؟ فلا بد من نعم.

**يقال لهم:** فلو كان الله شاء أن يعطيه حقه لحنث إذا لم يعطه، كما لو قال: (والله لأعطينك حقه إذا طلع الفجر غداً)، ثم طلع ولم يعطه أنه يكون حائثاً.

### مسألة في الآجال:

**يقال لهم:** أليس قد قال الله تعالى: **فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون** [الأعراف: 34]، وقال تعالى: **ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها** [المنافقون: 11]؟! فلا بد من نعم.

**يقال لهم:** خبرونا عن قتل قاتل ظلمًا، أتزعمون أنه قتل في أجله أو ياجله؟

**فإن قالوا:** نعم، وافقوا وقالوا بالحق وترك القدر. **وإن قالوا:** لا.. **قيل لهم:** فمتى أجل هذا المقتول؟ فإن قالوا: الوقت الذي علم الله أنه لو لم يقتل لتزوج امرأة علم أنها امراته، وإن لم يبلغ إلى أن يتزوجها، وإذا كان في معلوم الله أنه لو لم يقتل وبقي لكفر أن تكون النار داره.

وإذا لم يجز هذا لم يجز أن يكون الوقت الذي لم يبلغ إليه أجلًا له، على أن هذا القول مقيّد لقول الله تعالى: **فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون** [الأعراف: 34].

### مسألة أخرى:

**ويقال لهم:** إذا كان القاتل عندكم قادرًا على أن لا يقتل هذا المقتول فيعيش، فهو قادر على قطع أجله وتقديمه قبل أجله، وهو قادر على تأخيره إلى أجله، فالإنسان على قولكم يقدر أن يقدم



آجال العباد ويؤخرها، ويقدر أن يُبقي العباد ويُبلِّغهم ويُخرج أرواحهم، وهذا إلحاد في الدين.

### مسألة في الأرزاق:

**ويقال لهم:** خبرونا عن اغتصب طعامًا فأكله حرامًا، هل رزقه الله ذلك الحرام؟

فإن قالوا: نعم، تركوا القدر.. وإن قالوا: لا.. قيل لهم: فمن أكل جميع عمره الحرام، فما رزقه الله شيئًا اغتذى به جسمه.

**ويقال لهم:** فإذا كان غيره يغتصب له ذلك الطعام ويُطعمه إياه إلى أن مات، فأرزق هذا الإنسان عندكم غير الله، وفي هذا إقرار منهم أن للخلق رازقين: أحدهما يرزق الحلال، والآخر يرزق الحرام، وأن الناس تنبت لحومهم وتشتد عظامهم، والله غير رازق لهم ما اغتذوا به.

وإذا قلت: إن الله لم يرزقه الحرام، لزمكم أن الله لم يغذِّه به، ولا جعله قوًّا لجسمه، وأن لحمه وجسمه قام وعظمه اشتد بغير الله عز وجل وهو ممن رزقه الحرام، وهذا كفر عظيم إن احتملوا<sup>(1)</sup>.

**ويقال لهم:** لم أبيتم أن يرزق الله الحرام؟ فإن قالوا: لأنه لو رزق الحرام لمَلِك الحرام.. يقال لهم: خبرونا عن الطفل الذي يتغذى من لبن أمه، وعن البهيمة التي ترعى الحشيش، من يرزقهما ذلك؟ فإن قالوا: الله تعالى.. قيل لهم: فمن ملكهما؟ وهل للبهيمة ملك؟ فإن قالوا: لا.. قيل لهم: فلم زعمتم أنه لو رزق الحرام لمَلِك الحرام، وقد يرزق الله الشيء ولا يُملكه؟

**ويقال لهم:** هل أقدر الله العبد على الحرام ولم يملكه إياه؟ فممن قولهم: نعم.. يقال لهم: فما أنكرتم أن يرزقه الحرام، وإن لم يملكه إياه.

### مسألة أخرى:

**يقال لهم:** إذا كان توفيق المؤمنين بالله، فما أنكرتم أن يكون خذلان الكافرين من قبل الله تعالى، وإلا فإن زعمتم أن الله وفق الكافرين للإيمان فقولوا عصمهم من الكفر، وكيف يعصمهم من الكفر وقد وقع الكفر منهم؟

فإن أثبتوا أن الله خذلهم، قيل لهم: فالخذلان من الله أليس هو الكفر الذي خلقه فيهم؟ فإن قالوا: نعم، وافقوا.

<sup>1</sup>(?) يعني: عدُّوا ذلك أمرًا محتملًا وواردًا

وإن قالوا: لا.. قيل لهم: فما ذلك الخذلان الذي خلقه؟ فإن قالوا: تخليته إياهم والكفر.. قيل لهم: أو ليس من قولكم: إن الله خلّى بين المؤمنين وبين الكفر؟

فمن قولهم: نعم.. قيل لهم: فإذا كان الخذلان التخلية بينهم وبين الكفر، فقد لزمكم أن يكون خذل المؤمنين؛ لأنه خلّى بينهم وبين الكفر، وهذا خروج عن الدين، فلا بد لهم أن يثبتوا لهم الخذلان الكفر الذي خلقه فيتركوا القول بالقدر.



**مسألة أخرى:**

**إن سأل سائل من أهل القدر، فقال: هل يخلو العبد من أن يكون بين نعمة يجب عليه أن يشكر الله عليها، أو بليّة يجب عليه الصبر عليها؟-**

**قيل له:** العبد لا يخلو من نعمة وبليّة، والنعمة يجب على العبد أن يشكر الله عليها، والبليّة على ضربين: منها ما يجب الصبر عليها كالأمراض والأسقام وما أشبه ذلك.. ومنها ما يجب عليه الإقلاع عنها كالكفر والمعاصي.

**مسألة:** وإن سألوا فقالوا: أيهما خير، الخير أو من الخير منه؟

قيل لهم: من كان الخير متفضلاً به فهو خير من الخير.

**فإن قالوا:** فأيهما شرّ، الشرّ أو من الشر منه؟.. **قيل لهم:** من كان الشرّ منه جائزاً به فهو أشرّ من الشر، والله تعالى يكون منه الشرّ خلقاً، وهو عادل به، ولذلك لا يلزمنا ما سألتكم عنه على أنكم ناقضون لأصولكم؛ لأنه إن كان من كان الشرّ منه فهو أشرّ من الشر، وقد خلق الله تعالى إبليس الذي هو أشرّ من الشرّ الذي يكون منه، فقد خلق ما هو أشرّ من الشرور كلها، وهذا نقض دينكم وفساد مذهبكم.

**مسألة في الهدى:**

**يقال للمعتزلة:** أليس قد قال الله تعالى: **الم. ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين** [البقرة: 1-2] فأخبر أن القرآن هدى للمتقين؟ فلا بد من نعم.

**يقال لهم:** أو ليس قد ذكر الله عز وجل القرآن فقال: **والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى** [فصلت: 44] فأخبر أن القرآن على الكافرين عمى؟ فلا بد من نعم.

**يقال لهم:** فهل يجوز أن يكون من أخبر الله عز وجل أن القرآن له هدى وهو عليه عمى؟ فلا بد من لا.

**يقال لهم:** فكما لا يجوز أن يكون القرآن عمى على من أخبر الله تعالى أنه له هدى، كذلك لا يجوز أن يكون القرآن هدى لمن أخبر الله أنه عليه عمى.

**ثم يقال لهم:** إذا جاز أن يكون دعاء الله إلى الإيمان هدى لمن قبل ولمن لم يقبل، فما أنكرتم دعاء إبليس إلى الكفر إضلالاً لمن قبل ولمن لم يقبل، فإن كان دعاء إبليس إلى الكفر إضلالاً للكافرين الذين قبلوا عنه، دون المؤمنين الذين لم يقبلوا عنه، فما

أنكرتم أن دعاء الله تعالى إلى الإيمان هدى للمؤمنين الذين قبلوا عنه، دون الكافرين الذين لم يقبلوا عنه، وإلا فما الفرق بين هذا وذلك؟

**ويقال لهم:** أليس قال الله تعالى: **يضل به كثيرًا ويهدي به كثيرًا** [البقرة: 26] فهل يدل قوله: **يضل به كثيرًا** على أنه لم يضل الكل؛ لأنه لو أراد الكل لقال: يضل به الكل، فلما قال: **يضل به كثيرًا** علمنا أنه لم يضل الكل؟.. فلا بد من نعم.

**يقال لهم:** فما أنكرتم أن قوله تعالى: **ويهدي به كثيرًا** دليل على أنه لم يُرد الكل؛ لأنه لو أراد الكل لقال: ويهدي به الكل، فلما قال تعالى: **ويهدي به كثيرًا** علمنا أنه لم يهد الكل، وفي هذا إبطال قولكم: إن الله هدى الخلق أجمعين.

**ويقال لهم:** إذا قلتم إن دعاء الله إلى الإيمان هدى للكافرين الذين لم يقبلوا عن الله أمره، فما أنكرتم أن يكون دعاء الله إلى الإيمان نفعًا وصلاحًا وتسديدًا للكافرين الذين لم يقبلوا عن الله أمره، وما أنكرتم أن يكون عصمة لهم من الكفر وإن لم يكونوا من الكفر معتصمين، وأن يكون توفيقًا للإيمان وإن لم يوفقوا للإيمان، وفي هذا ما يجب أن الله سدّد الكافرين وأصلحهم وعصمهم ووفقهم للإيمان وإن كانوا كافرين، وهذا ما لا يجوز؛ لأن الكافرين مخذولون.

وكيف يكونون موقّنين للإيمان وهم مخذولون؟

فإن جاز أن يكون الكافر موقّفًا للإيمان، فما أنكرتم أن يكون الإيمان له متفققًا؟، فإن استحال هذا، فما أنكرتم أن يستحيل ما قلتموه؟.

### مسألة في الضلال:

**يقال لهم:** أضل الله تعالى الكافرين عن الإيمان، أو عن الكفر؟

فإن قالوا: عن الكفر.. قيل لهم: فكيف يكونون ضالين عن الكفر ذاهبين عنه، وهم كافرون؟.. وإن قالوا: أضلهم عن الإيمان، تركوا قولهم.

وإن قالوا: نقول: إن الله أضلهم، ولم يضلهم عن شيء.. قيل لهم: ما الفرق بينكم وبين من قال: إن الله هدى المؤمنين لا إلى شيء؟؛ فإن استحال أن يهدي المؤمنين لا إلى الإيمان، فما أنكرتم من أنه محال أن يضل الكافرين لا إلى الإيمان؟.



**ويقال لهم:** ما معنى قول الله تعالى: **ويضل الله الظالمين** [إبراهيم: 27]؟ فإن قالوا: معنى ذلك أنه يسميهم ضالين، وبحكم عليهم بالضلال.

قيل لهم: أليس خاطب الله العرب بلغتهم فقال: **بلسان عربي مبين** [الشعراء: 195] وقال: **وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه** [إبراهيم: 4].. فلا بد من نعم.

يقال لهم: وإذا كان الله عز وجل أنزل القرآن بلسان العرب، فمن أين وجدتم في لغة العرب أن يقال: أضل فلان فلانًا أي سمّاه ضالًا؟

**فإن قالوا وجدنا القائل يقول:** إذا قال رجل لرجل ضالًّا قد ضللت.. **قيل لهم:** قد وجدنا القائل: ضلل فلان فلانًا أنه سمّاه ضالًّا، ولم نجدهم يقولون: أضل فلان فلانًا بهذا المعنى، فلما قال الله تعالى: **ويضل الله الظالمين** [إبراهيم: 27] لم يجز أن يكون معنى ذلك الاسم، والحكم إذا لم يجز في لغة العرب أن يقال: (أضل فلان فلانًا، بأن سمّاه ضالًا) بطل تأويلكم، إذ كان خلاف لسان العرب.

**ويقال لهم:** إذا قلت: إن الله أضل الكافرين بأن سمّاهم: (ضالين)، وليس ذلك في اللغة على ما ادعيتموه، فيلزمكم إذا سمى النبي ﷺ قومًا ضالين فاسدين، بأن يكون قد أضلهم وأفسدهم بأن سمّاهم: ضالين فاسدين، وإذا لم يجز هذا بطل أن يكون معنى: **ويضل الله الظالمين** [إبراهيم: 27] الاسم والحكم كما ادعيتم.

**ويقال لهم:** أليس قد قال الله تعالى: **من يهد الله فهو المهتد ومن يضل فلن تجد له وليًا مرشدًا** [الكهف: 17]، وقال تعالى: **كيف يهدي الله قومًا كفروا بعد إيمانهم** [آل عمران: 86] فذكر أنه يهديهم، وقال تعالى: **والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم** [يونس: 25] فجعل الدعاء عامًّا والهدى خاصًّا، وقال تعالى: **والله لا يهدي القوم الكافرين** [البقرة: 264] فإذا أخير يقول: إنه هدى الكافرين مع إخباره أنه لا يهديهم، ومع قوله تعالى: **إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء** [القصص: 56]، ومع قوله تعالى: **ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء** [البقرة: 272]، ومع قوله تعالى: **ولا شئنا لأنفسنا هداهم** [السجدة: 13]؟



وإن جاز هذا جاز أن يقال: أضل المؤمنين، مع قوله تعالى: **ومن يهد الله فهو المهتد** [الإسراء: 97]، ومع قوله: **هدى للمتقين** [البقرة: 2]، فإن لم يكن ذلك، فما أنكرتم أنه لا يجوز أن يهدي الكافرين مع قوله تعالى: **والله لا يهدي القوم الكافرين** [البقرة: 264] ومع سائر الآيات التي طالبناكم بها.

**ويقال لهم: أليس قد قال الله تعالى: أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة** [الجمانية: 23]؟.. فلا بد من نعم.

يقال لهم: فأضلهم ليضلوا أو ليهدوا؟ فإن قالوا: أضلهم ليهدوا.. قيل لهم: وكيف يجوز أن يضلهم ليهدوا.. وإن جاز هذا جاز أن يهديهم ليضلوا، وإذا لم يجز أن يهدي المؤمنين ليضلوا، فما أنكرتم من أنه لا يجوز أن يضل الكافرين ليهدوا.

**ويقال لهم: إذا زعمتم أن الله هدى الكافرين فلم يهدوا، فما أنكرتم أن ينفعهم فلا ينتفعون، وأن يصلحهم فلا ينصلحون، وإذا جاز أن ينفع من لا ينتفع بنفعه؛ فما أنكرتم من أن يضر من لا تلحقه المضره، فإن كان لا يضر إلا من يلحقه الضرر فكذلك لا ينفع إلا منتفعًا، ولو جاز أن ينفع من ليس منتفعًا، ويهدي من ليس مهتدًا؛ جاز أن يُقَدِّرَ مَنْ ليس مقتدرًا، وإذا استحال ذلك استحال أن ينفع من ليس منتفعًا، ويهدي من ليس مهتدًا.**

### مسألة يسألون عنها:

**يقولون: أليس قد قال الله تعالى: شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان** [البقرة: 185] فما أنكرتم أن يكون القرآن هدى للكافرين والمؤمنين؟

**قيل لهم: الآية خاصة؛ لأن الله تعالى قد بين لنا أنه (هدى للمتقين) [البقرة: 2]، وأخبرنا أنه (لا يهدي الكافرين) [إبراهيم: 107]، والقرآن لا يتناقض، فوجب أن يكون قوله: **هدى للناس** [البقرة: 185] أراد: المؤمنين دون الكافرين.**

**فإن قال قائل: أليس قد قال الله تعالى: إنما تنذر من اتبع الذكر** [يس: 11]، وقال تعالى: **إنما أنت منذر من يخشاها** [النازعات: 45]، وقد أنذر النبي من اتبع الذكر ومن لم يتبع، ومن خشى ومن لم يخش؟.. قيل له: نعم.

فإن قالوا: فما أنكرتم أن يكون قوله تعالى: **هدى للمتقين** [البقرة: 2] أراد به: هدى لهم ولغيرهم؟.. قيل لهم:



إن معنى قول الله تعالى: **﴿إنما تنذر من اتبع الذكر﴾** [يس: 11] إنما أراد به: ينتفع بإنذارك من اتبع الذكر، وقوله تعالى: **﴿إنما أنت منذر من يخشاها﴾** [النازعات: 45] أراد: أن الإنذار ينتفع به من يخشى الساعة ويخاف العقوبة فيها، على أن الله تعالى قد أخبر في موضع آخر من القرآن أنه أنذر الكافرين، فقال: **﴿إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون﴾** [البقرة: 6] وهذا هو خبر عن الكافرين، وقال تعالى: **﴿وأندر عشيرتك الأقربين﴾** [الشعراء: 214]، وقال تعالى: **﴿أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود﴾** [فصلت: 13] وهذا خطاب للكافرين.

فلما أخبر الله تعالى في آيات من القرآن أنه أنذر الكافرين، كما أخبر في آيات من القرآن أنه أنذر من يخشاها، وأنذر من اتبع الذكر؛ وجب بالقرآن أن الله قد أنذر المؤمنين والكافرين، فلما أخبرنا الله أنه هدى للمتقين وعمى على الكافرين، وأخبرنا أنه لا يهدي الكافرين؛ وجب أن يكون القرآن هدى للمتقين دون الكافرين.

### مسألة:

**﴿إن سأل سائل عن قول الله تعالى: ﴿وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى﴾﴾** [فصلت: 17] فقال: أليس ثمود كانوا كافرين وقد أخبر الله تعالى أنه هداهم.

**قيل له:** ليس الأمر كما ظننت.. والجواب في هذه الآية على وجهين:

**أحدهما:** أن ثمود كانوا فريقين كافرين ومؤمنين وهم الذين أخبر الله أنه نجاهم مع صالح عليه السلام بقوله تعالى: **﴿نجينا صالحًا والذين آمنوا معه برحمة منا﴾** [هود: 66] فالذين عنى الله عز وجل من ثمود أنه هداهم، هم: المؤمنون دون الكافرين؛ لأن الله تعالى قد بين لنا في القرآن أنه لا يهدي الكافرين، والقرآن لا يتناقض، بل يصدّق بعضه بعضًا، فإذا أخبرنا في موضع أنه لا يهدي الكافرين، ثم أخبر في موضع آخر أنه هدى ثمود، علمنا أنه إنما أراد المؤمنين من ثمود دون الكافرين.

**والوجه الآخر:** أن الله عز وجل عنى قومًا من ثمود كانوا مؤمنين ثم ارتدوا، فأخبر أنه تعالى هداهم، فاستحبوا بعد الهداية الكفر على الإيمان، وكانوا في حال ما هداهم مؤمنين.



فإن قال قائل معترضًا في الجواب الأول: كيف يجوز أن يقول: (فهديناهم) ويعني: المؤمنين من ثمود، ويقول: (فاستحبوا) يعني: الكافرين منهم وهم غير مؤمنين؟ يقال له: هذا جائز في اللغة التي ورد بها القرآن أن يقول: (فهديناهم) ويعني المؤمنين من ثمود، ويقول: (فاستحبوا) ويعني: الكافرين منهم، وقد ورد القرآن بمثل هذا، قال الله تعالى: **﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم﴾** [الأنفال: 33] يعني: الكافرين، ثم قال تعالى: **﴿وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون﴾** [الأنفال: 33] يعني: المؤمنين، ثم قال تعالى: **﴿وما لهم ألا يعذبهم الله﴾** [الأنفال: 34] يعني: الكافرين، ولا خلاف عند أهل اللغة في جواز الخطاب بهذا، أن يكون ظاهره لجنس، والمراد به: جنسان، فبطل ما اعترض به المعترض ودل على جهله.



## الباب التاسع ذكر الروايات في القَدَر

روى معاوية بن عمرو، ثنا زائدة، قال: ثنا سليمان الأعمش، عن زيد بن وهب، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: أخبرنا رسول الله ﷺ - وهو الصادق المصدوق - : (إِنَّ خَلْقَ أَحَدِكُمْ يُجْمَعُ فِي بطنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، ثُمَّ يَكُونُ عِلْقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مَضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ الْمَلَكَ، قَالَ: فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، يُقَالُ: اكْتُبْ أَجْلَهُ، وَرِزْقَهُ، وَعَمَلَهُ، وَشَقِي أَوْ سَعِيدٍ، ثُمَّ يَنْفَخُ فِيهِ الرُّوحَ.. قَالَ: فَإِنْ أَحَدِكُمْ لِيَعْمَلَ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا، وَإِنْ أَحَدِكُمْ لِيَعْمَلَ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا)<sup>(1)</sup>، لا حرمنا الله منها.

وروى معاوية بن عمرو قال: ثنا زائدة، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (احتج آدمٌ وموسى -صلوات الله وسلامه عليهما-؛ فقال موسى عليه السلام: يا آدم أنت الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه، أغويت الناس وأخرجتهم من الجنة، قال: فقال آدمٌ عليه السلام: أنت موسى الذي اصطفاك الله بكلماته، تلومني على عمل كتبه الله عليّ قبل أن يخلق الله السماوات، قال: فحج آدم موسى)<sup>(2)</sup>.. وروي حديث (حج آدم موسى) مالك عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ<sup>(3)</sup>.

**وهذا يدل على بطلان قول القدرية الذين يقولون:**  
(إن الله تعالى لا يعلم الشيء حتى يكون)؛ لأن الله تعالى إذا كتب ذلك وأمر بأن يكتب فلا يكتب شيء لا يعلمه - جل عن ذلك وتقدس - وقال تعالى: **﴿وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين﴾** [الأنعام: 59]، وقال تعالى: **﴿وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين﴾** [هود: 6]، وقال تعالى: **﴿أحصاه الله ونسوه﴾**

<sup>1</sup>(?) متفق عليه.. رواه البخاري (3208، 3332، 6594، 7454) ومسلم (2643)

<sup>2</sup>(?) متفق عليه.. أخرجه البخاري (3409، 4736، 4738، 7515) ومسلم (2652)

<sup>3</sup>(?) بسند صحيح.. ينظر الموطأ (2/ 898)

[المجادلة: 6]، وقال تعالى: **لقد أحصاهم وعدهم عدًّا** [مریم: 94]، وقال تعالى: **أحاط بكل شيء علماً** [الطلاق: 12] وقال تعالى: **وأحصى كل شيء عدًّا** [الجن: 28]، وقال تعالى: **وهو بكل شيء عليم** [البقرة: 29]، فذلك يبين أنه يعلم الأشياء كلها.

وقد أخبر الله تعالى أن الخلق يُبعثون ويُحشرون، وأن الكافرين في النار يُخلدون، وأن الأنبياء والمؤمنين في الجنان يُخلدون، وأن القيامة تقوم ولم تقم القيامة بعد، فذلك يدل على أن الله تعالى يعلم ما يكون قبل أن يكون، وقد قال تعالى في أهل النار: **ولو ردُّوا لعادوا لما نهو عنه** [الأنعام: 28]، فأخبر عما لا يكون أنه لو كان كيف يكون، وقال تعالى: **فما بال القرون الأولى. قال علمها عند ربي لا يضل ربي ولا ينسى** [طه: 51-52]، ومن لا يعلم الشيء قبل كونه، لا يعلم بعد تقضيه، تعالى الله عن قول الظالمين علواً كبيراً.

وروى معاوية بن عمرو، قال: ثنا زائدة، عن سليمان الأعمش، عن عمرو بن مرة، عن عبد الرحمن بن أبي ليلي، عن عبد الله بن ربيعة، قال: (كنا عند عبد الله، قال: فذكروا رجلاً فذكروا من خلقه، فقال القوم: أما له من يأخذ على يديه؟ قال عبد الله: رأيتم لو قطع رأسه كنتم تستطيعون أن تجعلوا له رأساً؟ قالوا: لا.. قال عبد الله: إن النطفة إذا وقعت في المرأة مكثت أربعين يوماً، ثم انحدرت دمًا، ثم تكون علقة مثل ذلك، ثم تكون مضغة مثل ذلك، ثم يُبعث ملك فيقول: اكتب أجله، وعمله، ورزقه، وأثره، وخلقته، وشقي أو سعيد، وأنكم لن تستطيعوا أن تغيروا خلقه حتى تغيروا خلقه)<sup>(1)</sup>.

وروى معاوية بن عمرو، قال: ثنا زائدة، عن سعيد بن عبيدة، عن أبي عبد الرحمن، عن علي رضي الله عنه، قال: كنا في جنازة في بقيع الغرقد فأتى النبي ﷺ فقعد ونحن حوله، ومعه مَحْصَرَةٌ فنكت بها ورفع رأسه، فقال: (ما منكم من نفس منفوسة إلا قد كُتِبَ مكانها من الجنة والنار، وإلا قد كُتِبَتْ شقية أو سعيدة)، فقال رجل من القوم: يا رسول الله أفلا نمكث على كتابنا ونُدع العمل، فمن كان منا من أهل السعادة فسيصير إلى السعادة، ومن كان من أهل الشقاوة فسيصير إلى الشقاوة؟ فقال: (اعملوا فكل ميسر لما خلق له؛ أما أهل الشقاوة فميسرون لعمل الشقاوة، وأما أهل السعادة فميسرون لعمل السعادة)، ثم قرأ

<sup>1</sup>(?) صحيح موقوف أخرجه البخاري في الأدب المفرد (283) والطبراني (9/178-8884) ورجاله ثقات، وهو في الصحيحين بدون قصة الذي ذكروا من خلقه.

قول الله تعالى: **﴿ فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى. وَصَدَّقَ بِالْحَسَنَى. فَسَنِيسِرُهُ لِلْيسْرِ. وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَعْنَى. وَكَذَبَ بِالْحَسَنَى. فَسَنِيسِرُهُ لِلْعُسْرِ ﴾** [الليل: 5-10]<sup>(1)</sup>.

وروى موسى بن إسماعيل قال: ثنا حماد، قال: ثنا هشام بن عروة، عن عروة، عن عائشة رضي الله عنها وعن أبيها أن رسول الله **﴿ قال: (إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة، وإنه مكتوب في الكتاب من أهل النار، فإذا كان قبل موته تحول فعمل بعمل أهل النار، فمات فدخل النار، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة، فإنه مكتوب في الكتاب أنه من أهل الجنة، فإذا كان قبل موته تحول فعمل بعمل أهل الجنة، فمات فدخل الجنة) ﴾**<sup>(2)</sup>.

**وهذه الأحاديث تدل على أن الله تعالى علم ما يكون أنه يكون وكتبه، وأنه قد كتب أهل الجنة وأهل النار، وخلقهم فريقين فريقاً في الجنة وفريقاً في السعير، وبذلك نطق كتابه العزيز؛ إذ يقول: ﴿ فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةَ ﴾** [الأعراف: 30]، وقال تعالى: **﴿ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴾** [الشورى: 7]، وقال تعالى: **﴿ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴾** [هود: 105] [فَخَلَقَ اللَّهُ الْأَشْقِيَاءَ لِلشَّقَاءِ، وَالسَّعْدَاءَ لِلسَّعَادَةِ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ ﴾] [الأعراف: 179].. ورُوي عن النبي **﴿ : (إن الله عز وجل جعل للجنة أهلاً وللنار أهلاً) ﴾**<sup>(3)</sup>؛ أعادنا الله منها.

**دليل آخر في القدر: ومما يدل على بطلان قول القدرية: قول الله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾** [الأعراف: 172].

وجاءت الرواية عن رسول الله **﴿ : (أن الله عز وجل مسح ظهر آدم فأخرج ذريته من ظهره كأمثال الذر، ثم قرَّهم بوحدانيته وأقام الحجة عليهم) ﴾**<sup>(4)</sup>؛ لأنه قال تعالى: **﴿ وَأَشْهَدُهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا ﴾**، قال الله تعالى: **﴿ أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴾** [الأعراف: 172].. فجعل تقريرهم بوحدانيته لما أخرجهم من ظهر آدم عليه السلام حجة عليهم

<sup>1</sup>(?) الحديث متفق عليه.. رواه البخاري (1362، 4945-4948، 6217، 6605، 7552) ومسلم (2647)

<sup>2</sup>(?) صحيح.. رواه أحمد (6/107-108).. وإسناده صحيح ورجاله رجال الصحيح.. وهو بمعناه في البخاري (2643، 6594)

<sup>3</sup>(?) صحيح رواه مسلم (2662) وأبو داود (4713) والنسائي (1946) وابن ماجه في المقدمة

<sup>4</sup>(?) منقطع وله شواهد.. رواه الترمذي (3077) والحاكم (1/27) وأحمد (1/272)، وذكره ابن كثير في تفسير سورة الأعراف ورجح وقفه على ابن عباس

إذا أنكروا في الدنيا ما كانوا عرفوه في الذر الأول، ثم من بعد الإقرار جحدوه.

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: (إنه سبحانه وتعالى قبض قبضة للجنة، وقبض قبضة للنار)<sup>(1)</sup>، فميّز بعضها من بعض، وغلبت الشقوة على أهل الشقوة، والسعادة على أهل السعادة.

قال الله تعالى مخبرًا عن أهل النار - أعاذنا الله منها - أنهم قالوا:  
**ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قومًا ضالين** [المؤمنون : 106].

فكل ذلك أمر قد سبق في علم الله تعالى، ونفذت فيه إرادته، وتقدمت فيه مشيئته.

وروي معاوية بن عمرو قال: ثنا زائدة، قال: حدثنا طلحة بن يحيى القرشي، قال: حدثتني عائشة بنت طلحة، عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها وعن أبيها أن النبي ﷺ دُعي إلى جنازة غلام من الأنصار ليصلي عليه، فقالت عائشة رضي الله عنها: طوبى لهذا يا رسول الله، عصفورٌ من عصافير الجنة لم يعمل سوءًا ولم يدركه، قال: (أو غير ذلك يا عائشة، إن الله تعالى قد جعل للجنة أهلًا وهم في أصلاب آبائهم، وللنار أهلًا جعلهم لها وهم في أصلاب آبائهم)<sup>(2)</sup>.

وهذا يبيّن أن السعادة قد سبقت لأهلها، والشقاء قد سبق لأهله.. وقال النبي ﷺ: (اعملوا فكل ميسر لما خلق له)<sup>(3)</sup>.

**دليل آخر:** وقد قال الله تعالى: **من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليًا مرشدًا** [الكهف: 17]، وقال تعالى: **يضل به كثيرًا ويهدي به كثيرًا** [البقرة: 26]، فأخبر تعالى أنه يضل ويهدي، وقال تعالى: **ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء** [إبراهيم: 27]، فأخبرنا أنه **فعال لما يريد** [البروج: 16].

وإذا كان الكفر مما أراده فقد فعله، وقدره، وأحدثه، وأنشأه، واخترعه، وقد تبين ذلك بقوله تعالى: **قال أتعبدون ما تنحتون. والله خلقكم وما تعملون** [الصفوات: 95-96] فلو كانت عبادتهم للأصنام من أعمالهم؛ لكان ذلك مخلوقًا لله تعالى، وقد قال - سبحانه -: **جزاء بما كانوا يعملون** [الأحقاف: 14] يريد أنه تعالى يجازيهم على أعمالهم، فكذلك إذا ذكر عبادتهم للأصنام وكفرهم بالرحمن، ولو كان مما قدره وفعلوه لأنفسهم لكانوا قد فعلوا وقدروا ما خرج عن تقدير ربهم وفعله، وكيف يجوز أن يكون لهم من التقدير

<sup>1</sup>(?) صحيح لغيره.. أخرجه وينحوه أبو يعلى (3422) وابن بطة في الإبانة (240) وابن خزيمة في التوحيد (8).

<sup>2</sup>(?) متفق عليه.. رواه البخاري (1362) ومسلم (2662).

<sup>3</sup>(?) سبق تخريجه.

والفعل والقدرة ما ليس لربهم؟ فمن زعم ذلك فقد عَجَزَ الله.. تعالى  
الله عن قول المعجزين له علوًّا كبيرًا.

ألا ترى أن من زعم أن العباد يعلمون ما لا يعلمه الله عز وجل،  
لكان قد أعطاهم من العلم ما لم يُدْخِلْهُ في علمِ الله، وجعلهم لله  
نظرًا، فكذلك من زعم أن العباد يفعلون ويُقدِّرون ما لم يقدره،  
ويقدِّرون على ما لم يقدر عليه، فقد جعل لهم من السلطان والقدرة  
والتمكن ما لم يجعله للرحمن؛ تعالى عن قول أهل الزور والبهتان،  
والإفك والطغيان علوًّا كبيرًا.

**ويقال لهم:** هل فعل الكافر الكفر فاسدًا باطلاً متناقضًا؟ فإن  
قالوا: نعم.

قيل لهم: وكيف يفعله فاسدًا متناقضًا قبيحًا، وهو يعتقدُه حسنًا  
صحيحًا أفضل الأديان؟ وإذا لم يَجْزِ ذلك؛ لأن الفعل لا يكون فعلًا على  
حقيقته إلا ممن عِلِمَه على ما هو عليه من حقيقته، كما لا يجوز أن  
يكون فعلًا ممن لم يعلمه فعلًا، فقد وجب أن الله تعالى هو الذي قدَّر  
الكفر وخلقَه كفرًا فاسدًا باطلاً متناقضًا، خلافًا للحق والسداد.

### الباب العاشر الكلام في الشفاعة والخروج من النار

**ويقال لهم:** قد أجمع للمسلمون أن لرسول الله ﷺ شفاعة،  
فلمن الشفاعة أهي للمذنبين المرتكبين للكبائر، أم للمؤمنين  
المخلصين؟ فإن قالوا: للمذنبين المرتكبين للكبائر وأفقوا.

وإن قالوا: للمؤمنين المبشرين بالجنة الموعودين بها. قيل  
لهم: فإذا كنوا موعودين بالجنة وبها مبشرين، والله تعالى لا  
يخلف وعده؛ فما معنى الشفاعة لقوم لا يجوز عندكم أن لا  
يُدْخِلَهُم الله جناته؟<sup>(1)</sup> وما معنى قولكم أنهم قد استحقوها  
على الله عز وجل واستوجبوها عليه؟ وإذا كان الله تعالى لا  
يظلم مثقال ذرة وكان تأخيرهم عن الجنة ظلمًا، فإنما يشفع

<sup>(1)</sup> فالمعتزلة، على: ان مرتكب الكبيرة في منزلة بين المنزلتين، وانتقاض التوبة  
بعودة المذنب للذنب، وإنكار شفاعة النبي ﷺ فيمن استحق النار أن لا يدخلها،  
وفيمن دخلها ألا يخرج منها.. ينظر شرح البيجوري ص 227، 29.. وقد رد  
الأشعري كل ذلك بالحجة والبرهان

للشفعاء إلى الله تعالى في أن لا يُظلم على مذاهبكم، تعالى  
الله عن افتراءكم عليه علواً كبيراً.

**فإن قالوا:** يشفع النبي ﷺ إلى الله تعالى في أن يزيدهم  
من فضله، لا في أن يدخلهم جناتهم؛ قيل لهم: أو ليس قد وعدهم  
الله عز وجل ذلك فقال تعالى: **﴿ففيهم أجورهم  
ويزيدهم من فضله﴾** [النساء: 173] والله تعالى لا يخلف  
وعده، وإنما يشفع إلى الله تعالى عندكم في أن لا يخلف وعده.

وهذا جهل منكم، وإنما الشفاعة للمعقولة فيمن استحقه<sup>(1)</sup>  
عقاباً: أن يُوضع عنه عقابه، أو في من لم يعدّه شيئاً أن يتفضل  
عليه به، فأما إذا كان الوعد بالتفضل سابقاً فلا وجه لهذا.

### مسألة:

**فإن سألوا** عن قول الله تعالى: **﴿ولا يشفعون إلا لمن  
ارتضى﴾** [الأنبياء: 28].

<sup>1</sup>(?) أي: الوعد، وهو يعني به هنا: الوعيد.

**فالجواب عن ذلك:** إلا لمن ارتضى لمن يشفعون له، وقد روي أن شفاعته للنبي ﷺ لأهل الكبائر<sup>(1)</sup>، وروي عن النبي ﷺ: (أن المذنبين يخرجون من النار)<sup>(2)</sup>.

## الباب الحادي عشر الكلام في الحوض

<sup>1</sup>(?) صحيح.. أخرجه أبو داود (4739) وأحمد (3/213) والحاكم (1/139)، (140) والبيهقي (10/190) والترمذي (2435) وابن حبان (6468) عن أنس مرفوعًا: (شفاعتي لأهل الكبائر من أمي)، وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين.

وينحو مما أجاب الأشعري به هنا في الشفاعة وذكر الحوض والصراف وعذاب القبر ونحو ذلك، أجاب في (مقالات الإسلاميين) حيث حكا عن (جماعة أهل السنة وأصحاب الحديث):

أنهم "لا يُكفرون أحدًا من أهل القبلة بذنب يرتكبه.. وهم بما معهم من الإيمان مؤمنون وإن ارتكبوا الكبائر، والإيمان عندهم هو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وبالقدر، وأن ما أخطأهم لم يكن ليصيبهم وما أصابهم لم يكن ليخطئهم، والإسلام هو أن يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وأنهم يقرون بأن الله مقلب القلوب، ويقرون بشفاعة الرسول ﷺ وأنها لأهل الكبائر من أمته، وبعذاب القبر، وأن الحوض والصراف والبعث حق، والمحاسبة من الله للعباد حق، والوقوف بين يديه حق.. ويقرون بأن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، ولا يشهدون على أحد من أهل الكبائر بالنار، ويقولون: أمرهم إلى الله إن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم، ويؤمنون بأنه سبحانه يُخرج قومًا من الموحدين من النار على ما جاءت به الروايات".

ونقل إجماعهم أيضًا في (رسالة أهل الثغر)، فقال في الإجماع التاسع والثلاثين وحتى الإجماع الثالث والأربعين ما نصه: "وأجمعوا على أن عذاب القبر حق، وأن الناس يفتنون في قبورهم بعد أن يحيون فيها ويُسألون، فيثبت الله من أحب تشيئه، وأنهم لا يدوقون ألم الموت كما قال تعالى: **لا يدوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى** [الدخان: 56].. وأن الصراف جسر ممدود على جهنم يجوز عليه العباد بقدر أعمالهم، وأنهم يتفاوتون في السرعة والإبطاء على قدر ذلك.. وعلى أن الله يُخرج من النار مَنْ في قلبه شيء من الإيمان بعد الانتقام منه.. وعلى أن شفاعته النبي لأهل الكبائر من أمته، وعلى أنه يُخرج من النار قومًا من أمته بعدما صاروا حممًا، فيطرحون في نهر الحياة فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل، وعلى أن لرسول الله ﷺ حوصًا يوم القيامة تردُّه أمته لا يظماً من شرب منه، ويُذاد عنه من بدل وغير بعده" إ.هـ.

وإنما تأتي أهمية كل ذلك في الرد على من فتنوا في زماننا بفتنة أهل البدع وعلى رأسهم فرقة الخوارج، كجماعة الإخوان وما يتفرع منها ويخرج من تحت عباءتها من الدواعش وشباب محمد والقاعدة والنصرة وما شابه ممن يسفكون الدماء المعصومة لأسباب تفوق في فظاعتها ما ادعاه الخوارج من التكفير

**وأنكرت المعتزلة الحوض،** وقد روي عن النبي ﷺ من وجوه كثيرة، وروي عن أصحابه رضي الله عنهم أجمعين بلا خلاف.

وروي عفان، قال: ثنا حماد بن مسلمة، عن علي بن زيد، عن الحسن، عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه ذكر الحوض عند عبید الله بن زياد فأنكره، فبلغ أنسًا فقال: لا جرم والله لأفعلن به، قال: فأتاه فقال: ما ذكرتم من الحوض، ما أنكرتم من الحوض، قال عبید الله: هل سمعت النبي ﷺ يذكره؟ قال: سمعت النبي ﷺ أكثر من كذا مرة وكذا مرة يقول: (ما بين طرفيه - يعني الحوض - ما بين أيلة ومكة، أو ما بين صنعاء ومكة، وأن أنبيئكم أكثر من نجوم السماء)<sup>(1)</sup>.. اللهم اسقنا منه شربة لا نظما بعدها أبدًا.

وروي أحمد بن عبد الله بن يونس قال: ثنا ابن زائدة، عن عبد الملك بن عمير عن جندب بن سفيان، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (أنا فرطكم على الحوض) في أخبار كثيرة<sup>(2)</sup>.

بالمعصية، والمعتزلة جعل العصاة في منزلة بين المنزلتين، وليس ثمة عندهم سوى إهلاك الحرث والنسل وقتل الموحدين وتخريب ديار الإسلام.. واللهم هل بلغنا اللهم فاشهد.

<sup>(?)</sup> وذلك قوله ﷺ: (إن الله عز وجل يخرج قوما من النار بعد أن امتحشوا فيها وصاروا حممًا).. متفق عليه رواه البخاري (6573) ومسلم (182).

<sup>(?)</sup> صحيح.. أخرجه أحمد (3/230) وأبو يعلى (2761) عن أنس مرفوعًا، وله شاهد من حديث جابر أخرجه الآجري في الشريعة (1/363)، وآخر من حديث ثوبان أخرجه عبد الرزاق (20852)، وأصله في الصحيحين: البخاري (658) ومسلم (2300، 2303).

<sup>(?)</sup> اشتهرت أحاديث الحوض وكثر ذكرها في الصحيحين وغيرهما.. ينظر البخاري (6575، 6583، 6584، 6589، 6593، 7050، 7051) ومسلم (2289، 2290، 2297، 2303).



## الباب الثاني عشر الكلام في عذاب القبر

### وأنكرت المعتزلة عذاب القبر أعادنا منه.

وقد روي عن النبي ﷺ من وجوه كثيرة، وروي عن أصحابه رضي الله عنهم أجمعين، وما روي عن أحد منهم أنه أنكره ونفاه وجحده، فوجب أن يكون إجماعاً من أصحاب النبي ﷺ. فقد روى أبو بكر بن أبي شيبة قال: ثنا أبو معاوية عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رضي الله عنهم، قال: قال رسول الله ﷺ: (تعوذوا بالله من عذاب القبر)<sup>(1)</sup>. وروى أحمد بن إسحاق الحضرمي، قال: ثنا وهيب، قال: ثنا موسى بن عقبة قال: حدثتني أم خالد بنت خالد بن سعيد بن القاضي ~ أنها سمعت رسول الله ﷺ: (يتعوذ من عذاب القبر)<sup>(2)</sup> أعادنا الله منه. وروى أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: (لولا أن تدافنوا لسالت الله عز وجل أن يُسمعكم من عذاب القبر ما أسمعني)<sup>(3)</sup>.

**ومما يبين عذاب الكافرين في القبور: قول الله تعالى:**  
**﴿النار يُعرضون عليها غدواً وعشياً ويم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب﴾** [غافر: 46].. فجعل عذابهم يوم تقوم الساعة بعد عرضهم على النار في الدنيا غدواً وعشياً.. وقال تعالى: **﴿سنعذبهم مرتين﴾** [التوبة: 101] مرة بالسيف، ومرة في قبورهم، ثم يردون إلى عذاب غليظ في الآخرة.

وأخبر الله تعالى أن الشهداء في الدنيا يُرزقون ويفرحون بفضل الله تعالى، قال الله تعالى: **﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون. فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم إلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾** [آل عمران: 169-170] وهذا لا يكون إلا في الدنيا؛ لأن الذين لم يلحقوا بهم أحياء لم يموتوا ولا قتلوا.

<sup>1</sup>(?) صحيح.. وأصله في البخاري (832، 6368، 6375-6377) ومسلم (132)، (2867)

<sup>2</sup>(?) صحيح.. وأصله في البخاري (1376، 6364) ومسلم (588)، وأحمد (6/364، 365)

<sup>3</sup>(?) رواه مسلم (2867، 2868)



## الباب الثالث عشر الكلام في إمامة أبي بكر الصديق رضي الله عنه

قال الله سبحانه وتعالى: **﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً﴾** [النور: 55]، وقال تعالى: **﴿الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر﴾** [الحج: 41].

وأثنى الله تعالى على المهاجرين والأنصار والسابقين إلى الإسلام، وعلى أهل بيعة الرضوان، ونطق القرآن بمدح المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم أجمعين في مواضع كثيرة.. وأثنى على أهل بيعة الرضوان فقال تعالى: **﴿لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة﴾** [الفتح: 18] الآية.

وقد أجمع هؤلاء الذين أثنى الله عليهم ومدحهم على إمامة أبي بكر الصديق رضي الله عنه وسموه خليفة رسول الله ﷺ وبايعوه وانقادوا له، وأقروا له بالفضل، وكان أفضل الجماعة في جميع الخصال التي يستحق بها الإمامة من العلم والزهد وقوة الرأي، وسياسة الأمة وغير ذلك<sup>(1)</sup>.

### دليل آخر من القرآن على إمامة أبي بكر الصديق رضي الله عنه:

وقد دلَّ الله تعالى على إمامة أبي بكر الصديق رضي الله عنه في سورة براءة، فقال تعالى للقاعدتين عن نصرة نبيه ﷺ والمتخلفين عن الخروج معه: **﴿فقل لن تخرجوا معي أبداً ولن تقاتلوا معي عدواً﴾** [التوبة: 83].. وقال تعالى في سورة أخرى: **﴿سيقول المخلفون إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها ذرون نتبعكم يريدون أن يبدلوا كلام الله﴾**

<sup>1</sup>(?) وهذه كلها أمور لا يجدها إلا كذاب أشير، هو للكفر - بعد إقامة الحجة عليه وإنكارها - أقرب منه للإيمان، كونه على دين غير دين محمد ﷺ، وعلى عقيدة غير عقيدة المسلمين.

[الفتح: 15] يعني: قوله: **لن تخرجوا معي أبدًا** [التوبة: 83]، ثم قال تعالى: **كذلك قال الله من قبل فسيقولون بل تحسدوننا بل كانوا لا يفقهون إلا قليلاً** [الفتح: 15].  
وقال تعالى: **قل للمخلفين من الأعراب ستدعون إلى قوم أولوا بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون فإن تطيعوا يؤتكم الله أجرًا حسنًا وإن تتولوا** [يعني: تُعرضوا عن إجابة الداعي لكم إلى قتالهم] **كما توليتم من قبل يعذبكم عذابًا أليمًا** [الفتح: 16].. والداعي لهم إلى ذلك غير النبي ﷺ الذي قال الله عز وجل له: **لن تخرجوا معي أبدًا ولن تقاتلوا معي عدوًا** [التوبة: 83]<sup>(1)</sup>.

وقال تعالى في سورة الفتح: **يريدون ان يبدلوا كلام الله** [الفتح: 15] فمنعهم الخروج مع نبيه ﷺ وجعل خروجهم معه تبديلًا لكلامه، فوجب بذلك أن الداعي الذي يدعوهم إلى القتال:: داع يدعوهم بعد نبيه ﷺ.

وقد قال الناس: هم أهل فارس، وقالوا: أهل اليمامة، فإن كانوا أهل اليمامة فقد قاتلهم بعد نبيه ﷺ أبو بكر الصديق رضي الله عنه وإن كانوا الروم فقد قاتلهم الصديق أيضًا، وإن كانوا أهل فارس فقد قوتلوا في أيام أبي بكر رضي الله عنه، وقاتلهم عمر رضي الله عنه من بعده وفرغ منهم.

وإذا وجبت إمامة عمر رضي الله عنه، وجبت إمامة أبي بكر رضي الله عنه كما وجبت إمامة عمر، لأنه العاقد له الإمامة، فقد دل القرآن على إمامة الصديق رضي الله عنه ﷺ والفاروق رضي الله عنه.

وإذا وجبت إمامة أبي بكر رضي الله عنه بعد رسول الله ﷺ وجب أنه أفضل المسلمين.

دليل آخر من الإجماع على إمامة أبي بكر: ومما يدل على إمامة الصديق رضي الله عنه أن المسلمين جميعًا بايعوه وانقادوا لإمامته، وقالوا له: (يا خليفة رسول الله ﷺ).. ورأينا عليا والعباس رضي الله عنهما بايعاه رضي الله عنه وأقرا له بالإمامة.

وإذا كانت الرافضة يقولون: إن عليًا رضي الله عنه هو المنصوص على إمامته، والراوندية تقول: العباس هو المنصوص على إمامته، لم يكن للناس في الإمامة إلا ثلاثة أقوال:

<sup>1</sup>(?) يعني: وأبو بكر لم يكن كذلك البتة، فلزم استحقاقه - بضميمة ما ذكر - للإمامة.

(1) من قال منهم: إن النبي ﷺ نصّ على إمامة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وهو الإمام بعد رسول الله ﷺ.  
 (2) وقول من قال: نص على إمامة علي رضي الله عنه.  
 (3) وقول من قال: الإمام بعده العباس.  
 وقول من قال: هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه هو بإجماع المسلمين والشهادة له بذلك.. ثم رأينا علياً رضي الله عنه والعباس رضي الله عنه قد بايعاه وأجمعا على إمامته، فوجب أن يكون إماماً بعد النبي ﷺ بإجماع المسلمين.

ولا يجوز لقائل أن يقول كان باطن عليٍّ والعباس خلاف ظاهرهما، ولو جاز هذا لمدعيه لم يصح إجماع، وجاز لقائل أن يقول ذلك في كل إجماع للمسلمين.

وهذا يُسقط حجة الإجماع؛ لأن الله تعالى لم يتعبدنا في الإجماع بباطن الناس، وإنما تعبدنا بظاهرهم، وإذا كان كذلك فقد حصل الإجماع والاتفاق على إمامة أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

وإذا ثبتت إمامة الصديق رضي الله عنه، ثبتت إمامة الفاروق؛ لأن الصديق رضي الله عنه نص عليه وعقد له الإمامة واختاره لها، وكان أفضلهم بعد أبي بكر.

وثبتت إمامة عثمان رضي الله عنه بعد عمر رضي الله عنه بعقد من عُقد له الإمامة من أصحاب الشورى؛ الذين نص عليهم عمر رضي الله عنه فاختروه ورضوا بإمامته، وأجمعوا على فضله وعدله.

وثبتت إمامة علي رضي الله عنه بعد عثمان رضي الله عنه، بعقد من عقدها له من الصحابة رضي الله عنهم من أهل الحل والعقد، ولأنه لم يدعها أحد من أهل الشورى غيره في وقته<sup>(1)</sup>، وقد أجمع على فضله وعدله، وأن امتناعه عن دعوى الأمر لنفسه في وقت الخلفاء قبله كان حقاً؛ لِعلمه أن ذلك ليس بوقت قيامه، وأنه قلما كان لنفسه في وقت الخلفاء قبله، ثم لما صار الأمر، أظهر وأعلن ولم يُقَصِّر حتى مضى على السداد والرشاد، كما مضى من قبله من الخلفاء، وأئمة العدل من السداد والرشاد متبعين لكتاب ربهم وسنة نبيهم.

<sup>1</sup>(?) أي: لم ينازعه فيها أحد منهم وهم المختارون من صفوة الصحابة، وفي بعض النسخ المخطوطة: (لم يدع أحد.. إلخ)، كونه محل إجماع من أهل الشورى ومن ثم كان الأولى بها دون سواه كجميعاً.



## هؤلاء هم الأئمة الأربعة المجمع على عدلهم وفضلهم رضي الله عنهم أجمعين.

وقد روى شريح بن النعمان قال: ثنا حشرج بن نباته عن سعيد بن جمهان، قال ثني سفينة<sup>(1)</sup> قال: قال رسول الله ﷺ: (الخلافة في أمتي ثلاثون سنة، ثم ملك بعد ذلك)، ثم قال لي سفينة: (أمسك خلافة أبي بكر وخلافة عمر وخلافة عثمان، ثم أمسك خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين، قال: فوجدتها ثلاثين سنة)<sup>(2)</sup>.. فدل ذلك على إمامة الأئمة الأربعة رضي الله عنهم أجمعين.

فأما ما جرى من علي والزبير وعائشة رضي الله عنهم أجمعين، فإنما كان على تأويل واجتهاد، وعلي الإمام، وكلهم من أهل الاجتهاد، وقد شهد لهم النبي ﷺ بالجنة والشهادة، فدل على أنهم كلهم كانوا على حق في اجتهادهم، وكذلك ما جرى بين سيدنا علي ومعاوية رضي الله عنهم، فدل على أنه كان عن تأويل واجتهاد.

وكل الصحابة أئمة مأمونون غير متهمين في الدين، وقد أثنى الله ورسوله على جميعهم، وتعبدنا بتوقيرهم وتعظيمهم وموالاتهم، والتبري من كل من يتقص أحدًا منهم رضي الله عنهم أجمعين.. وقد قلنا في الأبرار قولاً وجيزاً، والحمد لله أولاً وآخراً.

**تم كتاب (الإبانة عن أصول الديانة)، ولله الحمد.**

**وتم تحقيقه على يد العبد الفقير إلى الله محمد بن محمد بن عبد العليم الدسوقي في صبيحة يوم الجمعة في الثامن من ذي القعدة سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة والفر، الموافق للثامن عشر من يونيو لسنة إحدى وعشرين وألفين**

<sup>(1)</sup> هو أبو عبد الرحمن وقيل أبو البخترى مولى أم سلمة، وقيل: مولى رسول الله، اختلف في اسمه، فقيل: طهران وقيل: رومان وقيل: عبس  
<sup>(2)</sup> (?) صحيح.. رواه الترمذي (2226، 2227) والنسائي في الكبرى (8155) وأبو داود (4646، 4647) وأحمد (221 /5)



### ثبت بأهم مراجع التحقيق

- (1) الإبانة لأبي الحسن تحقيق د. فوقية حسين محمود ط1/ 1397 - 1977 دار الأنصار بالقاهرة.
- (2) الأسماء والصفات للبيهقي ت. فؤاد سراج عبد الغفار المكتبة التوفيقية بالقاهرة. بدون.
- (3) الأشاعرة في ميزان أهل السنة لفیصل بن قزار الجاسم (المبرة الخيرية لعلوم القرآن والسنة) بالكويت ط1/ 1428، 2007
- (4) الإكليل في المتشابه والتأويل لابن تيمية. مكتبة أنصار السنة المحمدية بالقاهرة ط2/ 1366.
- (5) تبیین كذب المفتری فيما نسب إلى الإمام الأشعري لابن عساكر ط2/ 1391 دار الفكر. دمشق.
- (6) تفسير القرآن العظيم لابن كثير مكتبة مصر للطباعة والنشر. بدون
- (7) تفنيد أهل السنة والجماعة لمذهب الأشاعرة للسيد بن أحمد أبو سيف مكتبة السنة ط1/ 1430، 2009
- (8) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد لابن عبد البر ت شهاب الدين أبو عمرو ط1/ 1423.
- (9) التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل لابن خزيمة ت. د. عبد العزيز الشهوان دار الرشيد للنشر بالرياض ط1، 1408.
- (10) الجامع الفريد في متون العقيدة والتوحيد أعداد إسلام محمد هية ط 1 مكتبة أولاد الشيخ
- (11) جمهرة عقائد أئمة السلف جمع محمد محب الدين أبو زيد ط 1/ 1436 - 215
- (12) الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة للأصبهاني ت. محمد بن محمود أبو رحيم دار الراية بالرياض ط2/ 1419، 1999
- (13) خلق أفعال العباد والرد على الجهمية وأصحاب التعطيل للبخاري ت. سالم بن عبد الهادي ومحمد الإياني ط مكتبة التراث الإسلامي
- (14) الذب عن أبي الحسن الأشعري لابن درباس ت. د/ نصر فقيهي، ط1 2006م، دار الإمام أحمد بمصر.
- (15) رسالة إلى أهل الثغر لأبي الحسن الأشعري ت. د. عبد الله شاكر ط2/ 1422 - 2002 مكتبة العلوم والحكم.
- (16) الرسالة التدمرية في تحقيق الإثبات لأسماء الله وصفاته لابن تيمية المطبعة السلفية ط4/ 1405.
- (17) رسالة الجويني في إثبات الاستواء والفوقية ومسألة الصوت والحرف في القرآن)، ضمن (مجموعة الرسائل المنيرية) ط1/

- 176- 184 المجلد الأول.. دار إحياء التراث العربي بيروت 1970.
- (18) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي ت. نشأت المصري دار البصيرة ط1/ 2002.
- (19) شرح البيجوري على الجوهرة المسمى تحفة المرید علی جوهرة التوحيد لإبراهيم اللقاني ط الهيئة العامة لشئون المطابع الخيرية 1390- 1971.
- (20) شرح السنة لأبي محمد الحسن بن علي البربهاري ت. نشأت المصري ط1. 1426 مكتبة العلوم والحكم بالقاهرة.
- (21) شرح صحيح مسلم للإمام النووي ت د. طه عبد الرؤوف سعد - دار البيان العربي والمكتبة التوفيقية.
- (22) شرح العقيدة السفارينية لمحمد بين أحمد بشرح ابن عثيمين مكتبة الصفا بمصر ط1/ 1429، 2008.
- (23) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ت. الألباني وابن باز وشاكر والفوزان. دار الهيثم بالقاهرة ط1/ 1426، 2005.
- (24) شرح العقيدة الواسطية للعثيمين ت. محمد محمد عامر دار الدعوة الإسلامية ط1/ 1422، 2001
- (25) الشريعة للمحدث أبي بكر محمد بن الحسين الآجري ط. دار البصيرة بالإسكندرية
- (26) شذرات الذهب في إخبار من ذهب لابن العماد دار الفكر للطباعة والنشر بدون
- (27) صحيح معتقد أبي الحسن الأشعري لمحمد عبد العليم الدسوقي ط/ 2 دار اليسر.
- (28) طبقات الشافعية للحافظ ابن كثير ت. عبد الحفيظ منصور دار المد الإسلامي بيروت ط1/ 2004
- (29) عقائد الأشاعرة لمصطفى باحو ط1/ 1433، 2012 المكتبة الإسلامية
- (30) عقائد السلف للأئمة أحمد والبخاري وابن قتيبة وعثمان الدارمي، جمع د/ النشار ط 1971 منشأة المعارف بالإسكندرية.
- (31) عقيدة الأشاعرة دراسة نقدية لمنظومة جوهرة التوحيد لللقاني على ضوء عقيدة أهل السنة لحسان بن إبراهيم الرديعان ط1/ 1434، 2013 دار التوحيد للنشر بالرياض
- (32) عقيدة أصحاب السلف وأصحاب الحديث لشيخ الإسلام أبي عثمان إسماعيل الصابوني ضمن المجموعة المنيرية. دار إحياء التراث العربي بيروت 1970.
- (33) عقيدة السلف وأصحاب الحديث لشيخ الإسلام أبي عثمان إسماعيل الصابوني ت. أبو اليمين المنصوري دار المنهاج ط1/ 1423، 2003.

- (34) العلو للعلي الغفار في صحيح الأخبار وسقيمها للحافظ الذهبي  
تعبد الرحمن محمد عثمان - المكتبة السلفية لمحمد الكتبي  
بالمدينة المنورة - ط 2 / 1388
- (35) فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني  
ت. محب الدين الخطيب دار الريان والمكتبة السلفية ط 3 /  
1407
- (36) فتح رب البرية بتلخيص الحموية لابن عثيمين - دار الصفوة  
بالقاهرة ط / 1 1406.
- (37) الفتوى الحموية لشيخ الإسلام ابن تيمية ط 3 / - 1398 المطبعة  
السلفية.
- (38) قرائن اللغة والنقل والعقل في حمل صفات الله الخيرية  
والفعلية على ظاهرها دون المجاز لمحمد عبد العليم الدسوقي  
ط. دار اليسر.
- (39) كتاب الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد إمام  
الحرمين ابن الجويني ت. زكريا عميرات ط 1 / 1416، 1995  
دار الكتب العلمية.
- (40) كتاب الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد للإمام البيهقي ت.  
د. السيد الجميلي ط. 1 / - 1408 - 1988 دار الكتاب العربي  
بيروت.
- (41) الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة لابن رشد  
ت. مصطفى عبد الجواد عمران المكتبة المحمودية ط 3 /  
1388، 1968 م.
- (42) لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد، بشرح الشيخ ابن  
عثيمين ت / هاني الحاج ط 1، 1423 مكتبة العلم.
- (43) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية جمع وترتيب عبد الرحمن  
بن محمد بن قاسم - ط وزارة الشؤون الإسلامية بالمملكة  
السعودية - ط 1425 - 2004
- (44) مختصر الصواعق المرسله لابن القيم، المسمى (استعجال  
الصواعق المرسله) لمحمد بن الموصلي مكتبة المتنبي  
بالقاهرة ط 2 / 1400.
- (45) مختصر العلو للعلي الغفار للشيخ الألباني - المكتب الإسلامي -  
ط 1 / 1401 - 1981
- (46) مصادر التلقي عند الأشاعرة؟ زياد بن عبد الله الحمام دار  
الهدى النبوي ودار الفضيلة ط 1 / 1436 - 2015
- (47) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين لأبي الحسن الأشعري  
ت. هلموت ريتز ط 4 / 1421 - 200 الهيئة العامة لقصور الثقافة  
بمصر.

- 48) مناظرة أهل البدع في القرآن العظيم وكلام الله القديم لموفق  
الدين ابن قدامة المقدسي تربيح بن زكريا ط 1/1 — 1433-  
2012 مكتبة ابن عباس
- 49) موافقة صريح المعقول لصريح المنقول لابن تيمية ت. محمد  
رشاد ط 1/1. 1981.
- 50) موقف السلف من المجاز في الصفات د. محمد عبد العليم  
الدسوقي ط 1/1 - 1430 - 2009 دار اليسر.

### فهرس الموضوعات

- إهداء..... 2
- من كنوز الحكمة:..... 3
- أ- لخط المغرضين الناشئ والمستمر حول عزو (الإبانة) للأشعري، ودحض  
أسبابه:..... 6
- ب - شهادات أئمة أهل السنة بشأن عزو (الإبانة) للأشعري:..... 10
- ج- الأشعري يدحض بأدلة العقل والنقل شبهات مدعي الانتساب إليه:..... 17
- د- عبارات أئمة أهل السنة في ذم (الأشعرية) بالاسم، وفي ردّ ترهاتهم  
ودحض حججهم:..... 21
- التمهيد..... 34
- نبذة مختصرة عن سيرة ناصر السنة وقامع البدعة..... 34
- الإمام أبي الحسن الأشعري..... 34
- نسبه ومولده وطلبه العلم:..... 34
- مناقبه وتأليفه ووفاته:..... 36
- تمهيد الأشعري لكتابه الإبانة..... 42
- الباب الأول..... 45
- قول أهل الزيغ والرد عليه بقول أهل السنة..... 45
- الفصل الأول..... 45
- فصل في قول أهل الزيغ والبدع..... 45
- فصل في إبانة قول أهل الحق والسنة..... 48
- الباب الثاني..... 69
- الكلام في إثبات رؤية الله - سبحانه - بالأبصار في الآخرة..... 69
- مسألة والجواب عنها:..... 74
- مسألة في الرؤية:..... 76
- الباب الثالث..... 79
- صفة الكلام ورد عادية المعتزلة والجهمية ومن تابعهما..... 79
- الفصل الأول..... 79
- الكلام في أن القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق..... 79
- سؤال:..... 84

86	فصل:
91	مسألة:
92	مسألة:
93	مسألة في الرد على الجهمية:
93	مسألة:
95	الفصل الثاني
95	في ذكر الرواية في القرآن
100	الكلام على من توقف في القرآن، وقال:
100	(لا أقول إنه مخلوق ولا أنه غير مخلوق)
101	مسألة:
102	مسألة:
106	الباب الرابع
106	ذكر الاستواء على العرش
106	فصل:
112	الباب الخامس
112	الكلام في الوجه والعينين والبصر واليدين
119	فصل:
120	مسألة:
121	مسألة
122	مسألة
123	فصل:
124	مسألة:
126	الباب السادس
126	الرد على الجهمية في نفيهم علم الله تعالى وقدرته وجميع صفاته
126	فصل:
127	مسألة:
128	مسألة:
129	مسألة:
129	مسألة:
132	الباب السابع
132	الكلام في الإرادة والرد على المعتزلة في ذلك
132	مسألة:
132	مسألة أخرى:
133	مسألة أخرى:
134	مسألة:
134	مسألة:
135	مسألة أخرى:
136	مسألة أخرى:
137	مسألة أخرى:
138	الباب الثامن
138	الكلام في تقدير أعمال العباد والاستطاعة والتعديل والتجويز
138	مسألة:
140	مسألة في الاستطاعة:
140	مسألة أخرى:
141	مسألة:
142	مسألة:
142	مسألة في التكليف:
143	مسألة في إيلام الأطفال:
143	مسألة:



144.....	الرد على المعتزلة:
144.....	مسألة:
145.....	مسألة في الختم:
145.....	مسألة:
146.....	مسألة في الاستثناء:
146.....	مسألة في الآجال:
146.....	مسألة أخرى:
146.....	مسألة في الأرزاق:
147.....	مسألة أخرى:
148.....	مسألة: وإن سألوا فقالوا: أيهما خير، الخير أو من الخير منه؟ قيل لهم: من كان الخير متعضلاً به فهو خير من الخير.
148.....	مسألة في الهدى:
149.....	مسألة في الضلال:
151.....	مسألة يسألون عنها:
152.....	مسألة:
153.....	الباب التاسع
153.....	ذكر الروايات في القدر
157.....	الباب العاشر
157.....	الكلام في الشفاعة والخروج من النار
157.....	مسألة:
158.....	الباب الحادي عشر
158.....	الكلام في الحوض
160.....	الباب الثاني عشر
160.....	الكلام في عذاب القبر
161.....	الباب الثالث عشر
161.....	الكلام في إمامة أبي بكر الصديق رضي الله عنه
165.....	ثبت بأهم مراجع التحقيق
168.....	فهرس الموضوعات



## كتب للمؤلف

1. (التصوير البياني في كتاب فتح الباري بشرح صحيح البخاري.. دراسة ومقارنة)، رسالة (العالمية الدكتوراه).. ط. دار الحرم للتراث.
2. (المشاكل.. دلالتها ومواقعها في القرآن الكريم)، رسالة (التخصص الماجستير).. ط. دار الحرم للتراث.
3. (موروثنا البلاغي والأسلوبية الحديثة: دراسة وموازنة).. ط. دار الحرم للتراث.
4. (سيرًا على خطا الأشعري.. أئمة الخلف يتراجعون إلى ما تراجع إليه).. ط. دار الحرم للتراث.
5. (موقف السلف من المجاز في الصفات)، ط. دار اليسر.
6. (موقف السلف من تفويض الصفات).. ط. دار اليسر.
7. (ومضات على موقف السلف من التفويض والتجوز في الصفات) وقد جمع بين سابقيه..
8. (من بلاغة الوقف في القرآن الكريم).
9. (أثر الوقف على حروف المعاني والبدء بها في إثراء المعنى واتساعه).
10. (واو المعانقة في أي التنزيل بين العطف والاسْتثْناف: دراسة بلاغية)..
11. (أثر الوقف على القيود والبدء بها في إثراء المعنى واتساعه)
12. (كلا: دلالتها ومواقعها في القرآن الكريم).
13. (التضمين في الأفعال بين النحاة وأهل البيان).
14. (من بلاغة القرآن في التعبير بالغدو والآصال والعشي والإبكار).. وقد جُمعت هذه السبعة كتب في مؤلف تحت عنوان: (من طرائق الاتساع في معاني الذكر الحكيم).. ط. دار الحرم للتراث.
15. (دور الخيال الشعري في النهوض بالصورة البيانية بين الأصالة والحداثة).. ط. دار الحرم للتراث.

16. (شرح لامية البحثري في مدح محمد بن علي بن عيسى)..  
ط. دار الحرم للتراث.
17. (قرائن اللغة والعقل والنقل في حمل صفات الله الخيرية والفعلية على ظاهرها دون المجاز)، ويقع في مجلدين.. ط. دار اليسر.
18. (كشف الحجاب في ترجيح أدلة القائلين بفرضية النقاب)..  
ط. دار اليسر.
19. (مجمل معتقد أبي الحسن الأشعري في توحيد الصفات)..  
ط. المكتبة الإسلامية.
20. (تحفة الإخوان في صفات الرحمن.. إطلالة على رسالة العقائد ومنهج جماعة الإخوان في توحيد الأسماء والصفات).
21. (براءة الحافظين.. النووي وابن حجر من عقائد الأشعرية والمتكلمين).
22. (الغارة على العالم الإسلامي)، منشور ضمن كتب أخرى على موقع صيد الفوائد.
23. (الخفاص: **صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون**)
24. (التماس القدوة في خاتم النبيين وإمام المرسلين).. وقد جمعت هذه الخمس الأخيرة في كتاب بعنوان (دراسات في الفكر الإسلامي المعاصر)
25. (معارج القبول.. سؤال وجواب).. قيد الإعداد
26. (حقائق حول عدم أحقية اليهود في أرض فلسطين.. بموجب ما جاء في التوراة والإنجيل وفي أي التنزيل).. ط. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.
27. (تقريب الإيضاح في: البلاغة وعلاقتها بالفصاحة - أحوال الإسناد الخبري ومكوناته).. وهو شرح ممزوج بمتن الإيضاح للخطيب القزويني جزء أول.. دار الحرم
28. (الإيجاز.. في أدلة حمل صفات الله على ظواهرها دون المجاز).. وهو مجمل لما جاء في (قرائن حمل صفات الله

- الخبرية والفعلية على ظاهرها دون المجاز) نشرت على هيئة حلقات بمجلة التوحيد التابعة لجمعية أنصار السنة المحمدية
- 29.** (القول المبين في حكم التوسل بالموتى والمغيبين).. مفقود
- 30.** (إمارة اللثام عما تمس الحاجة لمعرفته من عقائد ووقائع وأحكام).. ط. دار ابن عباس
- 31.** (ولايات المسلمين المعاصرة.. في ضوء معتقد أهل السنة وسلف الأمة).. ط. دار ابن عباس.
- 32.** (جدلية ورود المجاز في القرآن وحسم اللغظ الحاصل حولها).. ط. دار الحرم للتراث
- 33.** (اتبعوا ولا تبدعوا فقد كفيتم).. قيد الطبع
- 34.** (الإبانة في أصول الديانة).. تحقيق. أ.د. محمد عبد العليم الدسوقي.. دار زهران
- 35.** (هذا معتقد أبي الحسن الأشعري.. فاتبعوه إن كنتم صادقين)
- 36.** (النقاب ضرورة اجتماعية وفريضة شرعية.. وتلك أدلته) طبعة مزيدة لما جاء في (كشف الحجاب)
- 37.** (قضية الفهم عن الله وعمن نأخذ ديننا؟)
- 38.** (اتبعوا ولا تبدعوا فد كفيتم) قيد الإعداد